

محاضرات

فوائد الأئمة الأربعة

الجزء الثاني

تأليف المؤلف
الشيخ محمد الحصري بك
مدرس التاريخ الإسلامي بالجامعة المصرية

الطبعة الثالثة

obeykandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة الرابعة والعشرون

الفتوح في بلاد الروم - فتح حمص - فتح بيت المقدس

الفتوح في بلاد الروم

كانت واقعة اليرموك في أول خلافة عمر في أثنائها جاء الخبر بموت أبي بكر واستخلاف عمر وتولية أبي عبيدة إمرة الجيش كله والقواد كلهم تحت امرته: بعد أن انتهت الواقعة سار الجنود نحو فحل (١) من أرض الأردن وقد اجتمع فيها فل الروم وكان على مقدمة الناس خالد بن الوليد وهنا التقت الفتيان فانهزم الروم ودخلت المسلمون فحل وسار الروم الى دمشق فكانت فحل في ذي القعدة سنة ١٣ على ستة اشهر من خلافة عمر ثم ساروا الى دمشق (٢) وخالد على المقدمة فحصروها ونزلوا حوالىها فكان ابو عبيدة على

(١) من بلاد الأردن بين حوران وفلسطين

(٢) بلد عظيم هو قسبة الشام صارت حاضرة البلاد الاسلامية في عهد الدولة الاموية

الناس فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن وتشاغل أهل كل ناحية بمن يليه .
وقطع خالد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف وفتحوا المسامير فأقبلوا عليهم من
داخل حتى ما بقي ما يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم ولما شد خالد على من يليه وبلغ مشه
ناحية وعمر و على ناحية ويزيد على ناحية واستمر الحصار نحو سبعين ليلة حصاراً
شديداً بالزحوف والترامى والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يترجون الغياث
ولما أيقنوا أن الامداد لا تصل اليهم فسادوا ووهنوا وابسوا وازداد المسامون
طمعاً بهم وكان خالد لا ينام ولا ينيم ولا يخفي عليه شيء من أمر العدو وعيونهم زاكية
وهو معنى بما يليه فاتخذ حبالاً كهيئة السلايل وأوهاقاً فبلغه ذات ليلة أن الناس
غافلون في فرح أعظمهم فنهد بمن معه من رؤساء الذين قدم بهم من العراق وفيهم
القعقاع بن عمرو ومثاله وقال للجند إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا لنا
وانهدوا للباب فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا
بالحبال الشرف وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم فلما ثبت لهم
وهقان تسلق فيها القعقاع ورجل آخر ثم لم يدعأ الحبولة إلا اثبتاها وأوهاق
بالشرف وكان المسكان الذي اقتحموا منه حصن مكان يحيط بدمشق أكثره
ماء وأشده مدخل وتوافوا لذلك فلم يبق ممن دخل معه أحداً لارقى أودنا من
الباب حتى إذا استووا على السور حذر عامة أصحابه وانحدر معهم وخلف من
يحمي ذلك المسكان لمن يرتقى وأمرهم بالتكبير فكبر الذين على السور فنهد
المسامون إلى الباب ومال إلى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد إلى أول
من يليه فأنامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوايين وثار أهل المدينة وفزع سائر

الذي أراد عنوة أرز من أفلت الى أهل الابواب التي تلى غيره وقد كان
المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا فلم يفجأهم الا وهم يبوخون لهم
بالصلح فأجابوهم وقبلوا منهم وفتحوا لهم الابواب وقالوا ادخلوا وامنعونا من
أهل ذلك الباب فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد عنوة
فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراضاً وانتهاباً وهذا صلحاً وتسكيناً
فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار صلحاً وكان صلحها على المقاسمة وصارت
دمشق وما أحاط بها للمسلمين صلحاً وبعد أن تم أمرها جاء كتاب عمر لابى
عبيدة بصرف أصحاب خالد إلى العراق فسيرهم ورئيسهم هاشم بن عتبة وأبقى
خالداً معه ضناً به

الوقعة بمرج الروم

خرج أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد يريد مرج الروم وقد اجتمع بها
قائدان من قواد الروم توذر البطريق وشنس فوقف الجندان متقابلين وفي
الصباح رأوا الأرض خلوا من توذرو من معه فتحسسوا الخبر فعلموا أن توذر
أراد دمشق فأمر أبو عبيدة خالداً أن يتبعه وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان وهو
بدمشق قدوم توذر فخرج إليه محارباً وبيناهما يتحاربان قدم خالد فأصاب
الروم السيف من بين أيديهم ومن خلفهم فلم يقات منهم أحد ثم عاد يزيد إلى دمشق
وعاد خالد إلى أبي عبيدة فلاحقه بعد أن أنهى من هزيمة جند شنس إلى حمص
فتح حمص (١)

زحف المسلمون بعد فوزهم بمرج الروم إلى حمص فنازلوها واحتجز الروم

«١» بلد قديم في شمال دمشق بينها وبين حلب في نصف الطريق

بالمدينة محصورين فأقام المسلمون على حصارها الشتاء كله وكان الروم ينتظرون أن يهلكهم البرد ولما رأوا أنه لم يصيبهم شيء تراجعوا إلى الصلح فصولحوا على مثل صلح أهل دمشق

ثم أرسل خالدًا إلى قنسرين فلما نزل بالحاضر (١) زحف إليهم الروم وعليهم ميناس وهو أعظمهم بعد هرقل فلاقاهم خالد بالحاضر فهزمهم وقتل ميناس ولم يفلت من الروم أحد أما أهل الحاضر فأرسلوا إلى خالد أنهم عرب وأنهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حرب به فقبل منهم وتركهم . ولما بلغ عمر ذلك قال أسر خالد نفسه يرحم الله أبابكر هو كان أعلم بالرجال مني وقال في حقه هو والثني بن حارثة أني لم أعزلهما عن ربيبة ولكن الناس عظموهما فخشيت أن يوكلاوا إليهما . ثم سار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصن أهلها منه فقال لهم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أولا نزلكم إلينا فنظروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص فصالحوه على صلح حمص ثم فتحت قيسارية (٢) على يد معاوية بن أبي سفيان وفتحت أجنادين (٣) على يد عمرو بن العاص وكان بها أرطبون وهو أدهى الروم وأبعدها غورا وأنكأها فعلا ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج . أقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على سقطة ولا تشفيه الرسل فوليه بنفسه فدخل عليه كأنه رسول . أبلغه ما يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد وقال أرطبون

(١) مكان بالقرب من حلب يدعى حاضر حلب كان يجمع أصنافا من العرب

(٢) بلدة على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام

وكانت قديما من أمهات المدن (٣) من نواحي فلسطين من كورة بيت جبرين

في نفسه والله ان هذا عمرو أو انه لالذي يأخذ عمرو برأيه وما كنت لاصيب
القوم بأمر أعظم عليهم من قتله ثم دعا حرسيا فساره بقتله فقال اخرج فقم مكان
كذا وكذا فاذا مر بك فاقتله ووطن له عمرو فقال قد سمعت مني وسمت منك
فأما ما قاتله فقد وقع مني موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا
الوالي لنسكاته ويشهدنا أموره فارجع فأتيت بهم الآن فان رأوا في الذي
عرضت مثل الذي أرى فقد رآه أهل العسكر والامير وان لم يروه ردقتهم
الى مأمنهم وكنت على رأس أمرك فقال نعم ودعا رجلا فساره وقال اذهب
الى فلان ورده الى فرجع اليه الرجل وقال لعمرو اذهب فجيء بأصحابك
فخرج عمرو ورأى أن لا يعود لمثلها وعلم الرومي بأنه قد خدعه فقال
خدعني الرجل هذا أدهى الخلق (١) ثم ناهده عمرو وقد عرف مأخذه
فالتقوا باجنادين فاقتتلوا قتالا شديدا كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى
بينهم ثم ان أوطيبون انهزم من الناس فاوي الى ايليا ونزل عمرو أجنادين
فتصح بيت المقدس

كانت ايلياء عاصمة الدين ففيها البيت المقدس وخدام الدين وكان
المتولى لامر حربهم عمرو بن العاص لانه ولي على فلسطين وايليا حاضرتها
الكبرى ولما طال على أهلها الحصار رغبوا في الصلح على شرط أن يكون
المتولى لعقده عمر بن الخطاب فكتب اليه عمرو بذلك فسار الى الشام وهي

(١) مثل هذه الحكاية بعيدة التصديق والا كانت دليلا على بلاهة فاعلمها ولا يتصور
ان قائد جند بخاطر بنفسه هذه المخاطرة تارك جنده من غير راع لهم خصوصا اذا كان ذلك القائد
هو عمرو بن العاص

أول خرجة خرجها وكتب الى أمراء الشام أن يستخلفوا على ما بأيديهم
ويقابلوه بالجالية فاقوه بها فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد على
الخيول عليهم الديباج والحرير فنزل وأخذ الحجارة فرماهم بها وقال سرع ما
لستم عن رأيكم اياي تستقبلون في هذا الري وإنما شبعتم منذ سنتين سرع
ماندت بكم البطنة وتالله لو فعلتموها على رأس الثنتين لاستبدت بكم غيركم
فقالوا يا امير المؤمنين انها يلامقة وان علينا السلاح قال فنعم اذا وركب
حتى دخل الجالية وعمرو وشرحبيل لم يتحركا من مقامهما وهناك
جاءته رسل أهل ايلياء يطلبون السلام فسألهم وكتب لهم كتاباً هذا نصه
(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء
من الامان أعطاهم أماناً لا أنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها
وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها
ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على
دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود وعلى
أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها
الروم واللصوت فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبالغوا ما منهم
ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن
أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم
فانهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبالغوا ما منهم ومن كان
بها من أهل الارض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على
أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله

لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله
وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا^(١) الذي عليهم من الجزية)
شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمر بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية
أبن أبي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥ وبعد أن أعطاهم الأمان شخص إلى بيت
المقدس وسار حتى دخل كنيسة القمامة وحان وقت الصلاة فقال للبترك أريد
الصلاة فقال له صل موضعك فامتنع وصلى على الدرجة التي على باب الكنيسة
منفرداً فلما قضى صلاته قال للبترك لو صليت داخل الكنيسة أخذها المسلمون
من بعدي وقالوا هنا صلى عمر وكتب لهم أن لا يجمع على الدرجة للصلاة
ولا يؤذن عليها ثم قال أرني موضعاً أبني فيه مسجداً فقال على الصخرة التي
كلم الله عليها يعقوب فوجد عليها ردماً كثيراً فشرع في إزالته وتناوله
بيده يرفعه في ثوبه واقتدى به المسلمون كثافة فزال حينه وأمر ببناء المسجد
ثم ولي أمراء الشام بعد أن قسمها أقساماً وجعل فلسطين ولايتين أحدهما
الرملة والآخرى قصبتها إيلياء — ومما يزيد المسلم شرفاً تلك المعاملة الباهرة
التي عامل بها سلفه مغلوبهم من الوفاء والعدل فاذا قارن ذلك بما أصيب
به أهل إيلياء حينما فتحت على أيدي الصليبيين تبين له مقدار الفرق العظيم
بين المعاملتين

وفي سنة ١٧ أراد عمر أن يزور الشام للمرة الثانية وخرج معه المهاجرون
والانصار فسار حتى إذا نزل بسرغ^(١) لقيه أمراء الاجتاد فأخبروه أن
الأرض سقيمة وكان بالشام طاعون فقال عمر لابن عباس اجمع إلى المهاجرين

(١) أول الحجاز وأخر الشام بين المعيشة وتبولك من منازل حاج الشام
(٢ - ٣)

الاولين قال فجمعهم له فاستشارهم فاختلفوا عليه فمنهم القائل خرجت لوجه
 تريد فيه الله وما عنده ولا ترى ان يصدقك عنه بلاء عرض لك ومنهم القائل
 انه لبلاء وفناء ما ترى ان تقدم عليه فلما اختلفوا عليه قال قوموا عني ثم قال
 لابن عباس اجمع مهاجرة الانصار فجمعهم له فاستشارهم فسلخوا طريق
 المهاجرين فكأنما سمعوا ما قالوا فقالوا مثله فلما اختلفوا عليه قال قوموا عني
 ثم قال اجمع لي مهاجرة الفتوح من قریش فجمعهم له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم
 اثنان وقالوا ارجع بالناس فانه بلاء وفناء فقال عمر يا ابن عباس اصرخ في الناس فقل
 ان أمير المؤمنين يقول لكم اني مصباح على ظهر فأصبحوا عليه فلما اجتمعوا قال
 أيها الناس اني راجع فارجعوا فقال أبو عبيدة بن الجراح افراراً من قدر الله قال
 فرارا من قدر الله الى قدر الله أرايت لو أن رجلاً هبط واديا له عدوتان
 احدهما خصبة والاخرى جربة أليس يرعى من رعى الجربة بقدر الله
 ويرعى من رعى الخصبة بقدر الله لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة . ثم خلا
 به بناحية دون الناس فبينما الناس على ذلك اذ أتى عبد الرحمن بن عوف
 وكان متخلفاً عن الناس لم يشهدهم بالامس فلما أخبر الخبر قال عندي من
 هذا علم قال عمر فأنت عندنا الامين المصدق فماذا عندك قال سمعت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم بهذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه
 واذا وقع وأنتم به فلا تخرجوا فرارا منه لا يخرجكم الا ذلك فقال عمر
 فله الحمد انصرفوا أيها الناس فانصرف بهم

وأعقب انصرافه حصول الطاعون الشديد المسمى طاعون عمواس
 وكانت شدته بالشام فهلك به خلق كثير منهم أبو عبيدة بن الجراح وهو

أمير الناس ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان والحارس بن هشام وسهيل
ابن عمرو وعتبة بن سهيل وأشرف الناس ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن
وليهم عمر بن العاص فخطب الناس وقال لهم أيها الناس إن هذا الوجد
إذا وقع فأنما يشتعل اشتعال النار فتجنبوا منه في الجبال فخرج وخرج
الناس فتفرقوا حتى رفعه الله عنهم فبلغ عمر ما فعله عمرو فما كرهه

رأى عمر بعد ارتفاع الطاعون أن يسير إلى الشام لينظر في أمر الناس
بعد هذا المصاب فصار حتى أتى الشام فنظر في أمور الناس وولى الولاة
وورث الأحياء من الأموات ثم خطبهم خطبة قال فيها (ألا واني قد وليت
عليكم وقضيت الذي على في الذي ولاني الله من أمركم إلى أن قال — فمن
علم علم شيء ينبغي العمل به فبلغنا عمل به إن شاء الله ولا قوة إلا بالله) وحضرت
الصلاة فقال الناس لو أمرت بلالا فأذن فأمره فأذن فما بقي أحد كان أدرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن له إلا بكى حتى بل لحيته وعمر
أشدهم بكاء وبكى من لم يدركه يسكائهم لذكوره صلى الله عليه وسلم ثم رجع
عمر إلى المدينة

وفي عهد عمر بن الخطاب فتحت مصر على يد القائد العظيم عمرو بن العاص
السهمي : ولما كان لتاريخ مصر نصيب خاص في محاضراتنا أحببنا أن نرجي
تفاصيل فتحها إلى الوقت الذي نتكلم فيه عن تاريخها ليكون الكلام نسقا
هذا ما كان من الفتوح في عهد عمر بن الخطاب في مدة لا تزيد عن
عشر سنوات فتحت بلاد فارس كلها ووقف المسلمون من جهة الشرق على
السند ونهر جيحون فلم يتعدوها وفتح من بلاد الروم جزء عظيم وهو

ببلاد الشام وأديرت البلاد على مقتضى العدل الاسلامي فتقبل الناس حكمهم
مسرورين لانه قد زال عنهم جبروت الملوكة وعسف الجباية
ولما كانت حياة عمر ممتازة بما كان فيها مما جعل بعد أساسا عظيما لكثير
من المدينة الاسلامية أحببنا أن نورد عليكم منها جملا لتعلموا مقدار هذا
الرجل العظيم الذي ساس العرب بسياسة لم تعرف لغيره من سائر الناس
متأسيا في ذلك برسول الله ﷺ وسلفه أبي بكر الصديق



المحاضرة الخامسة والعشرون

القضاء — سيرة عمر في عمله — معاملة عمر للرعية — عفته عن مال

المسلمين — ميله للاستشارة وقبول النصيح — رأى

عمر في الاجتماعات — وصفه وبيته

القضاء

عمر أول خليفة عين قضاة لفصل القضايا بين الناس مستقلين عن الامراء
فحين للكوفة شريح بن الحرث الكندي وكان من كبار التابعين وقد أقام
عائلاً بها ٧٥ سنة لم يمتل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير ولما
ولى الحجاج استعفاه فأعفاه . ومن طرفه في القضاء أن عدى بن أرطاة دخل
عليه فقال أنى رجل من أهل الشام قال من مكان سحيق قال تزوجت عندهم
قال بالرفاء والبنين قال وأردت أن أرحلها قال الرجل أحق بأهله قال وشرطت
لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم بيننا قال قد حكمت . وهو الذى قال
حين تزوج امرأة من بنى تميم ثم تقم عليها شيئاً فضربها

رأيت رجلاً يضربون نساءهم فشلت عيني يوم أضرب زينباً
أأضربها من غير ذنب أتت به فما العدل منى ضرب من ليس مذنباً

فزينب شمس والنساء كواكب
توفي سنة ٨٧ هـ

وعين للقضاء بمصر قيس بن أبي العاص السهمي حسبما جاء بكتاب
القضاة الذين ولوا مصر فهو أول قاض قضى بها في الاسلام
وولي أبا الدرداء المدينة وهو من الصحابة : ومن أعرف من ولائم
ابو موسى الاشعري ولما كان العهد الذي ولاد به مما يبين لنا شيئا من نظام
القضاء وأصوله أحببنا إirاده وودنكموه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن
قيس سلام عليك أما بعد فإن القضاء فريضة (١) محكمة وسنة متبعة
فافهم (٢) إذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له : (٣) بين الناس
في وجهك وعداك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يئأس ضعيف
من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر : والصلح (٤) جائز

(١) يريد عمر بذلك أن يبين للمادة التي يقضى بها وهي لا تعدو ماحده
الله وهذا ما أشار اليه بالفريضة المحكمة وما بينه رسول الله وسار عليه وهو ما أشار
اليه بالسنة المتبعة (٢) يريد أن من يدلي بحجته مهما يكن مصيبا باليغا فان
كلامه لا ينفعه اذا لم يكن لكلامه نفاذ الى قلب القاضي وذلك لا يكون الا بالانبيه
لما يقال من الخصوم (٣) هذا أساس المساواة التي بها جاء الدين ولا احترام
للقضاء بدونها فان القاضي اذا كان له ضام مع أحد الخصوم فشئت القالة فيه وان
نجا من مغبتها اليوم فانه ليس بناج غدا (٤) تكاد تتفق القوانين على أن كل
صالح يخالف فيه القانون العام لاقيمة له لان الخصم اذا ملك حق نفسه وساغ له
التصرف فيه بما شاء فانه لا يملك حق الشارع الذي راعى بتشريعه العام مصلحة
الجمهور

بين المساميين الا صاعحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً : لا يمتنعك (١) قضاء
قضيتته اليوم فراجعت نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع الى الحق فان
الحق قديم ومراجعة الحق خير من التماذى في الباطل : الفهم الفهم (٢)
فيما تلجأ في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الاشباه
والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق
واجعل (٣) لمن ادعى حقاً غائباً أمداً ينتهى اليه فان أحضر بينة والا استحللت
عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعنى . المسلمون (٤) عدول بعضهم على

(١) يريد بذلك أن القاضي لا يتقيد بما فهمه من النصوص فحكم به
في قضيتته فاذا ظهر له وجه الخطأ كان عليه أن يحكم بما تجدد من التفسير فيما
يشابهها من القضايا وانما كان هذا مراده لان عمر قد تغير فكره مرة بعد أن حكم
في حادثة فلم يغير السابق وغير اللاحق وقال ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضى
(٢) يريد بذلك بيان أصل ثالث للاحكام وهو القياس وهو أن يلحق ما لم
يعلم حكمه بما علم حكمه لمساواة بينهما في السبب الذي من أجله شرع الحكم ومن
ذلك يكون من أوجب الواجبات على القاضي أن يكون عارفاً بأسرار التشريع حتى
يمكنه هذا اللاحق ومن ذلك ينتج اشتراط أن يكون مجتهداً لا مقلداً غيره في
تفسير أو تأويل (٣) يشير بذلك الى جواز التأجيل اذا طلب الخصم وكان
الطلبه سبب معقول والذي ذكره من الاسباب هو غيبة الشهود الذين يظهر بهم حقه
(٤) يشير بذلك الى أصل عام وهو أن الأصل في الناس العدالة فتقبل شهادة
بعضهم على بعض الا اذا عرض ما يفسد تلك العدالة وقد بين عمر من ذلك ثلاثة
أشياء الاول الجلد في الحد ويظهر انه يريد بذلك حد القذف لان الله يقول ولا تقبلوا
لهم شهادة أبداً الثاني المجرب عليه شهادة الزور الثالث الظنين في الولاء او النسب
وهو الرجل يكول له موال فيتولى غيرهم أو يكون لهم نسب في قبيلته فينتسب الى غيرها
وكان هذا جالباً للعار واعلمه يكون في زمننا كذلك

بعض الأ مجاوداً في حرد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنيماً في ولاء أو نسب
فان الله تولى منكم السراير ودرأ بالبينات والايان : واياك (١) والغاق والضجر
والتأذى بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يعظم
الله به الاجرى ويحسن به الذخر فمن صحت نيته وأقبل على نفسه كفاء
الله ما بينه وبين الناس وما تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله
فما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام
وهذا الكتاب اتخذه جمهور من قضاة المسامين أساساً لنظاماتهم القضائية
وهو جدير بذلك

بالطبع لم يكن القضاء في زمنهم الا سهلاً مجرداً عن النظمات الوضعية
وكان للقاضي الحكمة العليا في قضاياه أعنى أنه مستقل تمام الاستقلال في
قضائه لا يمنعه شيء أن يحضر إلى مجلسه الامير فن دونه
سيرة عمر في عماله

كان عمر ممن يشترى رضا العامة بمصلحة الامراء فكان الوالى في
نظره فرداً من الافراد يجرى حكم العدل عليه كما يجرى على غيره من سائر
الناس فكان حب المساواة بين الناس لا يعدله شيء من أخلاقه اذا
اشتكى العامل أصغر الرعية جره إلى المحاكمة حيث يقف الشاكي والمشكو
منه يسوى بينهما في الموقف حتى يظهر الحق فان توجه قبل العامل

(١) يشير بذلك الى ما يجب على القاضي من الاناة والحلم فلا يضر ولا يتأذى
بالخصوم لثقتهم اوارتفاع أصواتهم بل يجعل لكل انسان حريته في الدفاع عن نفسه

اقتص منه إن كان هناك داع إلى القصاص أو عامله بما تقضى به الشريعة أو عزله

وسواس الأمم على اختلاف في ذلك فمنهم من لم ير القصاص من العمال يرى ذلك أهيب لمقام العامل في نظر الرعية وربما استحسن ذلك في عهد الاضطرابات التي يراد تسكينها بشيء من الرعب يقذف في قلوب العامة وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولعل ذلك لما كان في عهده من الاضطراب في الجزيرة العربية أما عمر فكان على غير ذلك الرأي لأن مصلحة العامة عنده كانت فوق كل شيء والامر قد استقر فلم يكن هناك ما يدعو الى مراعاة هذه السياسة

كان اذا بحث عاملاً على عمل يقول اللهم اني لم ابعثهم لياخذوا أموالهم ولا ليضربوا أبشارهم؛ من ظلمه أميره فلا أمرة عليه دوني : وخطب الناس يوم جمعة فقال اللهم أشهدك على أمراء الامصار اني انما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة نبيهم وأن يقسموا بينهم فيأثم وان يعدلوا فان أشكل عليهم شيء فعهوه لي (وكان اذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول: اني لم أستعملكم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أشعارهم ولا على أبشارهم انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل وني لم أسلطكم على أبشارهم ولا على أشعارهم ولا تجلدوا العرب فتذلوها ولا تجمروها فتفتنوها ولا تغفلوا عنها فتجرموها جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم) وخطب مرة فقال أيها الناس اني والله ما أرسل عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا لياخذوا أموالكم

ولكني أرسلهم ليعاموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فإيرفعه
إلى فوالذي نفس عمر بيده لا قصصه منه . فوثب عمرو بن العاص فقال
يا أمير المؤمنين أرايتك ان كان رجل من امراء المسلمين على رعية فادب
بعض رعيته انك لتقصه منه قال أي والذي نفس عمر بيده اذا لاقصه منه
وكيف لا اقصه منه وقد رأيت رسول الله يقص من نفسه ألا لا تضربوا
المسلمين فتذلوه ولا تجهر بهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم
ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم . وكان للوصول الى ما يريد من عماله يأمرهم
أن يوافوه كل سنة في الموسم ، موسم الحج ومن كانت له شكوى او مظامة
هناك فليرفعها واذ ذلك يحقق عمر بعد ان يجمع بين الاثنين حتى ترد الى
المظلوم ظلامته ان كانت وكان العمال يخافون ان يفتضحوا على رؤس
الاشهاد في موسم الحج فكانوا يتبعدون عن ظلم أي انسان

وقد استحضر عمر اليه كثيراً من العمال الذين لهم اعظم فضل واكبر
عمل بشكاية قدمت اليه من بعض الافراد فقد استحضر سعدا بن ابي وقاص
وهو فاتح القادسية والمدائن ومصر الكوفة وكان الذي شكاه ناس من
اهل عمله بالكوفة فجمع بينه وبينهم فوجده بريئا . واستحضر المغيرة بن
شعبة وهو امير البصرة والمغيرة من الصحابة ومن ذوى الاثر الصالح في
الفتوح الاسلامية وكان بعض من معه بالبصرة قد اتهمه بتهمة شذاعة فوجه
اليه ذلك الكتاب الموجز الذي جمع في كلمه القليلة ان عزل وعاتب واستحث
وامر (اما بعد فقد بلغني نبأ عظيم فبعثت ابا موسى اميراً فسلم ما في يدك
والعجل العجل) فقدم على عمر مع الشهود الذين شكوه ولم تثبت التهمة عليه

عند عمر فعاقب شهوده بالحد الذي فرضه الله لمثلهم : وشكى اليه عمار بن ياسر وكان اميراً على الكوفة وهو من السابقين الاولين شكاه قوم من أهل الكوفة بأنه ليس بامير ولا يحتمل ما هو فيه فامر به ان يقدم عليه مع وفد من أهل الكوفة فسأل الوفد عما يشكون من عمار فقال قائلهم انه غير كاف ولا عالم بالسياسة . وقال قائل منهم انه لا يدري علام يستعمل فاختبره عمر في ذلك اختباراً يدل على سعة علم عمر بتلك البلاد فلم يحسن الاجابة في بعضه فعزله عنهم ثم دعا بعد ذلك فقال أساءك حين عزلتك فقال والله ما فرحت به حين بعثني وقد ساءني حين عزلتني فقال لقد علمت ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت قوله تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)

ولم يمض عامل زمن عمر موثقاً به من عمر في كل أيامه الا القليلين وفي مقدمتهم أبو عبيدة عامر بن الجراح

وكان فوق ذلك كله له عامل مخصوص يقتص آثار العمال فيرسله إلى كل شكوى ليحققها في البلد الذي حصلت فيه وكان ذلك العمل موجهاً إلى محمد بن مسلمة الذي كان يشق به عمر ثقة تامة وكان محلاً لتلك الثقة ولم يكن من دأب محمد بن مسلمة أن يحقق تحقيقاً سريعاً وإنما كان يسأل من يريد سؤاله علناً وعلى ملاء من الاشهاد ولم يكن هناك محل للتأثير في أنفس الشهود لان يد عمر كانت قوية جداً وكان لكل انسان الحق أن يرفع اليه شكواه مباشرة فقد زاد الناس من الحرية كثيراً

وقد شاطر عمر بعض العمال ما في أيديهم حينما رأى عليهم سعة لم يعلم

مصدرها ولم يفعل هذا الفعل إلا قليلا وربما وجد هذا العمل مجالا للانتقاد من الوجهة النظرية الدينية ولكن عمر كان يعرف من من عماله يستحق أن تقع به تلك العقوبة اذا ماذا يعمل برجل ولاه وهو يعرف مقدار عطائه ورزقه ثم يراه بعد ذلك قد أثرى ثروة لو جمعت أعطياته ما بلغتها : لم ير عمر أمام ذلك الا هذه المصادرة وقد اكتفى بأن يشاطر العامل ما يملك واست أريد أن أحسن هذه الطريقة. ولى عتبة بن أبي سفيان على كنانة فقدم معه بمال فقال عمر ما هذا يا عتبة قال مال خرجت به معي وأجرت فيه قال ومالك تخرج هذا المال معك في هذا الوجه فصيره في بيت المال : وكانت التجارة هي التكاثر التي يتكبر عليها بعض العمال في ثروتهم وكان عمر يمنعهم من التجارة منعاً باتاً وعلى الجملة فشدة عمر على عماله رفعت الرعية معاملته للرعية

على قدر ما كان عليه عمر من الشدة على عماله كانت رأفته ورقته على عامة الناس من رعيته والاهتمام بما يصلحهم ويحس من ذلك بمسؤولية عظمي فكان يقول لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات لخشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب وقال هشام الكعبى رأيت عمر يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديداً فتأنيه بقيد فلا يغيب عنه امرأة ولا بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك أيضا حتى توفي : قال الحسن البصرى قال عمر لئن عشت لاسيرن في الرعية حولاً فاني اعلم أن للناس حوائج تقطع دوني أما عملهم فلا يرفعونها الى وأما هم فلا يصلون الى فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ثم عدد الامصار الكبرى يقيم في كل منها

شهرين (وقد حالت منيته دون هذه السباحة) وروى أسلم قال خرجت مع عمر بن الخطاب الى حرة وأقم حتى اذا كنا بصرار اذا نار توثرت فقال يا أسلم اني أرى هؤلاء ركبا قصرأ بهم الليل والبرد انطلق بنا فخرجنا نهروا حتى دنونا منهم فاذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون فقال عمر السلام عليكم يا أصحاب الضوء (وكره أن يقول يا أصحاب النار) قالت المرأة وعليك السلام فقال أأدنو قالت أدن بخير أو دع فقال ما بالك قالت قصر بنا الليل والبرد قال فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون قالت الجوع قال وأى شيء في هذا القدر قالت ماء أسكتهم به حتى يناموا الله يبدنا وبين عمر فقال أى رحمك الله ما يدرى عمر بكم قالت يتولى أمورنا ويغفل عنا فأقبل على فقال انطلق بنا فخرجنا نهروا حتى أتينا دار الدقيق فأخرج عدلا فيه كبة شحم فقال احمله على قالت أنا أحمله عنك قال احمله على مرتين أو ثلاثا كل ذلك أقول أنا أحمله عنك فقال فى آخر ذلك أنت تحمل عني وزرى يوم القيامة لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه نهروا حتى انتهينا اليها فألقى ذلك عندها وأخرج من الدقيق شيئا وجعل يقول ذرى على وأنا أحرك لك وجعل ينفخ تحت القدر وكان ذا لحية عظيمة فجعلت انظر الى الدخان من خلال لحيته حتى أنضج وأدم القدر وقال ابغنى شيئا فأثته بصحفة قافرغا فيها ثم جعل يقول أطعمهم وأنا أسطح لك فلم يزل حتى شبعوا ثم خلى عندها فضل ذلك وقام وقت معه فجعلت تقول جزاك الله خيرا أنك أولى بهذا الامر من امير المؤمنين فيقول قولى خيرا أنك اذا جئت امير المؤمنين وجدتنى هناك ان شاء الله ثم تنحى ناحية ثم استقبلها وربض

مرأى السبع فجعلت أقول أن لك شأنًا غير هذا وهو لا يكافئ حتى رأيت
الصيدية يضطرعون ويضحكون ثم ناموا وهدءوا فقام وهو يحمد الله ثم أقبل
على فقال يا أسلم ان الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى
أرى ما رأيت فيهم

ومثل هذه الحوادث على صغرها تدل على روح الرجل وشفقته وخوفه
أن يكون مقصراً بحق من ولى عليهم من الرعية

خطب مرة فقال أيها الناس اني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون
خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدكم استئصالاً بما ينوب من مهم أموركم ما
توليت ذلك منكم ولكفى عمر مهماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ
حقوقكم كيف آخذها ووضعها أين أضعها وبالسير فيكم كيف أسير فربي
المستعان فان عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة ان لم يتداركه الله عز وجل
برحمته وعونه وتأنيده : لم يكن عمر يستعمل في تأديب الناس إلا درته وهي
عصا صغيرة كالخصرة كانت دائماً في يده أنى سار وكان الناس يهابونها أكثر
مما تخيفهم السيوف القاطعة

روى الطبري عن إياس بن سلمة عن أبيه قال مر عمر بن الخطاب في
السوق ومعه الدرة خففتي بها خفقة فأصاب طرف ثوبي فقال أمط الطريق
فلما كان في العام المقبل اتينى فقال ياسامة أتريد الحج فقلت نعم فأخذ بيدي
فانطلق إلى منزله فأعطاني ستمئة درهم وقال استعن بها على حجك واعلم أنها
بالخفقة التي خفقتك قلت يا امير المؤمنين ماذا كرتها قال وأنا مانسيتها .

فممر كان مؤدباً حكيماً وأهل درته لم يسلم من خفقتها إلا القلائل من كبار الصحابة

روى راشد بن سعد أن عمر بن الخطاب أتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه فعلاه عمر بالدرة وقال انك أقبلت لآتهاب سلطان الله في الأرض فأحببت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك : والذي أغضب عمر منه هو مزاحمته الناس وعمر كما تعلمون يعشق المساواة لا يرى منها بديلاً

كانت الرعية — مع هذا تهابه مهابة شديدة . روى أسلم أن نفرأ من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا كلم عمر بن الخطاب فإنه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم إليه أبصارنا قال فذكر ذلك عبد الرحمن بن عوف لعمر فقال أو قد قالوا ذلك والله لقد انت لهم حتى تخوفت الله في ذلك ولقد اشتدت عليهم حتى خشيت الله وايم الله لانا أشد منهم فرقا منهم منى

عفته عن مال المسلمين

كان يحب عمر إلى الناس عدله وتسويته ويزيده اليهم حياءً عفته وأمانته فقد كان يرى مال المسلمين مرتعاً وخيماً لمن رتغ فيه حتى أنه كان يقتري على نفسه تقتيراً ربما وجد مساعداً لاعتراض قصار النظر . كان عمر يرى أنه لا ينبغي أن يأكل إلا مما يأكل منه أقل رعيته لا يتجاوز ذلك إلى ما فوقه . كان يأخذ عطاءه من بيت المال ثم يحتاج فيقترض من أمين بيت المال فإذا حل ميعاد الوفاء ولم يجد عنده ما يسدد منه احتال له حتى إذا أخذ عطاءه سدد

منه ولما رأى بعض الصحابة ما يمانيه عمر من الشدة اجتمع نفر منهم فيه
عثمان وعلى وطلحة والزبير وقالوا لو قلنا لعمر في زيادة زبيدها اياه في رزقه
فقال عثمان هلم فانهلم ما عنده من وراء وراء فأتوا أم المؤمنين حفصة بنت
عمر فأعلموها الحال وأوصوها أن لا تخبر بهم عمر فالتقت حفصة عمر في
ذلك فغضب وقال من هؤلاء لاسوأهم قالت لاسبيل الى علمهم قال أنت
بينى وبينهم ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس
قالت ثوبين مشقين كان يلبسهما للوفد والجمع قال فأى الطعام ناله عندك أرفع
قالت حرفاً من خبز شعير فصبينا عليه وهو حار أسفل عكة لنا فجعلتها دسمة
حلو فأكل منها قال فأى مبسط كان يبسط عندك كان أوطأ قالت كساء
تخين نربعه في الصيف فاذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه قال
يا حفصة فأبلغهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدر فوضع الفضول
مواضعها وتبلغ بالترجية فوالله لا ضمن الفضول مواضعها ولا تبلغن بالترجية
وانما مثلى ومثل صاحبي كثلثة سلكوا طريقاً فضى الاول لسبيله وقد تزود
فبلغ المنزل ثم اتبعه الآخر فسلك سبيله فأفضى اليه ثم اتبعهما الثالث
فان لم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وان سلك طريقا غير طريقهم
لم يلحقهما

وكان يتحاشى أن ينتفع أحد من آل بيته بشيء ليس له فيه حق روى
مالك في الموطأ أنه خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش
الى العراق فلما قفلا مرا على أبي موسى الاشعري وهو أمير البصرة فرحب
بهما وسهل ثم قال لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به ثم قال بلى ههنا مال من

مال الله أريد أن أبعث به الى امير المؤمنين فأسلفكماء فتبتاعان به متاعا من متاع العراق ثم تبيعانه بالمدينة فتؤديان رأس المال الى أمير المؤمنين ويكون لكما الربح فقالا وددنا ذلك ففعل وكتب الى عمر بن الخطاب ان يأخذ منهما المال فلما قدما باعا فأربحا فلما دفعا ذلك الى عمر قال اكل الجيش اسلفه قالالا فقال عمر بن الخطاب ابنا امير المؤمنين فأسلفكماء اديا المال وربحه فأما عبد الله فسكت وأما عبيد الله فقال ما ينبغي لك يا امير المؤمنين هذا لو نقص هذا المال او هلك اخمناه فقال عمر أدياه فسكت عبد الله وراجع عبيد الله فقال رجل من جلساء عمر يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضا فآخذ عمر رأس المال ونصف ربحه وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال قالوا وهو أول قراض في الاسلام . ولما ترك ملك الروم الغزو وكتب عمر وقاربه وسير اليه عمر الرسل مع البريد بعثت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب الى ملكة الروم بطيب ومشارب وأحفاش من احفاش النساء ودسته الى البريد فابلغه لها فأخذ منه وجاءت امرأة قيصر وجمعت نساءها وقالت هذه هدية امرأة ملك العرب وبنت نبيهم وكتابتها واهدت لها وفيما اهدت لها عقد فاخر فلما انتهى به البريد اليه امر بامساكه ودعا الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى بهم ركعتين وقال انه لاخير في امر ابرم عن غير شورى من امورى قولوا في هدية اهدتها ام كلثوم لامرأة ملك الروم فاهدت لها امرأة ملك الروم فقال قائلون هو لها بالذى لها وليست امرأة الملك بذمة فتصانع به ولا تحت يدك فتعيقك وقال آخرون قد كننا تهدي الثياب لنسثيب ونبعث بها لتباع ولنصيب شيئا فقال وليكن الرسول رسول المسلمين والبريد يريد هم

والمسلمون عظموها في صدرها فأمر بردها الى بيت المال ورد عليها بقصر
نفقتها . فانظروا كيف كان يشدد مع أهل بيته وذلك اسكيا لا يجد غير
مجالا للعدول عن الجادة . وكان اذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله
فقال اني نهيت الناس عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير
الى الاحم وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله الا أضعفت عليه العقوبة
ميله للاستشارة وقبوله للنصح

كان عمر اذا نزل به الامر لا يبرمه قبل أن يجمع المسلمين ويستشير
فيه ويقول لا خير في امر أبرم من غير شورى وكان لشوراه درجات فيستشير
العامه أول مرة ثم يجمع المشيخة من الصحابة من قریش وغيرهم فما استقر
عليهم رأيهم فعل به . ومن قوله في ذلك "يحق على المسلمين أن يكون أمرهم
شورى بينهم بين ذوى الرأي منهم فالناس تبع لمن قام بهذا الامر ما اجتمعوا
عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ومن قام بهذا الامر تبع الأولى
رأيهم مارأوا لهم ورضوا به من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم فجعل
أولى الامر منفيدين لما رآه أولو الرأي والناس تبع ما أخذ به الامام من
رأى أولى الرأي . وكثيراً ما كان يرى الشيء فيبين له أصغر الناس وجه
الحق فيرجع الى رأيه . رأى مرة مغلاة الرجال في مهور أزواجهن فعزم أن
يجعل للمهر حداً لا يتجاوز به الناس فناده امرأه من أخريات المسجد كيف
وقد قال الله تعالى (وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) فقال
أصابته امرأة وأخطأ عمر وكان يطلب من الناس أن يبلغوه نصائحهم
ويبينون له وجه الحق اذا رأوا منه انحرافاً عن القصد قال مرة في خطبته

أيها الناس ان أحسنت فأعينوني وان صدفت فقوموني فقال له رجل
من أخريات المسجد لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا فسرّه ذلك :
وكان له خاصة من كبار أولى الراى منهم العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله
وكان لا يكاد يفارقه في سفر ولا حضر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف
وعلى بن أبى طالب ونظراؤهم

راى عمر في الاجتماعات

كان عمر يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامة يهوى إليها جميع
الناس على اختلاف طبقاتهم وكان يكره اختصاص الناس بمجالس لان ذلك
يدعوهم إلى أن تكون لهم آراء متفرقة متباينة .» روى ابن عباس أن عمر
قال لناس من قريش بلغنى أنكم تتخذون مجالس لا يجلس اثنان معاً حتى يقال
من صحابة فلان من جاساء فلان حتى تحوميت المجالس وأيم الله ان هذا
لسريع في دينكم سريع في شرفكم سريع في ذات بينكم ولكأنى بمن يأتى
بعدكم يقول هذا راى فلان قد قسموا الاسلام أقساماً أفيضوا مجالسكم
بينكم وتجالسوا معافانه أدوم لألفتكم وأهيب لكم في الناس» وفى الحق ان
ابتعاد الخاصة عن عامة الناس واختصاصهم بافراد يجلسون اليهم مضيع كثيراً
لما ينتظر من تربية الخاصة للعامة ومفيد فائدة كبرى وهي نقل أقوالهم غير
محرقة ولا مشوبة بما يطمس حقيقة تهاثم أن كثرة المجالس تدعو بدون
ريب الى كثرة الاختلاف فى المسائل التى تعرض لهم فتكثر الأقوال المتباينة
فى الدين والذى خافه عمر على الناس وعلى من يأتى قد وقع في كثرت الآراء

المنقولة عن أفراد ذلك العصر ودعا ذلك إلى اختلاف الناس في الدين اختلافا عظيما

الوصف على الجملة

كان عمر يحب رعيته حبا جما ويحب ما يصلحها ويكره ما يفسدها ساسها بسياسة تقربه الى القلوب فكان عفيفا عن أموالهم عادلا بينهم مسويا بين الناس لم يكن قوي يطمع أن يأخذ أكثر من ماله ولا ضعيف يخاف أن يضيع منه ماله كان حكيما يضع الشيء في موضعه يشتد حينما ويلين حينما حسبما توحى اليه الظروف التي هو فيها عرف العرب معرفة تامة وعرف ما يصلح أنفسهم فسيرها في الطريق الذي لا تألم السير فيه فصيرها أمة حرة لا تستطيع أن تنظر إلى خسف يلحقها من أي انسان ولذلك نقول أن عمر أتعب من بعده فان النفوس التي تحتل للعرب ما احتمله عمر قليلة في الدنيا بأسرها والا فأن ذلك الرجل الذي يفنى في مصلحة رعيته ولا يرى نفسه من الحقوق الا كما لا دناءة مع تحمله مشقات الحياة وأتعابها . العربي يستدعي سياسته حكمة عالية فانك ان اشتدت معه أذلته فهلك وان كنت معه ايكون رجلا نافعا لم يكن هناك حد لجفائه ولا لحرية فهو يحتاج إلى عقل كبير يدبره حتى لا تهلكه الشدة ولا يطغيه اللين ولم يكن ذلك العقل الكبير الا في رأس عمر بن الخطاب بعد صاحبيه نعم قد قام بعده خلفاء راشدون وأئمة مهتدون لم يجمعوا صفات عمر التي كان مجموعها كدواء مركب اذا سقط منه أحد العقاقير فرما أهلك صاحبه لذلك نصح بأن العرب بعد عمر

لم يجتمع على أي خليفة في أي زمن من الأزمان حتى وقتنا هذا والسبب معقول

يذكره عمر

١) تزوج عمر في الجاهلية زينب ابنة مظعون من بني جحج من قريش فولدت له عبد الله وعبد الرحمن الأكبر وحفصة أم المؤمنين

٢) وتزوج في الجاهلية مليكة ابنة جروول من خزاعة فأولدها عبيد الله وقد فارقها في هدنة الحديبية

٣) وتزوج قريبة ابنة أبي أمية من بني مخزوم وقد فارقها في الهدنة
٤) وتزوج أم حكيم بنت الحارث بن هشام من بني مخزوم فولدت له فاطمة

٥) وتزوج جميلة بنت قيس من الانصار فولدت له عاصم وهذه طلقها

٦) وتزوج أم كلثوم بنت علي فولدت له زيداً ورقية ومات عنها

٧) وتزوج لهيبة وهي امرأة من اليمن فولدت له عبد الرحمن الأصغر

٨) وتزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو

وخطب أم كلثوم بنت أبي بكر وهي صغيرة وأرسل فيها إلى عائشة فقالت الأمر إليك فقالت أم كلثوم لا حاجة لي فيه فقالت عائشة ترغيبين عن أمير المؤمنين فقالت نعم أنه خشن العيش شديد على النساء فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص فأخبرته فقال أكفيك فأتى عمر فقال يا أمير المؤمنين بلغني خبر أعيدك بالله منه قال ما هو قال خطبت أم كلثوم بنت أبي بكر قال نعم أفرغت بي عنها أم رغبت بها عني قال لا واحدة ولكنها

حدثة نشأت تحت كنف ام المؤمنين في اين ورفق وفيك غلظة ونحن نهياك
وما تقدر ان تردك عن خلق من اخلاقك فكيف بها ان خالفتك في شيء
فسطوت بها كنت قد خلفت ابا بكر في ولده بغير ما يحق عليك قال
فكيف بمأثمة وقد كلمها قال انا لك بها وادلك على خير منها ام كلثوم
بنت علي بن ابي طالب تعلق منها بنسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخطب أم ابان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت يغلق بابي ويمنع خيره
ويدخل عابسا ويخرج عابسا



المحاضرة السادسة والعشرون

مقتل عمر - عمان وكيف انتخب - ترجمته - اول قضية نظر فيها

كتبه إلى الامصار - اول خطبة له - الفتوح في عهده

مقتل عمر

ما كان يظن ان تنتهى حياة ذلك العادل المحب لرعيته الشفيق عليهم
بنضربة خنجر ولكن ذلك كان حتى يعلم الناس انه ليس فى مكنة انسان ان
يرضى الخلق كافة فان عمر اذا كان قد ارضى العرب بما صنعه لهم وارضى
عامّة العجم بما افاض عليهم من العدل فقد اغضب كبراءهم وذوى السلطان
عليهم لانه ثل عروش مجدهم وزلزل قصور عظمتهم

كان المسلمون يسبون من ابناء فارس ويتخذونهم لانفسهم عبيدا
وقد احضروا عددا منهم الى المدينة وكانوا يختلفون الى الهرمزان ملك
فارس الذى اشاع عمر ملكه واقامه بالمدينة كواحد من الناس لافضل له
على واحد

كان من هؤلاء السبايا رجل اسمه فيروز ويكنى بأبى لؤلؤة وهو
غلام للمغيرة بن شعبة فينما عمر يطوف يوماً فى السوق لقيه ذلك الغلام

فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعِدْنِي عَلَى الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَإِنِّي عَلَى خَرَاكٍ كَثِيرًا
قَالَ وَكَمْ خَرَاكُكَ قَالَ دَرَاهِمَانِ فِي كُلِّ يَوْمٍ قَالَ عُمَرُ وَإِيْشَ حِنَاءَتُكَ قَالَ نَجْرُ
نَقَاشٍ حَدَادٍ قَالَ فَمَا أَرَى خَرَاكُكَ بِكَثِيرٍ عَلَى مَا تَصْنَعُ مِنَ الْأَعْمَالِ قَدْ
بَلَغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَعْمَلَ رَحًا تَطْحَنُ بِالرَّيْحِ فَعَلْتُ قَالَ نَعَمْ قَالَ
فَأَعْمَلْ لِي رَحًا قَالَ إِنْ عَشْتُ لَا أَعْمَلَنَّ لَكَ رَحًا تَحْدُثُ بِهَا مِنْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَقَالَ عُمَرُ لَقَدْ تَوَعَّدَنِي الْعَبْدُ أَنْفَاقًا ثُمَّ انْصَرَفَ عُمَرُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا كَانَ
مِنَ الْغَدِ جَاءَهُ كَعْبُ الْأَحْبَارِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْبَدُ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ قَالَ
وَمَا يَدْرِيكَ قَالَ أَجَدُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ التَّوْرَةَ قَالَ عُمَرُ إِنَّكَ لَتَجِدُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
فِي التَّوْرَةِ قَالَ اللَّهُمَّ لَا وَلَسْكَ أَنْ أَجِدَ صَفَتَكَ وَحَيَاتَكَ وَأَنْهُ قَدْ فَنِيَ أَجْلُكَ وَعُمَرُ لَا يَحْسُ
وَجُمَا وَلَا أُلْمًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَهُ كَعْبٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ذَهَبَ يَوْمٌ وَبَقِيَ
يَوْمَانِ ثُمَّ جَاءَهُ مِنْ غَدِ الْغَدِ فَقَالَ قَدْ ذَهَبَ يَوْمَانِ وَبَقِيَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَهِيَ الْكَ
إِلَى صَبِيحَتِهَا . وَلَوْ صَحَّتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ وَكُنْتُ مِمَّنْ يَحْقُقُ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ
مَا تَرَدَّدَتْ لِحُظَّةٍ فِي أَنْ لِكَعْبٍ يَدًا فِي مَقْتَلِ عُمَرَ أَوْ أَنَّهُ كَانَ عَلَمًا بِمَا تَمَّ عَلَيْهِ
الْإِتِّفَاقُ بَيْنَ الْمُؤْتَمِرِينَ عَلَى عُمَرَ وَرَبَّمَا يُقَالُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ فَمَاذَا يَدْعُو كَعْبًا إِلَى
أَنْبَاءِ عُمَرَ بِهَذَا النَّبَأِ وَالْجَوَابُ عَلَى ذَلِكَ سَهْلٌ فَإِنَّهُ يَنَالُ بِذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
مَرْكَزًا عَظِيمًا فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَرَوْنَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ تَوَكُّلَاتِهِ فِيهَا عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ
وَأَنَّهُ صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا يَنْخَبِرُ بِهِ فَلَا يَتَرَدَّدُ سَامِعُهُ لِحُظَّةٍ فِي تَصَدِيقِهِ بِمَا يُوحِي
إِلَيْهِ وَكَعْبٌ هَذَا مِمَّنْ أَفَاضَ عَلَيْنَا ثُرُوءَ مِنَ الْأَخْبَارِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الَّتِي لَا نَدْرِي
حَقِيقَتَهَا وَلَا رَيْبَ أَنَّ فِيهَا شَيْئًا كَثِيرًا هُوَ كَذِبٌ مُحْضٌ لِأَنَّ التَّوْرَةَ بَايَدَيْنَا
وَلَيْسَ فِيهَا مَا أَنْبَأَ ذَلِكَ الرَّجُلَ عَنْهُ

لما كان صبح ثالثه من نبال كعب خرج عمر الى صلاة الصبح وكان
يوكل بالرجال صفوفا يسوونها فاذا استوت جاء هو فكبر ودخل ابو اؤلؤ
في الناس في يده خنجر له راسان نصابه في وسطه فضرب عمر ست
ضربات احداهن تحت سرته وهي التي قتلتها وقتل معه كليب بن ابي البكير
الليثي وكان خلفه فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال في الناس عبد الرحمن
ابن عوف قالوا نعم هو ذا قال تقدم فصل بالناس وعمر طرح ثم احتمل
فادخل داره فنادى عبد الله بن عمر وقال اخرج فانظر من قتاني قال يا امير
المؤمنين قتلك ابو اؤلؤ غلام المغيرة بن شعبه فحمد الله ان لم يقتله رجل سجد
لله سجدة ثم جعل الناس يدخلون عليه المهاجرون والانصار فيقول لهم اعن
ملا منكم كان هذا فيقولون معاذ الله ودخل في الناس كعب فلما رآه عمر
انشأ يقول :

فواعدني كعب ثلاثا اعهدها ولا شك ان القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت اني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب
ثم دعى له الطبيب فلم يجد للقضاء حيلة وتوفي ليلة الاربعاء لثلاث ليال
بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ ودفن بكرة يوم الاربعاء في حجرة عائشة مع
صاحبيه حسبا اوصى بعدان استأذن صاحبة الحجرة وصلى عليه صهيب
حسب وصيته وروى ان طعنه كان يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي
الحجة ودفن يوم الاحد صباح هلال المحرم سنة ٢٤ فتكون ولايته عشر
سنين وخمسة اشهر واحد عشر وعشرين ليلة من متوفى ابي بكر . والصحيح
الاول ومدة خلافته بالتحقيق عشر سنوات وستة اشهر واربعة ايام من

بتداء ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣ الى ٢٦ ذى الحجة سنة ٢٣ وكانت سنة ٩٠٠
مقتل ٩٣ كصاحبه

عثمان بن عفان

٣

كيف انتخب

لما طعن عمر وأحس بالموت طلب اليه أن يعهد الى خليفة من بعده
فتردد وقال ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني (يريد أبا بكر)
وان اترك فقد ترك من هو خير مني (يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم)
وقال لو كان ابو عبيدة حيا استخلفته فان سألتني ربي قلت سمعت نبيك
يقول انه امين هذه الامة ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا استخلفته
فان سألتني ربي قلت سمعت نبيك يقول ان سالما شديد الحب لله فقال له
رجل ادلك على عبد الله بن عمر فقال قاتلك الله والله ما اردت الله بهذا
ويحك كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امراته لا ارب لنا في اموركم
ساحدتها فارغب فيها لاحد من اهل بيتي ان كان خيرا فقد اصبنا منه
وان كان شرا فشرعنا الى الله حسب آل عمر ان يحاسب منهم رجل واحد
ويسأل عن امر محمد ﷺ اما لقد اجهدت نفسي وحرمت أهلي وان نجوت
كفافا لا وزر ولا اجر اني لسعيد

ثم كرر عليه القول بعد هنية طلب الاستخلاف فقال كنت اجمعت
بعد مقاتي لكم ان انظر فأولى رجلا أمركم هو احرامكم ان يحملكم على الحق

وأشار إلى عمر ثم رأى أن لا تحمل أمركم حياً وميتاً عليكم هؤلاء الرهط
الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة على عثمان
أبنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خالا رسول الله صلى الله عليه وسلم والزيبر
بن العوام حواريه وابن عمته وطلحة الخبير بن عبيد الله فليختاروا منهم رجلاً
فاذا ولوا والياً فأحسنوا موازرتة وأعينوه إن أئتمن أحداً منكم فليؤد أمانته
ثم دعا هؤلاء الرهط وقال لهم اني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس وقادتهم
ولا يكون هذا الامر إلا فيكم وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو عنكم راض إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم ولكن أخاف
عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس ثم عين لهم الاجل الذي يتم فيه
الانتخاب وهو ثلاثة أيام من بعد موته وقال للمقداد بن الاسود إذا وضعتوني
في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم وقال لصهيب
صل بالناس ثلاثة أيام وأدخل علياً وعثمان والزيبر وسعداً وعبد الرحمن
ابن عوف وطلحة إن قدم (وكان غائباً) وأحضر عبد الله بن عمر ولا شيء
له من الامر وقم على رؤوسهم فان اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد
فامسح رأسه بالسيف وإن اتفق اربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب
رؤوسهما فان رضى ثلاثة رجلاً وثلاثة رجلاً فحكموا عبد الله بن عمر فأبى
الفريقين حكم له فليختاروا رجلاً منهم فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر
فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان رغبوا عما
اجتمع عليه الناس

فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة

وقيل في حجرة عائشه ولم يكن قد حضر طلحة فكانوا خمسة ومعهم عبد الله بن عمر وأمروا أبا طلحة أن يحجبهم فتنافس القوم في الأمر وكثر بينهم الكلام فقال أبو طلحة أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها لا والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على الايام الثلاثة التي أمرتم ثم اجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون فقال عبد الرحمن بن عوف ايكم يخرج نفسه منها ويتقلدها على أن يوليها أفضالكم فلم يجبه أحد قال فأنا انخلع منها قال عثمان فأنا أول راض ثم تتابع القوم على الرضا وعلى ساكت فقال ما تقول يا أبا الحسن قال أعطني ميثاقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى ولا تحلص ذا رحم ولا تألو الامة فقال عبد الرحمن أعطوني موافيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وغير وأن ترضوا من اخترت لكم وعلى ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ولا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله وبذلك صار الامر في عنق عبد الرحمن بن عوف فدار ليلاليه يلقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن وافى المدينة من امراء الاجناد واشراف الناس يشاورهم ولا يخلو برجل الا أمره بعثمان حتى إذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها الاجل أنى منزل المسور بن مخرمة وأمره أن يدعو اليه الزبير وسعدا فدعاهما فبدأ بالزبير في مؤخر المسجد في الصفة التي تلى دار مروان فقال له خل ابني عبد مناف وهذا الامر فقال الزبير نصيبي لعلي : وقال لسعد أنا وأنت كلاله فاجعل نصيبك لي فاختر قال ان اخترت نفسك فنعم وإن اخترت عثمان فعلي أحب إلي أيها الرجل بايع نفسك وأرحنا قال يا أبا إسحاق أنى خلعت نفسي منها على أن اختار ولو لم أفعل وجعل الخيار الى لم أرد هذا

ثم قال لا يقوم بعد أبي بكر وعمر أحد فيرضى الناس عنه ثم انصرف الزبير وسعد وأرسل المسور إلى علي فجاء ففاجاه طويلاً ثم أرسل إلى عثمان فجاء ففاجاه حتى فرق بينهما الصبح فلما صلبوا الصبح جمع رجال الشورى وبعث إلى من حضر من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الانصار والامراء حتى التبح المسجد بأهله فقال أيها الناس ان الناس قد أحبوا ان يلحق أهل الامصار بأمصارهم وقد علموا من أميرهم فتكلم الناس من جوانب المسجد مبدين آراء لهم فقال سعد يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس فقال عبد الرحمن اني قد نظرت وشاورت فلا تجعل ايها الرهط على انفسكم سبيلاً ودعي علياً فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسنة الخليفتين من بعده قال ارجوان افعل واعمل بمبلغ علمي وطاقتي ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلي فقال نعم فبايعه عبد الرحمن بالخلافة ولما رأى ذلك على تأخر وهو يقول سيبلغ الكتاب أجله ثم اقبل الناس يبايعون عثمان ورجع على يشق الناس حتى بايع عثمان وكانت بيعة عثمان يوم الاثنين ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ٢٣ فاستقبل بمخلافته المحرم

سنة ٢٤

ترجمة عثمان

هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبدشمس بن عبدمناف الاموي القرشي وامه ازوى بنت كريز بن ربيعة بن عبدشمس بن عبد مناف ولد في السنة الخامسة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشب على الاخلاق السكرية والسيره الحسنة حيا عفيفا ولما بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان من السابقين الاولين اسلم على يد ابي بكر وزوجه
عليه السلام بنته رقية فلما اذى مشركو قريش المسلمين هاجر بها الى الحبشة
ثم رجع الى مكة قبل هجرة المدينة فلما اذن الله بالهجرة هاجر اليها هو
وزوجه وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مشاهده ولكنه لم
يحضر بدرًا خلفه عليه السلام لتمرير رقية التي توفيت عقب غزوة بدر
وأَسَهم له الرسول في غنائم بدر ثم زوجه بنته الثانية أم كلثوم وكان في عمرة
الحديبية سفيراً بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلما اشاع غدر
عثمان يابح النبي أصحابه بيعة الرضوان وقال بيده اليمنى هذه يد عثمان ف ضرب
بها على يده اليسرى وكان له في جيش العسرة الى تبوك اليد الطولى فقد أنفق
من ماله كثيراً واشترى بئر رومة بماله ثم تصدق بها على المسلمين فسكان
رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم وقد قال عليه السلام من حفر بئر رومة فسا
الجنة وكان كاتب الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما توفي عليه
السلام كان لابي بكر ثم لعمر أميناً كاتباً يستشار في مهام الامور : ولما قتل
عمر كانت أغلبية الشورى له فاستقبل بخلافته السنة الرابعة والعشرين من
الهجرة (٧ نوفمبر سنة ٦٤٤ م)

أول قضية نظر فيها

شاع عقب ضرب عمر أن قتله لم يكن عمل أبي لؤلؤة وحده بل كان
هناك أشخاص شركوا في دمه فقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر غداة طعن
عمر مررت على أبي لؤلؤة أمس ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى فلما رآهم
ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فانظروا بأى شيء قتل

فجاءوا بالخنجر الذي ضرب به أبو لؤلؤة فاذا هو على الصفة التي وصفها عبيد الرحمن وكان رجل من تيم قدا تبع أبا لؤلؤة فقتله وأخذ منه الخنجر فلما رأى ذلك عبيد الله بن عمر أمسك حتى مات عمر ثم اشتعل على سيفه فأتى الطرمزان فقتله ثم مضى حتى أتى جفينة وكان نصرانيا من أهل الحيرة أقدمه سعد بن أبي وقاص إلى المدينة ليعلم بها الكتابة فعلاه عبيد الله بالسيف ولما سمع بذلك صهيب وهو القائم مقام الخليفة أرسل إليه من أتى به وأخذ منه السيف وسجنه حتى يتم أمر الاستخلاف وينظر في أمره فلما بويع عثمان جلس في المسجد ودعا بعبيد الله بن عمر ثم قال لجماعة المهاجرين والانصار أشيروا على في هذا الذي فتق في الاسلام ما فتق فقال على أرى أن تقتله فقال بعض المهاجرين قتل عمر بالامس ويقتل ابنه اليوم فقال عمرو بن العاص يا أمير المؤمنين ان الله قد أعفاك أن يكون هذا الحدث كان ولك على المسلمين سلطان انما كان هذا الحدث ولا سلطان لك قال عثمان أنا وإليهم وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي وكان ذلك حلا حسناً لتلك المشكلة

كتب عثمان إلى الامراء والامصار

كتب عثمان إلى أمراء الامصار كتاباً عاماً هذه صورته (أما بعد فان الله أمر الائمة أن يكونوا رعاة ولم يتقدم اليهم أن يكونوا جباة وان صدر هذه الامة خلقوا رعاة ولم يخلقوا جباة وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يصيروا رعاة فاذا عادوا كذلك انقطع الحياء والامانة والوفاء ألا وأن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين وفيما عليهم فتعطوهم ما لهم وتأخذوهم

بما عليهم ثم تمتنوا بالذمة فتعطوهم الذي لهم وتأخذوهم بالذي عليهم ثم العدو الذي
تنتابون فاستفتحوا عليهم بالوفاء)

وكتب الى امراء الاجناد بالشغور (أما بعد فانكم حماة الاسلام وذادتهم
وقد وضع لكم عمر مالم يغيب عنا بل كان على ملاء منا ولا يبلغنى عن أحد
منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله بكم ويستبدل بكم غيركم فانظروا كيف
تكونون فاني أنظر فيما أرمى الله النظر فيه والقيام عليه)

وكتب الى عمال الخراج (أما بعد فان الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل
الا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق به والامانة الامانة قوموا عليها ولا تكونوا
أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء
لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم)

وكتب الى العامة من المسلمين بالامصار (أما بعد فانما باغتم ما باغتم
بالاقتداء والاتباع فلا تفتسكم الدنيا عن أمركم فان أمر هذه الامة صائر الى
الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم تدمل النعم وبلوغ أولادكم من السبايا
وقراءة الاعراب والاعاجم القرآن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الكفر في العجمة فاذا استعجم عليهم أمر تكلفوا أو ابتدعوا)

أول خطبة له

وكان أول خطاب له عقيب بيعته أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه
ثم قال (انكم في دار قلعة وفي بقية أعمار فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون
عليه فلقد أتيتم صبحتم أو أمسيتم ألا وان الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم
الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا)

فخانه لا يفضل عنكم . أين أبناء الدنيا واخوانها الذين اثاروها وعمروها وامتعوا
بها طويلا لم تلفظهم ارموا بالدنيا حيث رمى الله واطلبوا الآخرة فان الله
قد ضرب لها مثلا والذي هو خير فقال عز وجل (واضرب لهم مثل الحياة
الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه
الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً : المال والبنون زينة الحياة الدنيا
والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا)

الامصار والامراء لاول عهد عثمان

كانت الامصار الكبرى لآخر عهد عمر وأول عثمان هذه

- (١) مكة وأميرها نافع بن الحارث الخزاعي
- (٢) الطائف وأميرها سفيان بن عبدالله الثقفي
- (٣) صنعاء وأميرها يعلى بن منية حليف بني نوفل بن عبد مناف
- (٤) الجند وأميرها عبدالله بن أبي ربيعة
- (٥) البحرين وما والاها وأميرها عثمان بن أبي العاص الثقفي وهذه
الخمس في الجزيرة العربية

- (٦) الكوفة وما يتبعها وأميرها المغيرة بن شعبه الثقفي
- (٧) البصرة وما يتبعها وأميرها أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري

وهاتان بالعراق

- (٨) دمشق وأميرها معاوية بن أبي سفيان الاموي

- (٩) حمص وأميرها عمير بن سعد وهاتان بالشام

(١٠) مصر وأميرها عمرو بن العاص السهمي

الفتوح في عهد عثمان

كانت مغازي أهل الكوفة الري وأذربيجان وكان بالشغرين عشرة آلاف مقاتل من أهل الكوفة ستة آلاف بأذربيجان وأربعة آلاف بالري وكان بالكوفة اذذاك أربعون ألف مقاتل وكان يغزو هذين الشغرين منهم عشرة آلاف مقاتل فكان الرجل يصيبه في كل أربع سنين غزوة وكانت هذه الغزوات لتأييد الفتح الاسلامي في تلك البلاد والمحافظة على الثغور من أن ينتابها عدو واعادة من شق العصا إلى الطاعة ففي عهد امارة الوليد بن عقبة على الكوفة انتقضت أذربيجان ومنعت ما كانت صالحت عليه فغزاها الوليد حتى رضيت بأن تؤدي ما كانت صولحت عليه وسير سلمان بن ربيعة الباهلي الى أرمينية فشتت شمل المجتمعين بها من أراد نقض الطاعة

وفي عهد امارة سعيد بن العاص فتحت طبرستان (١) سار اليها بجند ككثيف فيه الحسن والحسين ابنا علي والعبادلة ابنا عباس وعمر وعمر و ابن العاص والزبير وحذيفة بن اليمان وغيرهم فقاتل أهل طبرستان حتى طلبوا الصلح

وفي سنة ٣٢ أوغل عبدالرحمن بن ربيعة الباهلي في بلاد الخزر (٢) حتى

(١) بلدان واسمة على شاطئ بحر الخزر قصبتها أمل وطبرستان بين الري وقرمس والبحر وبلاد الديلم والجل

(٢) هي بلاد الترك خلف باب الابواب المعروف بالدر بند

وصل بلنجر وهي أكبر مدنها خلف باب الابواب ولكن الترك تجمعوا عليهم هناك وصادموهم بجمعهم الكبير فأصيب عبدالرحمن بن ربيعة وانهزم المسلمون ففرقوا فرقتين فرقة عادت فقاتلت سامان بن ربيعة الذي كان قد أرسل مدداً لآخيه فنجت وفرقة أخرى أخذت طريق جيلان وجران جعل على ثغر الباب بعد عبدالرحمن أخوه سامان

أما البصرة فكانت مغازيها بلاد فارس وخراسان وثر السند ففي عهد إمارة عبدالله بن عامر انتقض أهل فارس وقتلوا أميرهم عبيدالله بن معمر فسار اليهم عامر وأوقع بهم وقعة شديدة وفي عهد إمارة ابن عامر على البصرة قتل يزيد جرد آخر ملوك الفرس وبموته انتقضت الدولة الساسانية

وفي سنة ٣١ انتقض أهل خراسان فخرج اليهم ابن عامر في جيش كثيف فلما وصل الطيسين وهما بابا خراسان تلقاه أهلها بالصلح ثم سار إلى قهستان فقاتل أهلها حتى طلبوا الصلح فصالحهم ثم قصد نيسابور فصالحه أهلها ثم وجه الاحنف بن قيس إلى طخارستان (١) ثم إلى مرو والروذ فلمقيته جموع هزمها وكانت للاحنف فتوح كثيرة بتلك الجهات ثم سار إلى بلخ فصالحه أهلها ثم ذهب إلى خوارزم فاستعصت عليه فعاد عنها . ولما تم لابن عامر هذه الفتوح عاد إلى البصرة

(١) ولاية واسعة من نواحي خراسان وهي طخارستان العليا والسفلى فالعليا شرقي بلخ وغربي نهر جيحون وبينها وبين بلخ ٢٨ فرسخا والسفلى غربي جيحون أيضا إلا أنها أبعد من بلخ وأضرب في الشرق من العليا وأكبر مدينة بطخارستان طالقان

وأما الشام فقد كانت جمعت كلها معاوية بن أبي سفيان وكانت له غزوات مع الروم فبلغ عمورية وأسكن الحصون التي في طريقه جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة وسير حبيب بن مسلمة بأمر عثمان إلى أرمينية فسار حتى أتى قاليقلا فصالحه أهلها ثم استمر في فتوحه حتى وصل تفلّيس (١)

وفي سنة ٢٨ فتح معاوية جزيرة قبرس وغزاه معه جمع كثير من الصحابة منهم عبادة بن الصامت ومعه زوجته أم حرم بنت مالحان وكان معاوية كثيرًا ما يتمنى غزو الروم في البحر إلا أن عمر كان يمنعه من ذلك لأنه كان يرى الغزو فيه تغريبًا بالمسلمين

كتب عمر إلى عمرو بن العاص صف لي البحر وراكبه فان نفسي تنازعني إليه فكتب إليه عمرو (اني رأيت خلقًا كبيرًا يركبه خلق صغيران ركن خرق القلوب وان تحرك أزعج العقول يزداد فيه اليقين قلته والشك كثرة هم فيه كدود على عودان مال غرق وان نجا برق) فلما قرأه عمر كتب إلى معاوية لا والذي بعث محمدًا بالحق لأجمل فيه مسلمًا أبدًا

فلما كان زمن عثمان أذن له في ذلك وقال لا تنتخب الناس ولا تفرع بينهم فمن اختار الغزو طأأها فاحمله وأعنه ففعل وسار إلى قبرس واملأه من مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح أميرها بنفسه ففتحوها صابحًا على سبعة آلاف دينار كل سنة يؤدون إلى الروم مثلها لا يمنعهم المسلمون من

(١) مدينة أرمينية الأولى وكانت قصبة ناحية جرجان قرب باب الأبواب

ذلك وليس على المسلمين منعهم ممن أرادهم من ورائهم وعليهم أن يعلموا
المسلمين بمسير عدوهم من الروم اليهم ويكون طريق المسلمين الى
العدو عليهم

وقد رتب معاوية أمر الغزو في البحر وأعد لذلك أسطولاً جعل
أميره عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة فكان يغزو كثيراً ما
بين شاتية وصائفة في البحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ولكنه خرج
في يوم طليعة في قارب فانتهى الى المرقى من أرض الروم فنذر به فتكاثروا
عليه وقتلوه

وأما في مصر ففي عهد عمرو بن العاص افتقضت الاسكندرية بسبب
مكاتبات ملك الروم وتسييره اليهم أحد قواده في أسطول عظيم فسار اليها عمرو
وافتحها بعد أن هزم الروم هزيمة منكرة وهدم سور اسكندرية واستولى على
كثير من مراكب الاسطول وسير عمرو وعبد الله بن سعد بن أبي سرح الى أفريقية
وهي السواحل الشمالية للقارة من طرابلس الى طنجة فسار ابن سعد واستولى
على كثير من المدن التي كانت تابعة للروم وانتهى أمره معهم بالصلح على
أن يدفعوا له ألف وخمسمائة ألف دينار

وفي عهد إمارة عبد الله بن سعد بلغه مجيء ملك الروم بأسطول
عظيم فيه مائة مركب فسار اليه ابن سعد بأسطوله وخرج معاوية بنفسه
من الشام بأسطوله ولما اجتمعت مراكب المسلمين تقابلت في البحر
بأسطول قسطنطين فاتفق الفريقان على ربط المراكب بعضها ببعض

ففعّلوا ثم دارت بين الفريقين رحا الحرب على سطح الماء فكانت وقعة
عائلة سموها ذات الصواري وانهزمت فيها مراكب الروم هزيمة منكرة
وجرح ملكهم فانهزم بمن نجا من قومه واستولى المسلمون على كثير من
مراكبهم. ففي عهد عثمان صارت الخلافة الاسلامية دولة بحرية بما صار
اليها من مراكب الروم وبما استحدثته معاوية وعبد الله بن سعد من المراكب
ولم يكن من ذلك بد لحماية الثغور الاسلامية التي كان يشن الروم عليها الاغارة
من وقت لا آخر



المحاضرة السابعة والعشرون

الاحوال الداخلية والفتن

الاحوال الداخلية

لا بد أن نبسط القول فيما كانت عليه أحوال المسلمين في الامصار المختلفة خصوصاً البصرة والكوفة ومصر لان الفتنة الكبرى قد استخدم فيها العامة من هذه الامصار الثلاث

روى الطبري عن الحسن البصري قال كان عمر بن الخطاب قد حجز على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان الا باذن وأجل فشكوه فبلغه فقال ألا اني سئمت الاسلام سن البعير يبدأ فيكون جذعاً ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً ألا فهل ينتظر بالبازل الا النقصان ألا وان الاسلام قد نزل ألا وأن قريشاً يريدون أن يتخزوا مال الله معونات دون عبادة ألا فاما وابن الخطاب حي فلا اني قائم دون شعب الحرة آخذ بحلأقيم قريش وحجزها ان يتهافتوا الى النار — فلما ولي عثمان لم يأخذهم بالذي كان يأخذهم به عمر فانساحوا في البلاد فلما رأوها ورأوا الدنيا ورآهم الناس انقطع من لم يكن له طول ولا مزية في الاسلام فكان مغموماً في الناس وصاروا وزاعا اليهم واملوهم وتقدموا في ذلك فقالوا بما يكون فنكون قد عرفناهم وتقدمنا في التقرب والانقطاع اليهم فكان ذلك أول وهن

دخل على الاسلام واول فتنة كانت في العامة . وقال الشعبي لم يمت عمر حتى ملته قريش وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال ان اخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد فان الرجل ليستأذنه في الغزو وهو ممن حبس بالمدينة من المهاجرين ولم يكن فعل ذلك بغيرهم من أهل مكة فيقول قد كان لك غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبلغك وخير لك من الغزو واليوم الا ترى الدنيا ولا ترالك فلما كان عثمان خلى عنهم فاضطربوا في البلاد وانقطع اليهم الناس فكأن احب اليهم من عمر . وروي الطبري بسنده قال لم تمض سنة من اماره عثمان حتى اتخذ رجال من قريش أموالا في الامصار وانقطع اليهم الناس

وكانت قريش بحسب القاعدة التي كانت متبعة كاعضاء الاسرة . التي لها الامر كبارها مرشحون لان يالوا الخلافة يوما ما وليس هناك نظام يعين سابقهم ولا حقهم ومع هذا فهم متباعدون والعشائر مختلفون الاسرف كان نظر عمر والحال ما ذكرنا دقيقا في الحجز على اعلامهم أن يبارحوا حاضرة الخلافة من الضروري أن نشرح حال المسلمين في عهد عثمان حتى يتضح كيف نتجت تلك الثورة المشؤومة التي جنى المسلمون مرها أحقابا طويلة وهم الى الآن في آلام شديدة من جرائمها

كانت عامة المسلمين حتى آخر حياة عمر لا يعرفون الاختلاف بينهم اذ أن دواعي الاختلاف كانت مفقودة وأكبر داعية لنزوع الشرين العرب أن يختلف رؤساؤهم ثم لا توجد يد قوية شديدة تقف بالمتخلفين عند الحد الذي لا ينبغي أن يتجاوزه . كانت روح عمر تخيف الرؤساء وذوي

الرؤوس النابغة فلا يجدون سبيلا الى نزاع أو شر الى ما وقر في أنفسهم من
الاففة الاسلامية ومتى أمن اختلاف الكبراء فلا معنى لاشتقاق بين الرعية
وظل العدل وارف فوق رؤوسها

ولي عثمان سعد بن أبي وقاص الكوفة وكان معه عبد الله بن مسعود
على الخراج فاقترض سعد من ابن مسعود مالا لاجل ولما حل الاجل جاء
ابن مسعود يتقاضاه فلم يتيسر لسعد السداد فارتفع بينهما الكلام حتى استعان
ابن مسعود باناس من الرعية على استخراج المال واستعان سعد باناس على استنظاره
فافترقوا وبعضهم يلوم بعضا يلوم هؤلاء سعدا ويلوم هؤلاء عبد الله بن مسعود
بلغ هذا الشقاق عثمان فغضب علي الزجاءين فعزل سعدا عن اماره
الكوفة وأبقى ابن مسعود على الخراج وولى الكوفة الوليد بن عقبة وكان
على غرب الجزيرة عاملا لعمر بن الخطاب ولما قدم الوليد كان محببا الى
الناس رفيقا بهم : حدث في زمنه أن شبابا من شباب الكوفة تقبوا على
رجل منها داره وقتلوه وكان له جار قد أشرف على الحادث وراه فاستصرخ
الشرط فجاءوا وقبضوا عليهم وفيهم زهير بن جندب الازدي ومورع بن
أبي مورع الاسدي وشبيل بن أبي الازدي فحوكموا وثبتت عليهم جريمة
القتل فقتلوا فاضطغن آباؤهم لذلك على الوليد وصاروا يتحينون الفرص
للإيقاع به وكانت سماريسمرون عنده ومنهم أبو زيد الطائي وكان
أبو زيد نصرانيا ثم أسلم وكان معروفا بشرب الخمر فأتى أولئك النفوس
الحاقدين على الوليد فقال لهم هل لكم في الوليد يعاقر أبا زيد الخمر فاذا عوا
ذلك بين الناس حتى شاع على ألسنتهم فتوجهوا الى ابن مسعود فاخبروه

بذلك فقال ابن مسعود من استتر عنا بشيء لم تتبع عورتاه ولم تهتك ستره
فأرسل الوليد إلى ابن مسعود فعاتبه في ذلك وقال أيرضى من مثلك بأن
يحبب قوما موتورين بما أحببت أى شيء استتر به إنما يقال هذا للمريب
فتلاحيا واقتربا على تغاضب : ولم يكف ذلك أولئك القوم بل صمموا على
الذهاب إلى دار الخلافة وشكوى الوليد والشهادة عليه بشرب الخمر فقدم
من انتدبوا للشهادة على عثمان ومعهما نفر يعرفهم عثمان ممن قد عزل الوليد
عن الأعمال فاخبروه الخبر فقال من يشهد فقالوا فلان وفلان فسألهما
كيف رأيكما قالوا كنا من غاشبته فدخاننا عليه وهو يقى الخمر فقال عثمان ما يقى
الخمر الا شاربها فأرسل عثمان إلى الوليد فأقدمه المدينة وافق على بوجوب حده
فخدوه حد شارب الخمر وعزله عثمان وولى على الكوفة بدله سعيد بن العاص فخرج
حتى أتى الكوفة ومعه أولئك النفر الذين أوقعوا بالوليد فلما وصلها صعد منبرها
وقال لهم والله انى قد بعثت اليكم وانا كاره وليكنى لم اجد بدا اذا امرت ان اتمر الا
لأن الفتنة قد اطلعت خطمها وعيذها والله لا ضربن وجهها او تعيذنى وانى لرائد
نفسى اليوم ثم نزل وسأل عن الكوفة واهلها حتى خبرهم ثم كتب إلى عثمان (ان
اهل الكوفة قد اضطرب أمرهم وطلب اهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة
والمقدمة والغالب على تلك البلاد وادف ردفت واعرب لحقت حتى ما ينظر
إلى ذى شرف ولا بلاء من نازلتها ولا نابتها : فكتب إليه عثمان) أما بعد
ففضل اهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد وليكن من
نزل اهلهم تبعالهم الا ان يكونوا تنافلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام
به هو بلاء . واحفظ كل منزلته واعطهم جميعا بمسطهم من الحق فان المعرفة

بالناس يصاب بها العدل) فأرسل سعيد الى وجوه الناس وأشرافهم من أهل
الأيام والقادسية فقال لهم أنتم وجوه الناس من ورائكم والوجه يذىء عن الجسد
فأبلغونا حاجة ذي الحاجة وخلة ذي الخلة وأدخل معهم من يحتمل من اللواحق
والروادف وخلص بالقراء والمستمتين لسمر فكمأنا كانت الكوفة بساً شملت
نار فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم وفشت القالة والاذاعة فكتب سعيد إلى
عثمان بذلك فجمع أهل المدينة وأخبرهم بما جاءه من عند سعيد وبقدر تشاؤمه
من حال أهل الكوفة واضطراب أمرهم

كان لسعيد مجلس خاصة وهم من قدمنا صفتهم وكان في بعض الأحيان
يجلس للناس جلوساً عاماً ولا يحجب عن مجلسه بأحد فينما هو ذات يوم في
مجلس العامة وهم يتحدثون إذ قال قائل ما أجود طلحة بن عبيد الله فقال - عبيد
ابن العاص ان من له مثل النشاستج لحقيق أن يكون جواداً والله لو أن لي
مثله لأعاشكم الله عيشاً رغداً فقال شاب حدث والله لوددت أن هذا المطاط
لك (وهو ما كان لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة) فقال
الناس لذلك الشاب فض الله فاك تتمنى له سوادنا ثم نار اليه جماعة من سفهاءهم
فيهم الاشر النخعي وعمير بن ضابيء ونظراؤهما فأراد أبو الشاب أن يمنع
عنه فضربوها كليهما في مجلس سعيد وسعيد يناشدهم وكادت تكون فتننة
عامة لولا أن هدأها سعيد ومنع أولئك نفر من غشيان مجلسه فامتنعوا
ولا هم لهم الا الواقعة في سعيد ومن ولاه فكتب أشراف أهل الكوفة الى
عثمان بذلك وطلبوا منه إخراج هؤلاء نفر من الكوفة فأمر بنفيهم الى الشام
ليكونوا تحت نظر معاوية بن أبي سفيان فلما قدموا على معاوية أراد

استصلاحهم بالمعروف وأكرمهم ثم قال لهم ذات يوم انكم قوم من العرب انكم
أسنان ولكم السنة وقد أدركتم بالاسلام شرفاً وغلبتم الامم وحويتم مراتبهم
وموارثهم وقد بلغني انكم نقمتم قريشاً وان قريشاً لو لم تكن عدتم أذلة كما
كنتم ان أنتمكم لكم الى اليوم جنة فلا تسدوا غنى جنتكم وان أنتمكم اليوم
يصبرون لكم على الجور ويحتملون منكم المؤونة والله لئنهن أوليتاينكم الله
بمن يسومكم ثم لا يحمدكم على الصبر ثم تكونون شركاءهم فيما جررتهم على
الرعية في حياتكم وبعد موتكم فردوا عليه ردّاً دل على تمكن الفتنة في
رءوسهم فرد عليهم معاوية ردّاً شديداً وعلم أنهم لا يصلحون وقال لهم لما ظنوا
أنفسهم في الكوفة مه ان هذه ليست بأرض الكوفة والله ان رأى أهل الشام
ما تصنعون وأنا أمامهم ماملكت أن انهم عنكم حتى يقتلوكم فلعمرى ان
صنيعكم ليس به بعضه بعضاً وكتب الى عثمان بأنه لم يقدر على استصلاحهم
وانه لا يود بقاءهم في الشام فأمره عثمان ان يسيرهم إلى حمص عند عبد الرحمن بن خالد
ابن الوليد فأدبهم عبد الرحمن تأديباً شديداً حتى اظهروا الرجوع والندم
فأمر عثمان ان يعيدهم الى الكوفة فلما عادوا اشتد امرهم في الواقعة بعثمان
وعماله وهؤلاء هم رؤوس الفتنة من اهل الكوفة وهم مالك بن الحمارث الاشتر
وثابت بن قيس النخعي وكميل بن زياد النخعي وزيد بن صولحان العبدي وجنوب
ابن زهير الغامدي وجندب بن كعب الازدي وعروة بن الجعد وعمرو بن
الحق الخزاعي : وفي آخر عهد عثمان خرج سعيد اليه لبيان احوال الكوفة
ولما اراد العودة خرج اليه اولئك الناس ومن استغفوه وقالوا والله لا يدخلها
علينا والياً ابداً ولما علم بذلك عثمان عزله عنهم وولى عليهم ابا موسى الاشعري

حسب طلبهم هكذا كان الحال بالكوفة غلب فيها الغوغاء اهل الحالم وضعف
سلطان الامراء وقوة الطاعة لم يبق لها في نفوس القوم من اثر
وفي البصرة التي هي الحاضرة الثانية للعراق لم تكن الحال خيراً من
ذلك ففي سنة ٢٩ هاج اهلها على ابي موسى الاشعري عاملهم واستغفوا
عثمان منه فعزله عنهم وولى بدله عبد الله بن عامر وكان له في اعمال الفتوح
بالكوفة اثر جيد وكانت امارته تشمل اعمال البصرة واعمال البحرين واثلاث
سنين من امارته باغى ان في عبد القيس رجلاً نازلاً على حكيم بن جبلة وكان
حكيم رجلاً اصماً اذا قفلت الجيوش خنس عنهم فسعى في ارض فارس فيغير
على اهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الارض ويصيب ما يشاء ثم يرجع
فشكاه اهل الذمة واهل القبلة الى عثمان فكتب الى ابن عامر يأمره بحبس
حكيم ومن كان مثله بالبصرة فلا يخرج من هنا حتى تأنسوا منه رشداً فكان
لا يستطيع أن يخرج منها فلما قدم ذلك الرجل المسمى عبد الله بن سبأ
ويكنى بابن السوداء نزل عليه وكان يلقي الى الناس في السر تعاليم خبيثة
واصل هذا الرجل يهودى أظهر الاسلام ليضل الناس فصار يقول لهم عجبت
ممن يقول برجة المسيح ولا يقول برجة محمد فيقبل منه الناس ذلك
ويقول لهم عجيباً لكم ايها المسلمون يكون فيكم اهل بيت نبيكم ثم يقصون
عن امرهم الى ما يماثل هذا الكلام الذي يسهل قبوله لانه جاءهم من قبل تعظيم
نبيهم ورفعة مقامه على سائر الانبياء ثم ما هو قريب من ذلك من استهجان
ترك آله واقصائهم عن امر خلافته فبلغ شئ من خبره عبد الله بن عامر فاحضره
وساله من أنت فقال رجل من اهل الكتاب رغب في الاسلام ورغب

في جوارك فقال ما يبلغي ذلك فاخرج عني فخرج حتى أتى الكوفة فاخرج منها فصار الى مصر وهناك وجد مهابه بعد أن نفث ما نفث بالعراق

أما الامر في مصر فقد كان أشد مما في العراق فإن ابن سبأ لما جاءها التقى الى الناس تعاليمه ومن ضمنها أنه كان لله ألف نبي واسكن نبي وصي وكان على وصي محمد ثم قال محمد خاتم الانبياء وعلى خاتم الاوصياء ثم بعد ذلك من اظلم ممن لم يحجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وتناول امر الامة ثم قال بعد ذلك ان عثمان اخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الامر فحرقوه وابدعوا بالظلم على امريكم واظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الامر فبث دعايته وكاتب من كان استفسد في الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رايهم واظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها في عيب ولاتهم ويكتبهم اخوانهم بمثل ذلك ويكتب اهل كل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون فيقرؤه اولئك في امصارهم وهؤلاء في امصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا الارض اذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يريدون فيقول اهل كل مصر انا لقي عاقبة مما ابتلى به هؤلاء الناس الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فاتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين ياتيك عن الناس الذي ياتينا فقل لا والله ما جاءني الا السلامة فاخبروه بما جاءهم فاشاروا عليه ان يبعث الى

الامصار من يستقي اخبارها ويعلم علم ما فيها فندب لذلك رجلا سيرهم الى
الامصار فسير محمد بن مسلمة الى الكوفة وأسامة بن زيد الى البصرة وعبد
الله بن عمر الى الشام وعمار بن ياسر الى مصر وفرق رجلا سواهم في البلاد
الآخري فأقبل جميعهم الا عماراً فقالوا أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكرهم
أعلام المسلمين ولا عوامهم أما عمار فقد ورد الى عثمان كتاب من عبد الله
ابن سعد بن ابي سرح امير مصر يخبر فيه انه قد استماله قوم بتصر وانقطعوا
اليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملحج وسودان بن حمران وكنانة بن
بشر وكان من اشد المؤلمين على عثمان بمصر رجلا محمد بن ابي حذيفة وكان
الذي دعاه الى ذلك انه كان يتيماً في حجر عثمان فكان عثمان والي اهل بيته
ومحتمل كلهم فسأل محمد عثمان العمل حين ولي فقال يا بني لو كنت رضي ثم
سألتني العمل لاستعملتك ولكن است هناك قال فأذن لي فلاخرج فاطلب
ما يفوتني قال اذهب حيث شئت وجهزه من عنده وحمله واعطاه فلما وقع الي
مصر كان فيمن تغير عليه ان منعه الولاية والثاني محمد بن ابي بكر وقد
كان من الاسلام بالحل الذي هو به وغره اقوام فطمع وكانت له دالة فآزمه
حق فأخذه عثمان من ظهره ولم يدهن فاجتمع هذا الى هذا فصار كما يقول
سالم بن عبد الله بن عمر مذمماً بعد ان كان محمداً وانما مال اليهم عمار بن ياسر لانه
كان كذلك حاقداً على عثمان فقد قال سعيد بن المسيب انه كان بينه وبين
عباس بن عتبة ابن ابي لهب كلام فضر بهما عثمان وكان قدفا
اما الحال في الشام فقد كانت احسن الاحوال لما عرف به معاوية من
لحزم والضبط الا انه كان فيها حادثة استعملها اولئك الضالون في التشنيع

على عثمان وعمله وذلك ان ابن السوداء لما أتى الشام جاء أبي ذر فقال يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله الآن كل شيء لله كأنه يريد أن يحتججه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين فاتاه أبو ذر فقال ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خاقله والأمر أمره قال فلا تقله قال فاني لأقول أنه ليس لله ولا لغيره سأقول مال المسلمين ثم أتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له أبو الدرداء من أنت اظنك يهوديا ثم أتى عبادة بن الصامت فتعلق به وأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر ثم قام أبو ذر بالشام وجعل يقول يامعشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكوا من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فما زال حتى ولم الفقراء بمثل ذلك وأوجبه على الأغنياء وحتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس فكتب معاوية إلى عثمان بذلك فأمره عثمان أن يجهر إليه أبا ذر فأرسله إليه فلما قدم عليه ورأى المجالس في أصل سابع قال بشرا أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار ولما دخل على عثمان قال يا أبا ذر ما لاهل الشام يشكون ذرب لسانك ف أخبره أنه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا فقال يا أبا ذر على أن اقضى ما علي وأخذ ما على الرعية ولا أجبرهم على الزهد وإن ادعواهم إلى الاجتهاد والاقتصاد وكان هذا الرأي الاشتراكي متمكنا من أبي ذر وقد وجد الخليفة أنه رأى فائل فأمر أبا ذر أن يخرج إلى الرينة فيقيم بها ويقال ان أبا ذر هو الذي طلب منه ذلك فسيره وأجرى عليه رزقا وعلى رافع بن خديج مثله وقد توفي

أبوذر بالربذة سنة ٣٢ وكان من السابقين الى الاسلام : اما الحال في المدينة فقد كانت تلك الكتب التي يرسلها السيئون سبباً لكثرة الحديث في عمال عثمان وفشوا القالة حتى تأثرت بذلك نفوس الكثير منهم وفيهم من هو حاقد على عثمان لاسباب تخصه وقد بلغ الحال أن بعضهم واجه عثمان بما يسوءه من الكلام فكان يتحمل ذلك بصبر

لما رأى عثمان كثرة الكلام أرسل الى عماله بالامصار أن يوافو جميعاً بالموسم فقدموا عليه : عبد الله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمر بن العاص فقال لهم وبحكم ما هذه الشكاية وما هذه الاذاعة اني والله خائف أن تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الابن فقالوا له ألم تبعث ألم يرجع اليك الخبر عن القوم ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشيء لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الامر أصلاً وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء وما هي الا اذاعة لا يحل الاخذ بها ولا الانتهاء اليها قال فأشيروا على فقال سعيد بن العاص هذا امر مصنوع يصنع في السر فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فتحدث به في مجالسهم قال فادواء ذلك قال طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم وقال عبد الله ابن سعد خذ من الناس الذي عليهم اذا اعطيتهم الذي لهم فانه خير من ان تدعهم وقال معاوية قد وليتني قوليت قوماً لا يأتيتك عنهم الا الخير والرجلان اعلم بناحيتهما قال فما الرأي قال حسن الادب قال فما ترى يا عمرو قال ارى انك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فارى ان تلزم طريقة صاحبيك فتشتد في موضع الشدة وتلين في موضع

(م - هـ)

اللاين . ان الشدة تنبغي لمن لا يألو الناس شراً واللاين ان يخاف الناس
بالنصح وقد فرشتهما جميعاً اللاين . فترون ان جميعهم اشاروا عليه باستعمال
الشدة مع هؤلاء الذين لا لهم إلا اذاعة الا كاذيب لتنفيذ اغراض في انفسهم
فقال لهم عثمان كل ما اشرتم به على قد سمعت ولكل امر باب يؤتى منه ان
هذا الامر الذي يخاف على هذا الامة كائن وان باب الذي يعلق عليه فكف
به اللين والمؤتاة والمتابعة إلا في حدود الله التي لا يستطيع أحد ان يبادىء
بعبث إحدها فان سده شيء فرفق فذلك والله ليفتحن وليست لاحد على حجة
حق وقد علم الله اني لم آل الناس ولا نفسي والله ان رحا الفتنة لداثرة فطوبى
لعثمان ان مات ولم يحركها فكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم واغترفوا
لهم واذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا فيها . ثم رد الامراء إلى أعمالهم
ولم يأمر بشيء مما اشاروا به وقد عرض معاوية على عثمان ان يسير معه إلى
الشام فأبى وقال لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء وإن كان
فيه قطع خيط عنقي فعرض عليه أن يرسل له جنداً يقيمون معه بالمدينة
للمحافظة عليه فأبى وقال لا أقتر على جيران رسول الله الارزاق بجند يسكنهم
وأضيق على أهل دار الهجرة والنصرة

كان التصميم الذي دبره السبئية أن يشوروا بعد مبارحة أمراءهم
للامصار فلم يتهياً لهم ذلك ولم ينهض إلا أهل الكوفة خرجوا بحجة أنهم
يستعفون عثمان من سعيد بن العاص فخرجوا حتى إذا قابلو سعيداً بالجرعة
ردوه واجتمع الناس على أبي موسى الأشعري وأقره عثمان ولما رجع
الامراء لم يكن للسبئية سبيل إلى الخروج فكاتبوا أشياعهم من أهل

الامصار أن يتوافوا بالمدينة لينظروا فيما يريدون وأظهروا أنهم يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسألون عثمان عن أشياء لتطير في الناس ولتحقق
عليه فخرجت وفود من الأمصار الثلاث حتى قاربت المدينة فلما علم عثمان
بمجيئهم أرسل اليهم رجلين ليعلماء علم القوم وماذا يريدون وكان الرجلان ممن
ناله أدب من عثمان فاصطبروا ولم يضطغنا فلما رأها أولئك القادمون أخبروها
بما يريدون فقالوا انا نريد أن نذكر له أشياء قد زرناها في قلوب الناس ثم رجع
اليهم فنزعهم لهم أننا قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب ثم نخرج كأننا حجاج حتى
نقدم فنحيط به فنخلعه فان أبى قتلناه فرجع الرجلان إلى عثمان وأخبرا ما أخبر
فضحك ثم أحضر هؤلاء القوم وجمع الناس وأخبرهم خبر القوم فأشار عليه
بعض المشيرين منهم أن يقتلهم فقال عثمان بل نغفون تقبل ونبصرهم بجهدنا ولا
نحد أحداً حتى يركب حداً أو يبدي كفرًا إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا
منها مثل الذي علمتم الا انهم زعموا أنهم يذكرونها ليوجبوها على عند
من لا يعلم

قالوا أتم الصلاة في السفر وكانت لا تتم الا واني قدمت بلدًا فيه أهلى
فاتمت لهذين الامرين أو كذلك هو قالوا نعم

وقالوا حميت حمى واني والله ما حميت حمى قبلى والله ما حموا شيئاً لأحد
ماحموا الا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعية أحداً واقتصروا
لصدقات المساكين يحمونها لئلا يكون بين من يلها وبين أحد
تنازع ثم ما منعوا ولا نحا منها أحداً إلا من ساق درهما ومالى من بعير
غير را حلتين ومالى من ناغية ولا راغية واني قد وليت واني أكثر العرب

بعيراً وشاة فالى اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجى أ كذاك هو قالوا
اللهم نعم

وقالوا كان القرآن كتباً فتركتها إلا واحداً ألا وإن القرآن واحد جاء من
عند واحد وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء أ كذاك هو قالوا نعم

وقالوا انى قدر ددت الحكم وقد سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحكم مكي سيره رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الطائف ثم رده
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسول الى سيره ورسول رده أ كذاك هو
قالوا نعم

وقالوا استعملت الاحداث ولم استعمل الاجتماعاً محتماً مرضياً وهؤلاء
أهل عملهم فساوهم عنه وهؤلاء أهل بلده ولقدولى من قبلى حدث منهم وقيل
في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشد مما قيل لى في استعماله اسامة
أ كذاك هو قالوا نعم

وقالوا انى أعطيت ابن أبى سرح مائاًف الله عليه وانى انما نقلته خمس
مائاًف الله عليه من الخمس وكان مئة ألف وقد نقل مثل ذلك أبو بكر وعمر
فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذلك لهم أ كذاك هو
قالوا نعم . وقالوا انى أحب أهل بيتى وأعطيتهم فاما حبي فانه لم يتل معهم على
أجور بل أحمل الحقوق عليهم وأما عطاؤهم فانى انما أعطيتهم من مالى ولا
أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ولقد كنت أعطى
العطية الكبيرة الرجبية من صلب مالى أزمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأبى بكر وعمر وأنا يومئذ حريص شحيح أخين أتيت على أسنان

اهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذي لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا وانى
والله ما حملت على مصر من الامصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله ولقد رددته
عليهم وما قدم على الا الاخماس ولا يحل لى منها شىء فولى المسلمون وضعها
فى أهلها دونى ولا يتفلت من مال الله بفلس فما فوقه وما اتبلغ منه ما
آكل الا من مالى

وقالوا أعطيت الارض رجالا وان هذه الارضين شاركم فيها المهاجرون
والانصار أيام افتتحت فن أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن
رجع الى أهله لم يذهب ذلك ما حوى الله له فنظرت فى الذى يصيبهم مما أفاء
الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقار ببلاد العرب فنقلت اليهم نصيبهم
فهو فى أيديهم دونى . وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه فى بنى امية وجعل ولده
كبعض من يعطى فيه فبدأ بنى ابى العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة
آلاف فأخذوا مئة الف واعطى بنى عثمان مثل ذلك وقسم فى بنى العاص وفى
بنى العيص وفى بنى حرب ولانت حاشية عثمان لاولئك الطوائف

فا كتنى عثمان بهذا الدفاع عن نفسه ولم يفعل شيئا مع ذلك الوغد بل
اعادهم الى امصارهم فتكاتبوا بينهم واتفقوا على ان يخرجوا من امصارهم
كأنهم عمارثم يتوافقوا بالمدينة لتنفيذ ما عزموا عليه نخرج اهل مصر فى
اربع رفاق عليهم اربعة امراء وعددهم بين الستمئة والالف واميرهم جميعا
الغافقى بن حريب العكى ولم يجترؤا ان يعاموا الناس بخروجهم الى الحرب
وانما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء . وخرج اهل الكوفة فى اربع
رفاق عليهم اربعة امراء وعددهم كمدد اهل مصر واميرهم جميعا عمرو بن

الاحم وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعاً حرقوص بن زهير السعدي وكانت أهواء أهل الامصار الثلاثة مختلفة فأهل البصرة كانوا يريدون طلحة لأن ضياعه كانت يملدهم وأهل الكوفة كانوا يريدون الزبير وأهل مصر كانوا يريدون علياً لتعاليم ابن السوداء ووجود ابن أبي بكر وهو ربيب علي وابن أبي حذيفة بينهم : ولما كانوا من المدينة على ثلاثة تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب وناس من أهل الكوفة فنزلوا الاعوص وجاءهم هناك ناس من أهل مصر وتركوا عاصمتهم بذي المروة واتفقوا جميعاً أن يقدموا رواداً ليدخلوا المدينة وينظروا هل وصل المدينة خبرهم لانهم كانوا يخافون أن يستعدهم أهل المدينة بحرب فأرسلوا لذلك رجلين فلما دخلا المدينة كلما علياً وطلحة والزبير وقالوا انما نأتم هذا البيت ونستعفى هذا الوالى من بعض عما لنا ما جئنا لذلك واستأذناهم الناس بالدخول فكلهم أبى ذلك عليهما فرجع الرائدان الى قومهما وأخبراهم الخبر فاجتمع من أهل مصر نفراتوا علياً ومن أهل البصرة نفراتوا طلحة ومن أهل الكوفة نفراتوا الزبير فسلم المصريون على علي وعرضوا له بالامر فرد عليهم ردّاً شديداً وكذلك فعل طلحة والزبير بمن جاءهم فخرج القوم وأروهم أنهم راجعون حتى انتهوا الى عساكرهم وهى ثلاث مراحل كي يفترق أهل المدينة ثم يكبروا راجعين فاقترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة الا والتكبير في نواحيها فنزلوا مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان وقالوا من كف يده فهو آمن فلزم الناس بيوتهم فأتاهم على فكلهمهم وقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم

قتل المصريون أخذنا مع البريد كتابا بقتلنا وقال الكوفيون والبصريون
 جئنا لنصر اخواننا كما كنا كانوا على ميعاد فقال لهم على كيف علمتم يا أهل
 الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم
 نحونا هذا والله أمر أبرم بالمدينة قالوا فضعوه كيف شئتم لا حاجة لنا في هذا
 الرجل ليعزلنا ثم قالوا اعلني ان الله قد أحل لنا دم هذا الرجل قم معنا اليه قال
 والله لا أقوم معكم إلى أن قالوا فلم كتبت اليها فقال على والله ما كتبت
 لكم كتابا فنظر بعضهم إلى بعض (تأملوا كيف استعمل المفسدون
 الاسم ليهيجوا الناس) : ثم تركهم على وخرج من المدينة . ثم دخلوا بالكتاب
 على عثمان فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا فقال انما هما اثنتان أن تقيموا على
 رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله الا هو ما كتبت ولا أمليت
 ولا علمت وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقدينقش الخاتم
 على الخاتم فقالوا قد والله أحل الله دمك وتقضت العهد والميثاق فتركهم عثمان
 وكان القوم يحاولون منه أن يخلع نفسه من الخلافة وهو يأبى وكان لا يزال
 يصلي بهم ثم منعه من الصلاة في المسجد وحصروه في داره . وكان عثمان
 يدون ريب يفكر وهو محصور أن على بن أبي طالب لم يفعل ما يمكنه لرد هؤلاء
 الناس فكانت بينهما المراسلات يطلب اليه فيها ان يجتهد في تخفيف
 هذا الحصار عنه ومن ذلك ما رواه ابو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه
 الكامل ان عثمان كتب الى على وهو محصور (اما بعد فقد بلغ السيل الزبي
 وجاوز الحزام الطبيين وبلغ الامر أشده ثم تمثل بهذا البيت
 فان كنت ما كولا فكن خيرا كل والا فادركني ولما أمزق)

وكانت حاشية عثمان من بنى أمية ترى أن اهلى ضلما فى هذا الامر فكانت الوجوه تتقابل عابسة وتبدى عما فى القلوب العميون فلم يكن هناك سبيل لعمل صالح فى مصلحة المسلمين وقد أدت الحال الى أن ترك على المدينة رأسا فى هذه الفتنة التى نظن أنه لم يكن فى إمكانه قمعها إلا أنه كان هناك شيء واحد فى هذا الوقت الحرج وهو تناسى كل ما فى النفوس لان الامر كان أعظم من أن يذكركل فريق عيب صاحبه ولا يغيب عن الفكر أن رؤوس المسلمين لو كانت متفقة تماما لأمكنهم أن يقاوموا هذا السيل الذى أقبل عليهم ولكن القلوب كانت قد انصدعت الفتها فغلب السفهاء على الامر وفعلوا ما فعلوا . لو كان هناك نظر بعيد لرؤس المسلمين الذين كانوا بالمدينة وفيهم القواد العظام والأئمة الاعلام لما كان لسفهاء الامصار مهما كثر عددهم ان ينفذوا رغبتهم التى فرقت كلمة المسلمين

استمر الحصار على عثمان واشتد عليه حتى منعه الماء فكان لا يصل منه اليه شيء الا خفية وكان عثمان يطل عليهم من آن لآخر ويعظمهم فلا تؤثر فيهم الموعظة ثم شددوا عليه الحصار لما بلغهم أن جنداً من الامصار اقبلت لنصر عثمان . وفى اثناء الحصار ولى عبد الله بن عباس موسم الحج وكتب معه كتابا مطولا يقرؤه على المسلمين فى الموسم ويعلمهم بما هو فيه فسار ابن عباس اميراً على هذا الموسم فقرأ الكتاب على المسلمين ولكن ذلك جاء بعد ان فات الوقت

اراد المحاصرون التعجيل بالامر خوفا من خطر يفاجئهم فأحرقوا ابواب الدار ومنهم من تسور من دار ابن حزم وكان جاراً له ولما رأى ذلك عثمان استسلم

للقضاء وأمر من يريد الدفاع عنه أن ينصرف وهم قليلون لا يغنون شيئاً :
دخل عليه جماعة فيهم محمداً بن أبي بكر مريداً قتله فلم يصنع شيئاً فتقدم
غيره فضربه الغافقي بحديدة كانت معه وجاء سودان بن حمران ليضربه فأكبت
على عثمان زوجه البارة نائلة بنت الفرافصة واتقت السيف بيدها فتعمدها
ونفخ أصابعها فاطعن أصابع يدها ثم اهوى له بعضهم فضرب عنقه وانتهبوا ما في
البيت وأخرجوا من فيه ثم اتوا بيت المال فانتهبوه واذاعوا بالمدينة خبر قتله
وكانت مدة حصاره اثنين وعشرين يوماً وكان قتله لثمانى عشرة ليلة خلت
من ذى الحجة سنة ٣٥ (٢٠ مايو سنة ٦٥٦) وذلك افتتاح التاريخ المشؤوم



المحاضرة الثامنة والعشرون

أسباب مقتل عثمان — بيت عثمان — على وكيف انتخب —

ترجمته — أول خطبة له — أول اعماله

اجمال الاسباب التي أدت الى قتل عثمان

بعد ان اتينا على تفصيل الحوادث التي ادت الى هذه الفاجعة نقبل
بيان مجمل لما يستنتج من تلك الحوادث

السبب الاول

مهما كان رؤساء الامة مخلصين بعضهم لبعض يتعاونون فيما بينهم
على قضاء المصالح العامة فقاموا بحمد مريد السوء سبباً للفتن والثورات واذا
انصدع شمل القلوب وحلت الكراهة محل المحبة والتحاسد محل التناصر
انفسح المجال لرواد الفتن ومحبي الاضطراب وعلى هذا كان الحال في المدينة
حاضرة الخلافة وجمع رؤساء المسلمين والمرشعين منهم لولاية الامر فان من
يتصفح احوالهم وما كان يبدو على السنتهم من الكلمات الشديدة المؤلمة
في حق عثمان سواء في وجهه وفي غيبته بحكم ان النفوس قد انطوت على
سكروحه حتى كانوا يلقبونه في بعض الاحيان نعثلاً ونعثل رجل مصرى
كان طويل اللحية شبهوه به للغض منه ويقول في لسان العرب انهم لم يجدوا
فيه عيباً سوى هذا وحتى قام من بينهم رجل اخذ العصا التي كان عثمان

يخطب عليها فكسرهما وهي عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثرت كلمات في حق عثمان عن كثير من كبراء المدينة كل ذلك يقال ويفعل من غير بيان الأسباب التي أدت بهم إلى مثل هذا ومن غير نظر إلى ما أحدثته هذه الكلمات بين العامة خصوصاً إذا صادفت مهيجين مثيرين

السبب الثاني

كان عثمان معروفاً بخلق الحياء واللين أما الحياء فقد كان مشهوراً به في جاهليته وفي إسلامه حتى قال في حقه عليه السلام (الا استحيي من رجل تستحيي منه للملائكة) وخلق الحياء يحمل صاحبه على الاغضاء عن كثير مما يكره اما اللين فان الرجل كان كثير التشاؤم يخاف الفتن على المسلمين ويود ان لا يكون فتحة بابها على يده يعرف ذلك من استقرار خطبه وكتبه حتى ان خطبته التي قالها على المنبر لأول مرة لم تخل من هذا دعاء الخلق الاول الى التسامح مع من يناله منهم اذى في حق نفسه فلا يوجد الى واحد منهم كلمة تسوء وهذا وان حسن عند الحكماء فانه لا يحسن ابداً في سياسة الرعية بل لا بد لمقام الخلافة من هيبة في القلوب تقف بالناس عند الحد الاثني بهم : انظروا الى ما فعله عمر مع سعد بن ابى وقاص حينما زاحم الجموع المحيطة بعمر ووصل اليه مدلاً بمركزه فانه خفقه بالدرة وقال جئت لاتهيب سلطان الله في ارضه فأحببت أن اعلمك أن سلطان الله لانهابك فلا بد لسلطان الله من قوة تمنع عنه ضعفاً او ذلة : والخلق الثاني جعله يمتنع عن عمل اى تدبير لمعاوية المفسدين الذين رفعوا اليه وثبت انهم يدبرون حركة الفتنة من غير مبالاة اشارة عليه ولاته حينما جمعهم لديه

بالمومنين أن يستعمل الشدة مع أولئك الذين يشيرون العامة بما يضمونهم من
الاحاديث الملققة وكانت كلمة العمال في ذلك واحدة فلم يعبا بقولهم بل اختار
الذين على الشدة ثلثا يكون فاحشاً باب الفتنة الذي يخيفه : ثم جاءه بالمدينة
نفر من أولئك الناس وعلم مقصدهم وأشار عليه مشيره من أهل المدينة بعقوبتهم
فلم يفعل بل اكتفى بان دافع عن نفسه أمامهم بتلك الخطبة التي تلونها عالياً
ثم تركهم يعودون الى بلادهم فما زادهم ذلك الا فساداً لانهم ليسوا بطلاب
حق تنفعهم الذكرى وتقنعهم الحجة وانما هم طلاب شر يتطلبون الطريق
اليه فكلمنا أعجزهم باب عدلوا الى غيره

السبب الثالث

ما خالف به عثمان صاحبه عمر في أعلام قریش فان عمر كان يحجر
عليهم في المدينة فلا يسمح لهم أن يبارحوها الا باذن وأجل فلما جاء عثمان
سمح لهم بذلك وكان هذا لهم مما حبه اليهم ولكن ترتب عليه ما حذر عمر
فانه قد اجتمع اليهم أناس من لا سابقة لهم في الاسلام والتصقوا بهم
وتقربوا اليهم حتى اذا كانت الامر لهم في يوم من الايام كانوا أقرب الناس
اليهم فنبه بذلك ذكرهم والا فلماذا كان أهل البصرة يريدون طاعة وأهل
الكوفة يريدون الزير وأهل مصر يريدون علياً . صحيح أن علياً لم يجي
مصر ولكن جاءها من هو أمس الناس به رحماً وهو محمد بن أبي بكر
ريبيه لان أمه أسماء بنت عميس تزوجها على بعد موت أبي بكر وكان محمد
في حجرها فرباه على فلم تكن طلبات أهل الامصار الا نتيجة لما فعل
عثمان وانقطاع العامة الى أولئك الاعلام أول من هو منهم بسبيل حتى

يكون لهم شأن إذا انتقلت الخلافة إلى صاحبهم ولذلك لما تم الأمر لصاحب
المصريين ولم يتم الأمر للآخرين اجتماع عليه . لا يمكن من قرأ تفصيل الحوادث
التي سبقت قتل عثمان أن ينفي عن أعلام قريش اطلاعهم إلى ولاية الأمر
ولكن من الصعب أن يثبت على أحدهم اشتراك حقيقي مع المتآمرين
والذي يؤخذ عليهم هو هوانهم في القيام بنصرة عثمان خليفة المسلمين
واسترسال بعضهم في الأقوال التي تحط من قدره حتى وقت اشتداد
الازمة وعلى مسمع من رؤساء الثائرين الذين يشتد هياجهم بمثل هذه
الكلمات

السبب الرابع

سهولة التأثير في الجماعات متى أتوا من قبل ما يهون وما يحبون
وهم في هذه الأحوال لا يصبرون حتي يتثبتوا مما يلقي عليهم بل سرعان ما
يصدقونه ويألمون له إن كان مؤلماً ويسرون إن كان ساراً : كان الناس مسلمين
يحبون نبيهم أكثر مما يحبون أنفسهم عرباً يحبون العدل والمساواة كما عودهم عمر
جاءهم ذلك الشيطان عبد الله بن سبأ من الجهة التي يالفونها وهي نقطة ضعفهم
صار يضع لهم الكلام في تعظيم الرسول وأهل بيته ويعسو بهم على بن
أبي طالب وصى رسول الله كما كان لكل نبي وصى وأنه من اللازم أن يعطى
الأمر لصاحب الحق لأن من اجتراً عليه فأخذه منه ظالم غاشم ثم صار
يزيد على ذلك ما يدسه مدحا لعل بن أبي طالب حتى علا به إلى درجة لم يطلبها
على لنفسه ومثل هذا الكلام يسهل ادخاله في القلوب خصوصاً إذا كان
قد سبقه شيء من الضغينة على من بيده أمر الخلافة ولذلك نرى

الرجل كان يقتبِع من أصابهم من ولاية عثمان أذى في نفسه أو ماله ثم جاء من قبل العدل والمساواة فصار يضمن في أمراء عثمان مرة بأنهم شبان وم بأنهم من ذوى قربه ومرة بأنهم ظلمة يسومون الناس خسفا والذين كما يؤيدونه لاغراض في أنفسهم اشتغلوا في الامر بمهارة فصارت شيعتهم كل مصر تكتب الى مصر الآخر بما عندهم من الخزائن فيقرأ كُتب على العامة علنا فيستغيثون بالله مما حل بأهل ذلك المصر ومن ذا المصر نفسه تكتب كُتب ترسل الى مصر الاول فتقرأ على العامة فيستغيثون بالله مما حل باخوانهم ويقولون نحن في عافية مما ابتلى به هؤلاء الناس ح امكنهم ان يوغروا صدر العامة التي تجتمع عليهم وايس لما يكتبون صه فقد كانوا يعيبون معاوية وهذا لم يوجد عثمان بل ولاده رسول الله ص الله عليه وسلم وولاده ابو بكر وولاده عمر ولم نر من العمال من استمر موثو به من عمر حياته كلها الا افرادا قلائل منهم معاوية بن ابي سفيان فقد كما واليا من اول حياة عمر الى آخرها وكانت الشام اعدل ولايات المسلمين واهداء وكانوا يعيبون عبد الله بن سعد بن ابى سرح لانه ظالم او جائر وانما لاه آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بقتله يوم الفتح ثم استوهبه من عثمان فعفا عنه ولم يعلموا ان الرسول كان اذا عفا فانما جر على الذنب ستر لا يزول وكانوا يعيبون مثل الوليد بن عقبة وهذا كان واليا لعمر بن الخطاب ومات عمر وهو وال له وكانوا يعيبون سعيد بن العاص وهو باعتراف اهل البصرة من اجود العمال واحكمهم بالقسط فلم تكن هذه المذام موجهة بحجة لرفع جور وانما كانت للتأثير في قلوب الناس وهم يتأثرون بسرعة من مش

هذا القول وساعدهم على ذلك أن أولياء الامر لم يبادروا بأخذ الخيطة لان العمال لم يكن لهم مثل ذلك السلطان والخليفة حذر من أن يأمر بذلك فضاقت مصالحة الامة : واذا أردنا أن نحمل الناس في ذلك الوقت تبعه أعمالهم وجدنا عثمان أقلهم تبعه في ذلك لان الحلم واللين لم يكونا في زمن من الازمان مما يتجنى به على أولى الامر والتبعة يحملها من مهدوا السبيل لذلك من الغريب بعد ذلك ان تبقى هذه الحادثة سبباً دائماً لتفريق كلمة المسلمين . ففي بعض الاحيان فرقة عملية تنوسط فيها السيوف والاسنة وفي بعض الاحيان فرقة كلامية تنتهي بعداء ونفور وليس ذلك الا لان المسألة ألّبت ثوب الدين وكل حاول الوصول بما يشته وما يختلفه الى غرض من الإغراض . ولو نظرنا الى المسألة بنظر صحيح اقلنا خليفة من خلفاء المسلمين غضب عليه بعض رعيته بعضهم سيء القصد والبعض الآخر تابع لهم ثم قاموا عليه وحصلوه وقتلوه بشكل وحشي لا يتفق مع أصول الاسلام ثم حكموا بأنهم اخطأوا وخطأ عظيم ثم ذهبوا إلى من له الحق أن يدينهم ولم يبق منهم من يمكننا الانتقام منه لسوء قصده او تبين الصواب له لخطئه . وغاية الامر ان الباقي لنا من كل ذلك هو الاستفادة مما كان . فالعاقلة هم ان يتعلم ويفهم لا ان يحقد على قوم لم تبق منهم باقية

لا يمكن حماية الامة من أصحاب المقاصد السيئة الذين يريدون فتحها وتهيجها لغير مصالحها الا ان كان فيها من العقلاء من يحترم رأيهم وتسمع كلمتهم فانهم يبصرون قومهم بما يعود عليهم بالخير والفلاح : وكل امة فقدت هؤلاء السراة العقلاء سهل على مثل ابن سبأ ومن ولف لفه ان

يفتنوها ويلفتوها عما يصلحها ويجهلوا بأسها بينها شديداً : وهم في كل زمن
كثيرون فما ظنك ان كان سراها ممن يساعد على فتح باب السر باغضائه
وتهاونه ان الشر حينئذ يكون مستطيئاً والبلاء عظيماً وسير دعايكم من ذلك
شيء كثير

دفن عثمان

من غريب ما فعله اولئك الثائرون انهم لم يصرحوا بدفن عثمان ولم
يدفن الا بصعوبة واستتار . خرجوا به بعد المغرب فدفنوه ولم يشيع جنازته
إلا نفر قليل وصلى عليه جبير بن مطعم
بيت عثمان

١ - ٢ تزوج عثمان بمكة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وولدت
ولداً اسمه عبد الله فماتت ثم تزوج بعدها ام كلثوم اختها
٣ - وتزوج فاخته بنت غزوان من قيس عيلان وولدت له عبد الله
الاصغر فمات

٤ - وتزوج أم عمرو بنت جندب الدوسي فولدت له عمرًا وخالداً واباناً
وعمر ومريم
٥ - وتزوج فاطمة بنت الوليد المخزومية فولدت له الوليد وسعيداً
وام سعيد

٦ - وتزوج ام البنين بنت عيينة بن حصن الفزارية فولدت له عبد الملك
ومات

٧ - وتزوج رملة بنت شيبه من بني عبد مناف فولدت له عائشة وام

ابان وام عمرو

٨ - وتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبيّة فولدت له مريم وقد توفى
وعنده فاخته وام البنين ورملة ونائلة
عمال عثمان

العلاء بن الحضرمي على مكة - القاسم بن ربيعة الثقفي على الطائف -
يعلي بن منية على صنعاء - عبد الله بن ربيعة على الجند - عبد الله بن
عامر على البصرة - سعيد بن العاص على الكوفة - عبد الله بن سعد
على مصر - معاوية بن ابي سفيان على الشام



على بهه ابى طالب

٤

كيف انتخب

لم تمكن الظروف التي حصل فيها انتخاب على بن أبي طالب مشابهة لما كان عليه الحال في انتخاب من قبله فانه عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلام الصحابة بالمدينة فاختلفوا قليلا ثم تابوا إلى الجماعة وأجمع رأيهم على انتخاب أبي بكر . وعقب وفاة أبي بكر لم يكن ثم مجال للخلاف لانه كان قد عهد الى عمر فرأى المسلمون وجوب طاعته : وعقب وفاة عمر كان قانون الشورى قد سن لهم فأصاب الانتخاب عثمان فكان عمر قد عهد الى واحد من ستة يعينونهم وبين الحدود في المخالف : أما عند موت عثمان فلم يكن الأمر كذلك فالمدينة فيها جماعة الشوار على عثمان وهم قاتلوه وهم أوزاع متفرقون من أمصار مختلفة لم يكن لهم ذكر الا بهذه الثورة وليس عدد من بشيء أمام جنود الامصار التي لم يكن لها اشتراك في الجريمة : وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير منهم من كان خارج المدينة ومنهم المرابطون في الثغور ومنهم العمال ومنهم من كان مقيما بالمدينة

كانت الكلمة العليا في المدينة اذذاك بطبيعة الحال لهؤلاء العايشين الذين قتلوا الخليفة ولم يكن في نظر جمهورهم أليق من على للخلافة فكلموه في البيعة

له فامتنع قليلاً ثم أجاب الى ذلك : ويقول الكوفيون أول من بايعه الاشتر وكان من المهم عنده أن يبايعه طلحة والزبير لانهما زميلاه في الشورى وان تطلع الى الخلافة أحد دونه فهما . روى الطبرى عن الزهرى أنه دعاها الى البيعة فتلكأ طلحة فقام مالك الاشتر وسل سيفه والله لتبايعن اولاً ضربن بهما بين عينيك فبايعه وبايعه الزبير . وروى أن علياً قال لهما ان أحببتما أن تبايعانى وان أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقال بعد ذلك انما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وقد عرفنا انه لم يكن ليبايعنا وجرى بسعد بن ابى وقاص ليبايع فقال له لا ابايع حتى يبايع الناس والله ما عليك منى بأس قال خلوا سبيله . وجرى بعبد الله بن عمر ليبايع فقال لا ابايع حتى يبايع الناس قال ائتنى بحميل قال لا ارى حميلاً قال الاشتر خل عني اضرب عنقه : قال على دعوه انا حميله انك ما علمت لسيء الخلق صغيراً وكبيراً : وتخلف من الانصار جمع منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وابو سعيد الخدرى ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة وكان هؤلاء عثمانيه يميلون الى عثمان : وهرب قوم من أهل المدينة الى الشام ولم يبايعوا علياً ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة وبايعه من عدا هؤلاء من أهل المدينة الا من فر ولحق بالشام

ترجمة على

هو علي بن ابى طالب بن عبد المطلب بن عبد مناف وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشقيق والده وامه فاطمة بنت اسد : ولد قبل الهجرة باحدى وعشرين سنة ولما ارسل الرسول عليه السلام كان على مراهماً وكان مقامع

الرسول في بيته تخفيفاً على ابيه فكان من اول من اجاب الى الاسلام وكان له الشرف العظيم ببياته موضع الرسول لاية ان ترك مكة مهاجراً حتى لا يرتاب المتصدون في وجوده بيته ثم هاجر بعد ان ادى الودائع التي امر ان يسلمها لاهلها وبعد الهجرة زوجته عليه السلام بنته فاطمة وحضر كل مشاهده عليه السلام ما عدا غزوة تبوك فان الرسول خافه فيها على اهله وكان له الاثر المحمود والمقام الذي لا يجهل في جميع الغزوات وكان شجاعاً يخوض الغمرات ولا يبالي بشدة وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما لحق الرسول بربه كان علي يرى في نفسه انه احق بالخلافة ممن عداه وكان يظن ان الناس لا يعدلون به غيره لما له من شرف القرني والصهر والكن المسلمين رضوا ابا بكر للخلافة فلم يبايع الا بعد ان ماتت فاطمة كحليل ولما عهد ابو بكر لعمر ورضي به المسلمون بايع معهم الا انه كان بدون ريب يرى انه احق بالامر من عمر كما كان احق من ابي بكر وكان في عهد عمر كالمستشار يستشير عمر كثيراً في الاحكام الشرعية ولما عهد عمر الى الشورى دخل معهم وكان يغلب على ظنه ان تكون الاغلبية له الا انها لم تصادفه وصرفت عنه الى عثمان فرضي وبايع ولم تكن علاقته بعثمان في آخر حياته حسنة الظاهر حتى ان اسمه استعمل للتغريير بالناس حتى يهيجوا على خليفتهم وحتى خاطبه بعض اهل مصر قائلاً ان لم تقم معنا فلم كتبت اليكنا ولكن تبرا من ان يكون كتب وحلف على ذلك. ولما انتهى امر عثمان ببيع بالخلافة على نحو ما فصلنا قبل ذلك بعد قتل عثمان بخمس ليال

اول خطبة له

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان الله عز وجل أنزل كتابا هاديا بين فيه الى الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر . القرائض أدوها إلى الله سبحانه يؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرما غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد المسلمين والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل أذى المسلم الا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فان الناس أمامكم وان ما من خلفكم الساعة تحذوكم تحففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس اخراهم اتقوا الله عباده في عباده وبلاده انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم . أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه واذا رأيتم الخير فخذوا به واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض

ولما أراد على الذهاب الى بيته قال له السبئية فيما قيل

خذها اليك واحذرنا بأحسن	انا نمر الامر امرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن	بمشرقيات كغدران اللين
ونطمع الملك بلين كالشطن	حتى يمرت علي غير عنن
فقال على وذ لك ما كان	

اني عجزت عجزه لا أعتر	سوف أ كس بعدها واستمر
أرفع من ذبلي ما كنت أجر	وأجمع الامر الشتيت المنتشر
ان لم يشاغبني العجول المنتصر	أو يتركوني والسلاح يبتدر
ولما تمت البيعة جاءه جماعة من الصحابة وقالوا له انا قد اشترطنا اقامة	

الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركو في دم هذا الرجل وأحلوا بأ أنفسهم فقال لهم
 اني لست أجهل ما تعلمون ولكني كيف أصنع بقوم يملكون تناولا لما فيكم هاشم
 هؤلاء قد ثارت معهم بعد انكم وثابت اليهم إعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا
 فهل ترون موضعاً القدرة على شيء مما تريدون قالوا لا قال فلا والله فلا أرى إلا رأياً
 ترونه ان شاء الله ان هذا الامر أمر جاهلية وان هؤلاء القوم مادة وذلك أن
 الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الارض من أخذها أبداً ان الناس من
 هذا الامر إن حرك على أمور : فرقة ترى ماترون وفرقة مالاترون وفرقة
 لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب واقعها وتؤخذ الحقوق فاهدأوا
 عني وانظروا ماذا يأتكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين
 الخروج وانما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم وبعضهم يقول والله
 ازداد الامر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الا شرار لترك هذا الى ما قال على
 أمثل وبعضهم يقول نقضى الذي علينا ولا تؤخره والله ان عليا لمستهفن برأيه
 وأمره عناد لا نراه الا سيكون على قريش أشد من غيره

أول أعمال على

رأى على أن يكون أول أعماله عزل جميع ولاية عثمان قبل أن تصل اليهبيعة
 أهل الأمصار وقد حذر عاقبة ذلك المغيرة بن شعبة وأولوا بن عباس ثانياً فبني ذلك
 إباء تاماً كاه قد وقر في نفسه إن هؤلاء العمال لا يصلحون لان يلوا شيئاً من
 أمر المسلمين وأن الابقاء على واحد منهم يوماً كاملاً نقص في دينه ولو كان الامر
 قد استتب وبايعه أهل الأمصار لما كان في عزل الولاية شيء لان الخليفة هو
 الذي يعطي الولاية سلطانهم فهو حر في اختيار عماله ولكن هذه السرعة

الغريبة لم تفهم مع أنه قيل ان يؤخر الحد على قتلة عثمان حتى يهدأ الناس مع ان هذا حد من حدود الله

فرق العمال على الامصار فأرسل عثمان بن حنيف إلى البصرة وعمار بن شهاب إلى الكوفة وعبيد بن عباس إلى اليمن وقيس بن سعد بن عباد إلى مصر وسهل بن حنيف إلى الشام

فاما سهل فانه خرج حتى أتى تبوك فلقىته خيل فسأوه من انت فقال أمير على الشام فقالوا ان كان عثمان بعثك فحيه لا بك وان كان غيره بعثك فارجم قال او ما سمعتم بالذي كان . قالوا بلى فرجع إلى على

واما قيس بن سعد فانه سار حتى أتى مصر فاقترب عليه اهلها فرقا فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه وفرقة وقفت واعتزلت إلى خرتي وقالوا ان قتل قتلة عثمان فنحن معكم والا فنهض على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا وفرقة قالوا نحن مع علي ما لم يقدر إخواننا وهم في ذلك مع الجماعة

واما عثمان بن حنيف فانه سار حتى أتى البصرة وكان اهلها فرقا كأهل مصر واما عمار فانه سار حتى اذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدي وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه فطلع عليه عمار فقال له ارجع فان القوم لا يريدون بأمرهم بدن وان أيت ضربت عنقك فرجع عمار وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن فجمع يعني كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال

اضطراب الحبل

اضطرب الحبل في جميع الامصار الكبرى الاسلامية

ففي الشام كان الامير معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن أمية . كان أميراً على الشام في عهد عمر وعثمان وكانت محبوباً من أهله فلما وقع اليهم مقتل عثمان واستخلاف علي لم يرض أن يدخل في بيعته لاسباب (١) أنه يتهم علياً بشيء من أمر عثمان (٢) انه آوى قتلته في جيشه (٣) أنه كان بين الرجلين نفور أدى الى أن علياً يرى من أول واجباته غزل معاوية عن أمانة الشام وليس ذلك من السهل على رجل اعتاد الامارة والعزة نعم ليس من السهل أن يدخل مختاراً في بيعه نتیجتها اذلاله والاستهانة به وكيف يختار ذلك وهو محاط بجند يفضلونه على أنفسهم ويرونه أليق للامارة عليهم ولم ير اعلی بیعة توجب عليه طاعة يضطر اليها اضطراراً

أرسل على الى معاوية سبرة الجهني يطلب اليه أن يبايع فلما قدم عليه لم يكتب معاوية اليه بشيء ولم يجبه حتى اذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان أراد معاوية أن يعلن خلافته فدعا برجل من بني عبس فدفع اليه طوماراً مختوماً
عنوانه

من معاوية الى على

وقال له اذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار وارفعه حتى يراء الناس فلما قدم العباسي المدينة في غرة ربيع الاول رفع الطومار كما أمره معاوية وخرج الناس ينظرون فتفرقوا الى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض ثم مضى الرسول حتى دخل الى على فسلمه الطومار ففضه فلم يجد فيه شيئاً ثم سأل

الرسول ماوراءك قال اني تركت قوماً لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من خيطة
نفسك وتركست مستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم
قد ألبسوه منبر دمشق فقال علي مني يطلبون دم عثمان ألت موتوراً كتره
عثمان اللهم اني أبرأ اليك من دم عثمان نجا والله اقتلة عثمان الا ان يشاء الله ومن
الغريب أن علياً لما أمر الرجل بالرجوع امنه فأراد السبئية ان يقتلوه
فصاح الرجل يال مضر يال قيس الخيل والنبيل اني احلف بالله ليردنها عليكم اربعة
آلاف خصي فاظنروا كم الفجولة والركاب ولم يخلص الرجل الا بشق الانفس
احب الناس ان يعلموا رأي علي في معاوية وانتقاضه ليعرفوا رأيه في
قتال اهل القبلة ان يحسر عليه ام ينكل عنه وقد بلغهم ان الحسن بن علي
دخل عليه ودعاه الى القعود وترك الناس قدسوا اليه زياد بن حنظلة التميمي
فجلس اليه ساعة ثم قال له علي يا زياد تيسر فقال لاي شيء قال تغزو الشام
فقال زياد الاناة والرفق امهل

ومن لا يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
فتمثل علي

متى تجمع القاب الذكي وصارماً وانفاً حمياً تجتنبك المظالم
نخرج زياد على الناس فسألوه عما وراءه فقال السيف ثم دعا علي ابنه محمداً
فأعطاه لواءه وعياً جنده واستخلف على المدينة قثم بن عباس واقبل علي
التهيؤ والتجهز . وبينما هو على ذلك اذ فجأه ما هو اشد عليه من امر الشام وهو
خلاف طلحة والزبير وعائشة ومن اف لفهم وانهم توجهوا الى البصرة: وذلك
ان عائشة كانت خرجت من المدينة وعثمان محصور قاصدة الحج وان تباعد عن

المدينة في هذه الاوقات وقد علمت وهي بمكة ان عثمان قتل وانه قد بويع لعلي
بعنده فخطبت الناس بالمسجد الحرام خطبة هذا نصها (ان الغوغاء من اهل
الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة اجتمعوا ان عاب الغوغاء على هذا المقتول
يا لأمس الارب واستعمال من حدثت سنه وقد استعمل أسنانهم قبله ومواضع من
مواضع الحمى حماها لهم وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها فتابعهم ونزع
لهم عنها استصلاحا لهم فلما لم يجدوا حجة ولا عذرا خاجوا وبادوا بالعدوان
ونبا قوهم عن فعلهم فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البسد الحرام وأخذوا
للال الحرام واستحلوا الشهر الحرام والله لا صبيح عثمان خير من طباى الارض
أمثالهم فنجاة من اجتماعكم عليهم حتى ينسكل بهم غير ثم ويشرد من بعدهم والله
لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً نخلص منه كما نخلص الذهب من خبثه
أو البوب من درنه اذ ماصوه كما يماص البوب بالماء)

كان بمكة في ذلك الوقت عبد الله بن الحضرمي عامليا لعثمان ، عبد الله بن
عامر قدم من البصرة ويعلى بن أمية قدم من اليمن ثم قدم عليهم من المدينة
طاححة الزبير فاجتمعت كلمتهم على أن يأتوا البصرة ويعلموا المطالبة
بدم عثمان والقصاص ممن أشترك في دمه ثم ساروا في وجهتهم هذه وكان
يصلى بالناس عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وخرج معهم مروان وسائر بني
أمية الامن خشع منهم ولم يزالوا حتى قاربوا البصرة ولما علم بقدمهم عثمان
ابن حنيف أمير البصرة من قبل على اتدب رجلين هما عمران بن حصين وابو
الاسود الدؤلى ليسيا فيعلما ماذا يريد القوم ولما وصلوا استأذنا على عائشة فأذنت
لها واستخبرها عن قدومها فقالت لهما ان الغوغاء من أهل الامصار ونزاع

القبائل غزوا حرم رسول الله وأحدثوا فيه الاحداث وآووا فيه المحدثين واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل امام المسلمين بالآخرة ولا عذر فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه واتهبوا المال الحرام وأحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ومزقوا الاعراض والجلود وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين غير نافرين ولا متقين لا يقدرّون على امتناع ولا يأمنون فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا وما ينبغي لهم أن يأتوا في اصلاح هذا وقرأت لاخير في كثير من نجواتهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بن الناس) تنهض في الاصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والانثى فهذا اننا الى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهيكم عنه ونحشركم على تغييره : ثم سألت طلحة ما أقدمك فقال المطالبة بدم عثمان قال ألم تبائع علياً قال بلى والابح على عنقي وما أستقبل علياً ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمان وقال لهما مثل ذلك الزبير فماد الرجلان الى ابن حنيف فاخبراه فعزم على التهيؤ لمنعهم من البصرة ولم يكن أهلها على رأى واحد فلما قدم جيش عائشة الى البصرة خرج اليهم من أهلها من هو على رأيهم وخرج ابن حنيف فكان هو ومن معه في ميسرة المربد ووقف الآخرون في ميمنته فتكلم طلحة والزبير محرّضين على المطالبة بدم عثمان الخليفة المظلوم فكاد يكون بين الفريقين شر فنكمت عائشة وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة وخطبت الناس في معنى ما جاءت له فافترق أصحاب ابن حنيف فرقتين فرقة قالت صدقت والله هربت وجاءت بالمعروف وفرقة لم ترضه ولكن لم يحصل بين الفريقين قتال

ثم خرج حكيم بن جبلة فانشب القتال مع جيش عائشة فأشرع هؤلاء رماحهم
وأمسكوا اليهم سك حكيم ومن معه فلم ينته فاضطروا أن يدافعوا عن أنفسهم حتى
حجز بينهم الليل وفي غد ذلك اليوم خرج عثمان وخرج حكيم فقاتلوا الى أن زال
النهار ومنادي عائشة يناشدهم ويدعوهم الى الكف فيأبون حتى اذا مسهم الشر
وعرضهم نادوا بالصالح فاه طالعوا على أن يبعثوا رسولا الى المدينة ويسألوا
عن بيعة طلحة والزبير فان كانا قد بايعا كرهما فالامر أمرهما والا فالامر أمر
عثمان ثم أرسلوا رسولا هو كعب بن سور قاضي البصرة فسار حتى أتى المدينة
يوم جمعة فدخل المسجد ونادى يا أهل المدينة اني رسول أهل البصرة اليكم
أأكره هؤلاء القوم هذين الرجلين على بيعة على أم أتيا طائعين فلم يجبه
أحد من القوم الا ما كان من أسامة بن زيد فانه قام فقال اللهم انهما لم يبايعا
إلا وهما كارهان فوثب عليه سهل بن حنيف والناس وكادوا يأتون عليه لولا
ان قام فخلصه من ايديهم صهيب بن سنان وابو ايوب الانصاري في عدة
من الصحابة فيهم محمد بن مسامة واخذ بيده صهيب الى داره وقال اما سمعت
ماوسعنا من السكوت وعند ذلك رجع كعب الى البصرة . وكان على لما علم
يخير كعب كتب الى عثمان يعجزه ويقول والله ما اكرها على فرقة ولقد
اكرها على جماعة وفضل وان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما وان كانا يريدان
غير ذلك نظرنا ونظرا فلما عاد كعب الى البصرة وورد الكتاب طلب طلحة
والزبير من عثمان ان يخلى ايه الامر فلم يفعل فهاجودواخذوه وقد امرت
عائشة بان يترك ليسير حيث شاء فترك البصرة وعاد الى علي . وكان لحكيم
ابن جبلة معهم مناوشات قتل في نهايتها وقتل معه عدد عظيم ممن كانت

له شركة في دم عثمان ثم نادى منادي الزبير وطلحة بالبصرة إلا من كان فيهم
من قبائلكم احد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم فجيء بهم اذلاء فقتلوا ثم اقام ذلك
الجيش بالبصرة وكتبوا باخبارهم الى اهل الشام والى اهل السكوفة يطلبون
اليهم ان يقوموا بمثل ما قاموا هم به واستمروا منتظرين ما تأتيهم به الاقدار
روى الطبري عن علقمة بن وقاص الليثي قال لما خرج طلحة والزبير
وعائشة رايت طلحة واحب المجالس اليه اخلاها وهو ضارب بالحيته على زوره
فقلت يا ابا محمد ارى احب المجالس اليك اخلاها وانت ضارب بالحيثك الى
زورك إلا كرهت شيئاً فاجلس فقال يا علقمة بينا نحن يد واحدة على من سوانا
صرباً جيلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً انه ان كان مني في عثمان شيء ليس
توبى الا ان يسفك دمي في طلب دمه قلت فرد محمد بن طلحة فان لك ضيعة وعيالا
فالا يك شيء يخلقك فقال ما احب ان ارى احداً يخف في هذا الامر فامنع
فأتيت محمد بن طلحة فقلت له لو اقت فان حدث به حدث كنت تخلفه في
عياله وضييعته قال ما احب ان اسال الرجال عن امره



المحاضرة التاسعة والعشرون

الجل - صفين

أمر على

لما بلغ عليا مسير من سار الى البصرة وهو يتهيأ للشام رأى أن يبدأ بهذا الفتق وكان يحاول أن يدركهم قبل أن يصلوا البصرة فلما وصل الرتبة بلغه أنهم فاتوه فبعث الى أهل الكوفة يطلب اليهم أن ينفروا الى معاونته على المخالفين له . ولما وصلت الرسل الكوفة جاء الناس الى أميرهم ابى موسى يستشيرونه في الامر فقام فيهم خطيباً وكان آخر خطبته أما اذا كان ما كان فاتها فتنة صماء النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الراكب فكونوا جرثومة من جراثيم العرب فانغمدوا السيوف وانصلوا الاسنة واقطعوا الاوتار وآوا المظلوم والمضهد حتى يلتئم هذا الامر وتنجلي هذه الفتنة فتكلمت رسل على وأغاضت لابي موسى القول ولما كان الحسن بن علي ممن أرسل في هذه الوفادة قال لأهل الكوفة يا أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر اليه والله لان يتيه أولو النهى أمثل في العاجلة وخير في العاقبة فأجيئوا دعوتنا واعينونا على ما بتلينا وابتليتكم به فسامح الناس واجابوا ورضوا به وقال لهم الحسن انى غادفن شاء منكم ان يخرج معى على الظهر ومن شاء

فليخرج في الماء فقفر من اهل الكوفة تسعة آلاف اخذ بعضهم البر واخذ بعضهم
الماء وقد قابلته الجنود البرية بذى قار فقال لهم قد دعوتكم لتشهدوا معنا
إخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذاك ما نريد وان يلجوا داويناكم
بالرفق وبايئناهم حتى يبدأوا بظلم ولن ندع امرا فيه صلاح الا آثرناه على ما
فيه الفساد ان شاء الله . ثم ان عليا إختار القعقاع بن عمرو للسفارة بينه
وبين اهل البصرة فسار حتى أتى عائشة فقال اى امة ما اشخصك وما
اقدمك هذه للبلدة قالت اى بنى إصلاح بين الناس : فطلب ان يحضر
طلحة والزبير حتى يعرف رأيهما فلما جاء اخبر ان مقصدهما كمقصد
عائشة فقال لهما القعقاع ما هذا الاصلاح قلا قتلة عثمان فان هذا ان ترك
كان تركا للقرآن وان عمل كان إحياء للقرآن فقال قد قتلتما قتلة عثمان من
اهل البصرة وانتم قبل قتلهم اقرب إلى الاستقامة عنكم اليوم قتلتم ستمئة
رجل إلا رجلا فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين إظهاركم
طلبتم ذاك الذي إفلت (حرقوص بن زهير) فمنعه ستة آلاف وهم على
رجل فان تركتموه كنتم تاركين لما تقولون فان قاتلتموهم والذين إعتزلوكم فادباوا
عليكم فالذى حذرتم قريبكم به هذا الامر اعظم ما اراكم تسكرهون وانتم إحييتكم
مضرووية من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما
اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير ولا ارى دواء لهذا الامر
إلا التسكين واذا سكن اختلجوا فان انتم بايعتوا نافلة خيرة وتبأشير رحمة
ودرك بشار هذا الرجل وعافية وسلامة لهذا الامة وان انتم ايتم الامكارهة هذا الامر
واعتسافه كانت علامة شر وذهب هذا الشأ ربعته الله في هذه الامة هز فآثروا

العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون ولا تعرضوا للبلاء
ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم وإيم الله أني لأقول هذا وادعوكم إليه وإني
خائف أن لا يتم حتى يأخذ الله من هذه الأمة التي قل متاعها ونزل بها
مانزل فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس يقدر وليس كالأمور ولا كقتل
الرجل الرجل ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل . فقال له القوم أحسنت
وأصبت فإن جاء على بمثل ماقلت صلح الأمر فرجع القعقاع إلى على فأخبره
فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح . ثم أمر بالرحيل وقال من ضمن
خطابه ولا يرتحلن غداً أحداً أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس
وليغن السفهاء عن أنفسهم . فاجتمع نفر من رؤساء المجاليين على عثمان ومعهم
ابن السوداء وقال بعضهم لبعض إن اجتمع الناس غداً واصطلحوا فلا ينس
الصالح إلا علينا فقال لهم ابن السوداء إن عزم في خلطة الناس فصانعوهم
وإذا اتقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوا للنظر فإذا من أنتم معه
لا يجد بداً من أن يمتنع ويشغل الله عليه وطلحة والزبير عما تكرهون فاتفقوا
على ذلك والناس لا يشعرون . ولما وصل على إلى البصرة بعث إلى القوم إن
كنتم على ما فارقتم القعقاع فكفوا وأقروا نزل ونظر في هذا الأمر فنزلوا
والقوم لا يشكون في الصلح ومشت السفراء بين الفريقين وبات القوم
ينتظرون العافية من هذا الحادث الجلل . قام السبئيون في الغلس ووضعوا
السلاح في عسكر أهل البصرة فسأل طلحة والزبير ما هذا قالوا اطرقنا أهل
الكوفة ليلاً فقال قد علمنا أن علينا غير متبته حتى يسفك الدماء ويستحل
الحرمة وأنه لن يطاوعنا وسأل على عن الخبر وكان السبئيون قد وضعوا رجلاً

تقرىبا منه يخبره بما يريدون فقال له ما فجعنا الا وقوم منهم يبتونا فرددناهم
من حيث جاؤا فوجدنا القوم على رجل فركبونا وثار الناس فقال على قد علمت
ان طليحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحرمة وانهما لن
يطاوعانا ولم يجد الفريقان في ذلك الوقت بدا من القتال وكانت عائشة في
هودجها بين اهل البصرة وكان ذلك اليوم من أهول ما رآه المسلمون فنهضوا
وقفوا بعضهم امام بعض وكل يدافع دفاعا دينيا وكان اهل البصرة وشجعانهم
ياوذنون بحمل عائشة حتى لا تصاب بشرفقتل حوله عدد عديد منهم ولا يدور
يخلد أحد من الناس ان ينهزم وراجز اهل البصرة يقول

نحن بنى ضبة اصحاب الجمل ننعى ابن عفان بأطراف الاسل
الموت احلى عندنا من العسل ردوا علينا شيخنا ثم يجل
ولما رأى على كثرة القتلى حول الجمل والا الناس لا تسامه ابداً وفيهم
بين تطرف نادى اعقروا الجمل فجاء الجمل انسان من خلفه وعقره فسقط
وسقط الهودج وكأنه قنفل مما رمي فيه من النبل فجاء محمد بن ابى بكر
وعمار بن ياسر فقطعا مرساة الرحمن واحتملا الهودج فنجياه من القتلى وخرج
بها محمد حتى دخلها البصرة : وقد ترك الناس والضعف ظاهر فيهم الزبير بن
العوام واراد الايقاق بالمدينة فعلم بمسيره عمرو بن جرموز فاتبعه حتى اذا
كان بوادى السباع غافله فقتله

قتل في هذه الواقعة المنكرة عشرة آلاف من شجعان المسلمين بينهم
كثير من اعلامهم منهم طليحة وابنه محمد والزبير (وكاد يقتل ابنه عبد الله)
وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وغيرهم من رجالات قريش وسائر العرب
{ ٧ - ٢ }

وبعد أن انتهت الواقعة مر على بين القتلى فكلما رأى سرعى أهلى
البصرة وعرفهم قال زعموا أنه انما خرج معهم السفهاء والفوغاء وهذا فلان
وهذا فلان ثم صلى على القتلى وأمر بدفنهم جميعاً . وبعد ذلك زار عائشة فى
البيت الذى نزلت فيه فسلم عليها وقعد عندها ثم أمر بأن تجهز إلى المدينة
فجهزت خير جهاز ولما جاء يوم رحيلها ودعها بنفسه وقد قالت وسط مشيعيها
انه والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها والله
عندى على معتبى من الاخيار وقال على أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان
بينى وبينها إلا ذلك وانها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة
وخرجت من البصرة يوم السبت لفره رجب سنة ٣٦ وشيعها على أميالاً
وسرح بنيه معها يوماً

بعد انتهاء الواقعة أخذ على بيعة أهل البصرة وأمر عليها عبد الله بن عباس
وجعل على الخراج وبيت المال زياد بن أبى سفيان
هكذا انتهت هذه الواقعة التى سهات على المسلمين فيما بعد أن يقف
بعضهم بازاء بعض محاربين يستحل كل دم الآخر بعد أن كان ذلك الموقف
فى نظرهم عظيماً مهيئاً

لا يمكننا أن نبرر عمل الفريقين المتحاربين من كل الوجوه فان طاحنة
والزير وعائشة خرجوا كما يقولون للمطالبة بدم عثمان الذى سفك حراماً
من غير ترة ولا ذنب يوجب ذلك ولا نرى كيف فهموا أن ذلك ممكن من
غير أن يكون المسلمين امام يرجع اليه الامر فى تحقيق هذه القضية واقامة
الحمد على من يستحقه . ان اعطاء الحق للأفراد فى أن يتجمعوا لاقامة حد

قصر الامام في إقامته أو اتهم بالهوادة فيه مفسدة للنظام الذي أسس عليه الإسلام وإذا كانوا لا يرون الامامة على صحة فقد كان المفهوم دعوة أهل الحل والعقد من كبار المسلمين أولاً للنظر في أمر الخلافة وإعطائها لمن يرضاه الناس ثم ينظرون بعد ذلك في اقامة الحد ولكنهم قاموا بصفتهم أفراداً من كبار الامة ودعوا الناس الى أمرهم من غير أن يكون لهم امام يرجعون اليه ولا تدري كيف غاب كل ذاك عنهم مع سابقتهم وفضلهم ولكنهم يقولون إن الفتن اذا أقبلت تشابهت واذا أدبرت تبيذت ولم يكن عند علي بن أبي طالب من الاناء ما يمكنه من المصابرة حتى يلتئم هذا الصدع أحسن مما كان حقيقة أن أولئك الشياطين الذين لا يريدون بالامة خيراً أعجلوه وأنشبوا الحرب حتى اشتبه الامر على الفريقين كليهما ولكن هذا عيب كبير في قيادة الجيوش أن يكون الرئيس بحيث يمكن فرقة من جيشه أن تعجله عن النظر فيما هو قادم عليه وان من الخطأ العظيم أن يستعين على بمثل هذه الفرقة السيئة ويجعلها تأوى الى جنده في الوقت الذي يطالب الناس فيه من كل جهة بالقصاص من قتلة عثمان فانهم بالضرورة لا يحسن في نظرهم أن يتفق على ذلك الناس لان الاتفاق انما يقع على رؤوسهم فهم يبذلون كل جهدهم في تضيق المسالك على كل من يريد الاصلاح حفظاً لانفسهم على أن مجرد وجودهم في جيشه كاف لان تحوم الظنون حول اشتراكه في الدم المسفوك وان كان هو ينكر ذلك انكاراً تاماً وهو عندنا الصادق في قوله والنتيجة أن تبعه هذه الحرب يتحملها كل من الفريقين وتبين للناس أنه لا يكفي ابراءة الانسان من الفعل ان لا يكون قد فعله بل يجب ان يبتعد عما

يحدث الريبة وليس يكفي الرئيس الثقوية مركزة أن يكون عنده
من القوة ما يغلب به من خرج عليه من قومه بل يجب مع هذا أن يكون
عنده من حسن الحيلة والاناذا ما يعيد اخارج عليه الى حظيره والى لا يكون
الى آخر الدواء

امر صفيين

لم تكن واقعة الجمل على شدة هولها وفضاعة امرها الا مقدمة لما هو
اشد منها هولاً وافظع امراً وهو الحرب في صفيين

انصرف على من البصرة الى الكوفة فاختر جرير بن عبد الله البجلي
ليكون رسولا الى معاوية بن ابي سفيان يطلب اليه البيعة فشخص جرير الى
دمشق وانهى الى معاوية ما جاء له فاطاله واستنظره : وكان اهل
الشام قد آلى رجالهم ان لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا
قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء او تفنى ارواحهم : والشام تجمع اجناد
المسلمين لانها ثغر عظيم يجاور الامة الرومية التي لم تزل حافظة لشيء من
قوتها فكانت الجنود الاسلامية هناك على غاية الاستعداد . عاشر ثم معاوية
طويلاً وهو الرجل السياسى المحنك فامتلك قلوبهم وصاروا اطوع امره ما
امرهم ائتمروا به ومانهاهم انتهوا عنه ومثل تلك القوة العظيمة سهلت له ان
يرفض بيعة على ويتهمه بالاشتراك في دم عثمان او على الاقل بحماية قاتليه
حتى آواهم الى جيشه ولم يعمل اى عمل في القصاص منهم فجاء جرير عالياً
واخبره بما عليه اهل الشام فلم ير على الا المسير والقتال . خرج فعسكر بالخيالة
وباغ معاوية خروجه اليه بنفسه فخرج اليه بأهل الشام

أخذ على بجنوده طريق الجزيرة وعبر الفرات من الرقة . هناك قدم
طلائعه أمامه حتى إذا كانوا بسور الروم التقوا بطلائع معاوية فكانت بين
الفريقين مناوشات قليلة ثم تجاوزوا ثم تلاحقت جنود علي ومعاوية فعمسرت
الطائفتان في سهل صفيين وتواقفت الجنود الإسلامية بعضها امام بعض
اختار على ثلاثة من رجاله ليذهبوا الى معاوية يطلبون اليه الطاعة
وهم بشير بن عمرو الانصارى وسعيد بن قيس الهمداني وشبث بن ربعي
التميمي فساروا حتى دخلوا على معاوية فتكلم بشير بن عمرو وقال يا معاوية
ان الدنيا عنك زائلة وانك راجع الى الآخرة وان الله محاسبك بعملك
وجازيك بما قدمت يداك وأنى أنشدك الله أن لا تفرق جماعة هذه الامة
وأن تسفك دماءها فقال له معاوية هلا أوصيت صاحبك بذلك فقال
ان صاحبى ليس مثلك ان صاحبى أحق البرية كلها بهذا الامر فى الفضل
والدين والسابقة فى الاسلام والقراية من الرسول صلى الله عليه وسلم قال
فيقول ماذا ؟ قال يأمرك بطاعة الله واجابة ابن عمك الى ما يدعوك اليه من
الحق فانه أسلم لك فى دنياك وخير لك فى عاقبة أمرك قال معاوية ونطل
دم عثمان لا والله لا أفعل ذلك أبداً فقام شبث فقال يا معاوية انى قد
فهمت ما رددت : انه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطالب انك لم تجد
شيئاً تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك
قتل امامكم مظلوماً فنحن نطالب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا
أن قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت
تطالب ورب متمنى أمر وطالبه يحول الله عز وجل دونه بقدرته وربما أوتى

المتننى أمنيته وفوق أمنيته والله مالك في واحدة منهما خير لئن أخطأت
ما ترجو انك لشمر العرب حالا في ذلك ولئن أصبت وما تمنى لا تصيبه حتى
تستحل من ربك صلى اثنار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع
الامر أهله : ولم يكن من معاوية جواب على هذه المقالة الشديدة الالرد
شديد وأمره اياهم بالانصراف فأتوا علياً وأخبروه بالخبر

كان القوم جميعاً يهابون أن تلتقى جموع الشام بجموع العراق خوفاً
من الاستئصال والهلاك فكانت تخرج الفرقة من جيش أهل العراق
فتخرج لها مثلها من جيش أهل الشام فيقتتلون وعلى هذا الحال كان شأنهم
في ذى الحجة سنة ٣٦ فلما أهل المحرم توادع الفريقان الى انقضائه طمعاً في
الصاح واختلقت بينهما الرسل في ذلك فبعث على عدى بن حاتم ويزيد بن
قيس الازحبي وزيد بن خصفة وشيث بن ربي وهو أحد الرسل في المرة
الاولى وربما كان حقه سبياً في عدم النجاح : لما دخلوا على معاوية بدأ عدى
فقال انا اتيناك ندعوك الى أمر يجمع الله عز وجل به كلمتنا وأمتنا ويحقق به
الدماء ويؤمن به السبل ويصلح به ذات البين ان ابن عمك سيد المرسلين
أفضلها سابقة وأحسنها في الاسلام أثراً وقد استجمع له الناس وقد أُرشدكم
الله بالذي رأوا فلم يبق احد غيرك وغير من معك فانت يا معاوية لا يصيبك
الله واصحابك بيوم مثل الجمل : فقال معاوية كأنك انما جئت متهدداً ولم
تأت مصالحاً هيهات يا عدي كلا والله اني لابن حرب ما يقعق لي بالشتان
وانك لمن المجليين على ابن عفان وانك لمن قتلتته واني لارجو ان تكون ممن
يقتل الله عز وجل هيهات يا عدي قد حلبت بالساعد الاشد فقال شيث وزيادة

أَتَيْنَاكَ فِيمَا يَصْلَحُنَا وَإِيَّاكَ فَأَقْبَلْتَ تَضْرِبَ لَنَا الْإِمْتَالِ دَعِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ
الْفُؤُولِ وَالْفُحُولِ وَأَجْبَنَّا فِيمَا يَعْمُنَا وَإِيَّاكَ نَفْعُهُ — وَقَالَ يُزِيدُ بْنُ قَيْسٍ أَنَا لَمْ نَأْتِ
إِلَّا لِنُبَاغِتْكَ مَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ وَلِنُؤَدِيَ عَنْكَ مَا سَمِعْنَا مِنْكَ وَنَحْنُ عَلَى ذَلِكَ لَنْ
تَدْعَ أَنْ نَنْصَحَ لَكَ وَأَنْ نَذْكُرَ مَا ظَنَّنَا أَنَا لَنَا عَلَيْكَ بِهِ حِجَّةٌ وَأَنْكَ رَاجِعٌ بِهِ
إِلَى الْإِلَافَةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنْ صَاحِبِنَا مِنْ قَدْ عَرَفْتَ وَعَرَفَ الْمَسَامُونَ فَضْلَهُ وَلَا
أُظَنُّهُ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنْ أَهْلَ الدِّينِ وَالْفَضْلِ لَنْ يَعْدِلُوا بِعَلَى وَلَنْ يَمِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ
خَافَتِ اللَّهُ يَامَعَاوِيَةَ وَلَا تَخَالَفْ عَلِيًّا فَإِنَّا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطًّا عَمِلَ بِالتَّقْوَى وَلَا
أَزْهَدَ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَجْمَعَ خُلُصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا مِنْهُ فَقَالَ مَعَاوِيَةُ أُمَّا بَعْدُ فَإِنْكُمْ دَعَوْتُمْ
إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَاِمَا الْجَمَاعَةُ الَّتِي دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا فَعِنَّا هِيَ وَأُمَّا الطَّاعَةُ لَصَاحِبِكُمْ
هَإِنَّا لَا رَاهَا أَنْ صَاحِبِكُمْ قَتَلَ خَلِيفَتَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَآوَى ثَارَنَا وَقَتَلْتَنَا وَصَاحِبِكُمْ
يَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْهُ فَنَحْنُ لَا نَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ أَرَأَيْتُمْ قَتَلْنَا صَاحِبِنَا السَّمِّ تَعَامُونَ أَنَّهُمْ
أَصْحَابُ صَاحِبِكُمْ فَلْيَدْفَعُوهُمْ إِلَيْنَا فَلْنَقْتُلْهُمْ بِهِ ثُمَّ نَحْنُ نَجِيبُكُمْ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْجَمَاعَةِ
فَقَالَ لَهُ شَبِثُ أَيْسَرُكَ يَامَعَاوِيَةُ أُنْتُ أَنْ مَكَنْتُ مِنْ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ فَقَالَ وَمَا يَمْنَعُنِي
مِنْ ذَلِكَ وَاللَّهِ لَوْ أُمَكَنْتُ مِنْ ابْنِ سَمِيَّةٍ مَا قَتَلْتُهُ بِعَثْمَانَ وَلَكِنْ كُنْتُ قَاتِلُهُ بِنَائِلِ
مَوْلَى عَثْمَانَ فَقَالَ شَبِثُ لَا تَصِلْ إِلَى عَمَارٍ حَتَّى تَنْدِرَ لَهَا مِنْ عَنِ كَوَاهِلِ الْأَقْوَامِ
وَتَضِيقَ الْأَرْضُ الْفُضَاءَ عَلَيْكَ بِرَحْبِهَا فَقَالَ مَعَاوِيَةُ إِنَّهُ لَوْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ كَانَتْ
الْأَرْضُ عَلَيْكَ أَضْيَقَ . وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ هَذِهِ السَّفَارَةُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَّا
بِحَتْلٍ مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ تَكُونَ قَاعِدَةُ الصِّلَحِ وَالِدَعْوَةِ شَيْئًا
فِي مَصْلَحَةِ كُلِّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ يَتَنَازَلُ هَذَا عَنْ شَيْءٍ وَهَذَا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ

ظالمًا أما هذه السفارة فقد كانت دعوة كسوا ببقها مع ما في بعض الداعين
من هذه النعمة التي تفسد القلوب وتباعد ما بينها وأرسل معاوية إلى علي حبيب
بن مسامة المهري وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد والخنس بن شريق
فدخلوا عليه فتكلم حبيب فقال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهديا
يعمل بكتاب الله عز وجل وينيب إلى امر الله فاستثقتهم حياته واستبطأتم
وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنت لم تقتله تقتلهم
به ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شوري بينهم يولي الناس أمرهم من اجمع
عليه رأيهم فقال له ما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر اسكت فانك است
هناك ولا باهل له فقام وقال والله اتريني بحيث تكره فقال علي وما أنت ولو
اجلبت بخيالك ورجلك لا ابق الله عليك ان ابقيت على احقرة وسواء
اذهب فصوصب وصعد ما بدالك وقال شرحبيل بن السمط ان كلمتك فاعمرى
ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي قبل فهل عندك جواب غير الذي اجبت به فقال علي
نعم فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر بعثة الرسول صلى الله عليه وهدايتيه
لناس ثم قبضه الله اليه واستخاف الناس ابا بكر واستخاف ابو بكر عمر
فأحسننا السيرة وعدلا في الامة وقد وجدنا عليهما إن توليا عليا ونحن آل
رسول الله فغفرنا ذلك لهما وولى عثمان فعمل أشياء عابها الناس عليه فساروا
اليه فقتلوه ثم أثنى الناس وأنا معتزل أمورهم فقالوا لي بايع فابيت عليهم
فقالوا لي بايع فان الامة لا ترضى إلا بك وأنا نخاف ان لم تفعل أن يفترق
الناس فبايعتهم فلم يرعنى الاشفاق رجائين قد بايعاني وخلاف معاوية الذي
هم يجعل الله له سابقة في الدين ولا ساف صدق في الاسلام طليق ابن طليق

حزب من هذه الأحزاب لم يزل لله ولرسوله والمسلمين عدواً هو وأبوه حتى
دخلوا في الاسلام كارهين فلاغرو الا خلافيكم معه واتقيادكم معه وتدعون آل
نبيكم الذين لا ينبغي لكم شقاقهم ولا خلافتهم ولا أن تعدلوا بهم من الناس
أحداً الا أني أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه وامانة الباطل واحياء معالم
الدين : فقال له شرحبيل أشهد أن عثمان قتل مظلوماً فقال لهما لا أقول انه
قتل مظلوماً ولا أنه قتل ظالماً قالوا فمن لم يزعم أن عثمان قتل مظلوماً فنحن
منه براء ثم انصرفوا من غير نتيجة وذلك معقول

لما انساخ المحرم أمر على من ينادى ألا ان أمير المؤمنين يقول لكم
اني قد استدمتكم لتراجعوا الحق وتنهبوا اليه واحتججت عليكم بكتاب الله
فدعوتكم اليه فلم تنأهوا عن طغيان ولم تجيبوا الى حق واني قد نبذت اليكم
على سواء أن الله لا يحب الخائنين ففرع أهل الشام الى أمرائهم ورؤسائهم
وكتبوا كتابهم وبات الفريقان يشتغلان بتعبئة الجيوش : وفي غدد ذلك
اليوم وهو يوم الاربعاء أول صفر سنة ٣٧ ابتدأت الحرب من غير أن يقف
كل الجمعين وجها لوجه بل كل يوم يخرج قائد من هنا وقائد من هنا حتى
إذا مضت سبعة أيام قال على لجندة ليلة الاربعاء ثامن صفر حتى متى لا نناهض
هؤلاء القوم بجمعنا واتفق معهم على ذلك فباتوا يصالحون أمرهم وفي ذلك
يقول كعب بن جعيل التغابي

أصبحت الامة في أمر عجب والملك مجوع غداً لمن غلب
فقلت قولاً صادقاً غير كذب ان غداً تهلك أعلام العرب
وفي الصباح زحف على بجنود أهل العراق وزحف له معاوية بجنود

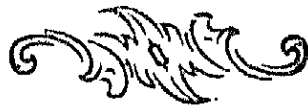
أهل الشام وفي ذلك في يوم مشئوم لا يزال المسلمون يعدونه شؤماً من لدن ذلك الحادث إلى الآن . تناهض الناس ذلك اليوم واقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كله ثم انصرفوا عند المساء وكل غير غالب ثم أعادوا الكرة في غد ذلك اليوم وكانت حملتهم أشد من اليوم الأول وقد انكشفت ميمنة أهل العراق وانتهت هزيمتهم إلى على فئتي نحو الميسرة فانكشفت عند مخر في الميسرة وثبتت ربيعة ومرو به في ذلك الوقت الاشترا النضج فقال له على أنت هؤلاء القوم فقل لهم أين فراركم من الموت فاما هب اليهم الاشترو هيج الناس لخوض الغمرات فتابعوه وكروا معه فأخذ لا يعمد لكتيبة الا كشفها ولا لجمع الا حازه ورده ولم يزل حتى كشف هذه الجموع المهاجرة وألحفهم بصنفوف معاوية بين العصر والمغرب ولم يزل الاشترا في هجمته حتى وصل إلى حرس معاوية وكان معاوية يقول اردت في هذا الوقت أن تهزم فذكرت قول ابن الاطنابة

أبت لي عفتي وأبى بلائي واقدامي على البطل المشيح
واعطائي على المكروه مالي وأخذي الحمد بالثمن الريح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فنعني هذا القول من الفرار : وفي هذا اليوم قتل عمار بن ياسر ولما أمسى المساء على الفريقين لم ينفصلا بل استمر القتال شديداً طول الليل ويسمون هذه الليلة ليلة الهريريشبهونها بليلة القادسية حتى إذا أصبح عليهم صبح يوم الجمعة أخذ الاشترا يزحف بالميمنة ويقاثل بها يهيج الناس بقوله وعلى يمهده بالرجال لما رأى من ظفروه : وبيناهم في

الشدة الشديدة اذا بالمصاحف قد رفعت على رؤس الرماح من قبل أهل الشام وقائل يقول هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم من لشعور الشام بعد أهل الشام من لشعور العراق بعد أهل العراق فلما رأى أهل العراق المصاحف مرفوعة قالوا نجيب الى كتاب الله فقال لهم على يا عباد الله امضوا على حقكم وصدقكم فان معاوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط وحبيب ابن مسامة وابن ابي سرح والضحاك بن قيس ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطعنا ولا صحبتهم رجلا فكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكمهم انهم مارفعوها ثم لا يرفعونها ولا يعامون بما فيها ومارفعوها لكم الا خديعة ودهاء ومكيدة فقالوا ما يسعنا أن ندعي الى كتاب الله عز وجل فنأبى أن تقبله وقال مسعر بن فدكي التميمي وأشباه له من القراء أجب إلى كتاب الله اذا دعيت اليه والا ندفعك برمتك الى القوم أو نفعل كما فعلنا يا بن عفان انه علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل والله لتفعلنها ولنفعلنها بك : ثم طلبوا منه أن يبعث الى الاشتر ليترك القتال فأرسل اليه رسولا فقال الاشتر للرسول ليست هذه الساعة التي ينبغي لك أن تزيلي فيها عن موقفى انى قد رجوت أن يفتح لى فلا تعالجنى فرجع الرسول بالخبر فما انتهى اليه حتى ارتفع الرهج وعلت الاصوات من قبل الاشتر فقال له القوم والله مانواك الا أمرته ان يقاتل ثم قالوا ابعت اليه فليأتك والا والله والله اعز لناك فقال للرسول ويحك قل للاشتر أقبل فان الفتنة قد وقعت فلم يسعه الا المجيء وترك ساحة الحرب ثم ارسل الاشعث بن قيس ليسأل معاوية عما يريد فلما ذهب اليه قال له معاوية نرجع نحن وأنتم الى ما أمر الله في كتابه

تبعثون منكم رجلا ترضونه وتبعث منا رجلا ثم نأخذ عليهما أن يعملوا في كتاب الله لا يعدوا أنه ثم تتبع ما اتفقا عليه فقال له الأشعث هذا الحق ثم رجع إلى علي فأخبره فقال الناس رضينا وقبلنا فقال أهل الشام قد اخترنا عمرو بن العاص فقال الأشعث ومن تابعه وانا قد رضينا أبا موسى الأشعري فقال علي قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن وبين لهم تخوفه من أبي موسى لانه كان يخذل الناس عنه فأبوا إلا إياه فاضطار علي السير على مارأوا



المحاضرة الثمانون

عقد التحكيم - نتائج - الخوارج

عقد التحكيم

وكتب الفريقان بينهم عقد التحكيم وهذه صورته :

« بسم الله الرحمن هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية
ابن أبي سفيان ، قاضى على أهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من
المؤمنين والمسلمين وقاضى معاوية على أهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين
والمسلمين أنا نزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره وإن كان
الله عز وجل بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحبي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد
الحكماء في كتاب الله عز وجل وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس
وعمر بن العاص القرشي عملا به وما لم يجد في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة
الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكماء من علي ومعاوية ومن الجندين العهود
والمواثيق والثقة من الناس أنها آمان على أنفسهم وأهلها والامة كلها أنصار
على الذي يتقاضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهد
الله وميثاقه أنا علي مافي هذه الصحيفة وإنى قد وجبت قضيتهم على المؤمنين
فإن الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهلهم
وأموالهم وشاهدتهم وغائبهم وعلى عبد الله بن قيس وعمر بن العاص عهد

الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة ولا يرادها في حرب ولا فرقة حتى يمتصيا
وأجلا القضاء إلى رمضان وان أحببا أن يؤخرا ذلك أخرا على تراض منهما
وان توفي أحد الحكمين فان أمير الشيعة يختار مكانه ولا يألو من أهل العدالة
والقسط وان مكان قضيتهما الذي يقضيان فيه مكان عدل بين أهل الكوفة
وأهل الشام وان رضيا وأحب فلا يحصرهما فيه إلا من أراد ويأخذ
الحكمان من أرادا من الشهود ثم يكتبان شهادتهما على ما في هذه الصحيفة
وتم أنصار على من ترك هذه الصحيفة وأراد فيه الحاد وظلما إليهم ان استنصر
على من ترون ما في هذه الصحيفة». ويلي ذلك أسماء الشهود من الطرفين -
١٥ صفر سنة ٣٧

وبهذا العقد انتهت واقعة صفين التي قتل فيها من شجعان المسلمين
وانجادهم تسعون ألفا وهو عدد لم يذهب مثله ولا قريب منه في جميع
الوقائع الاسلامية من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تاريخها
ولولا ان عضتهم الحرب وفتحهم نيران السلاح لاستؤصت البقية الباقية
وضاعت الشغور. ومما يزيد الاسف ان هذه الحرب لم يكن المراد منها
الوصول إلى تقرير مبدأ ديني او رفع حيف حل بالامة وانما كانت لنصرة
شخص على شخص فشيعة على تنصره لانه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واحق الناس بولاية الامر وشيعة معاوية تنصره لانه ولي عثمان واحق
الناس بطلب دمه المسفوك ظلما ولا يرون انه ينبغي لهم مبايعة من
أوى إليه قتلاته

يظهر للمتتبع اخبار ما بين علي ومعاوية ان الرجلين كانا على تباين تام

فعلي يرى لنفسه من الفضل والسابقة والقراية ما ليس لغيره من سائر الناس حتى أشياخ قریش واصحاب السابقة منهم وزاد به ذلك الفسکر حتى كان يرى أن الاشياخ يملكون ذلك ويعضون عنه وكان يرى في معاوية انحطاطاً هائلاً عنه ولماذا ؟ لانه من الطلقاء وأولاد الطلقاء الذين عادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاربوه وربما ظن فيهم أنهم لم يدخلوا في الاسلام الا كرهاً حينما لم يجدوا مناصاً من ذلك واذا كان الرجل يرى أشياخ قریش دانه قدرأ ولم يكن يسلم لهم الا مرغماً لانه لم يجد له انصاراً فكيف يرى نفسه امام رجل يظن به ذلك الظن في وقت بايعه الناس فيه بالخلافة وردوا اليه حقه المسلوب منه وقد وجد انصاراً يؤيدونه كان اذا تكلم عن معاوية او كتابه يظهر من كلامه الاحتقار له والترفع عنه والازدراء برسله وخاطبهم بأشد ما يخاطب به انسان ولا ينظر ان الرجل قد استحوذ على قلوب نصف الامة الاسلامية ومثله لا ينال الا بالاناة وشيء من المصانعة والسهولة وهذه اشياء لم ير على ان يتنزل اليها اما معاوية فانه بدون ريب كان يرى نفسه عظيماً من عظماء قریش لانه ابن شيخها ابي سفيان بن حرب واكبر ولد امية بن عبد شمس بن عبد مناف كما ان علياً اكبر ولدهاشم بن عبد مناف فهماسيان في الرفعة النسبية ثم كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة من بعده قد وثقوا به ثقة كبرى حتى جمعت له الشام كلها وهي اعظم بلدان المسلمين بعد العراق فصارت له تلك الرياسة العظيمة والاثر الصالح في حماية الثغور الرومية وهو يعلم ان علياً لا ينظر اليه بتلك العين التي كان ينظر له بها من قبله بدليل ان اول عمل له كان عزاه فرائى ان انضمامه الى علي يحطه عن تلك

المنزلة الساسية التي نالها ومن يدري ماذا يكون حاله بعد ذلك من المهانة .
وجد أمامه شجراً تفسح له المجال في تلك المناوأة (١) أنه لم يستشر في تلك
البيعة وهو من أعظم قريش ووال من أكبر الولاة تحت أمرته جند من
جنود المسلمين لا يقل عن مئتي ألف (٢) أن كثيراً من الصحابة رفضوا
بيعة على (٣) ان اول من ندبه للخلافة هم الثائرون على عثمان الذين قتله
(٤) انه أوامهم في جيشه ولم يقتص منهم فاخذ من ذلك انه ممالىء لهم على
فعلاتهم — كل تلك الشبه جعلته يمتنع عن البيعة ويأخذ لنفسه الحيلة حتى
لا يقع في المذلة والمهان

شخصان ينظر كل منهما الى الآخر بهذا النظر لا يمكن اتفاقهما
ولا وصولهما الى طريق رشاد يخفف عن المسلمين ما نزل على رؤوسهم من تلك
الفتنة الهائلة ولم يكن مدار مراسلاتهم بالشئ الذي يصح ان يكون قاعدة
صلح بين فريقين لكل منهما قوة تؤيده فعلى كان يطلب مبايعته ولا يزيد
وبغير ذلك لا يكون صلح حتى ان رسله التي كان يرسلها من اهل العراق كانوا
يكلمون معاوية بلهجة المحتقر المستخف ومعاوية يطلب اولا ان تساق قتلة عثمان
اليه ليقتص منهم ثم يكون الامر شوري بينهم وكلا الامرين لا يرضى به على
اما قتلة عثمان فلانه اذا اراد انزاعهم من جيشه لا يأمن ان يتعصب لهم قومهم
فينقسم جيشه واما الثانية فلانه لا يترك حقاً قد ثبت له بالبيعة التي رآها تمت
وليس لاحد مهمما عظم قدره ان يعترض عليها فكيف بمثل معاوية في نفسه
اضف الى ذلك أن فرقة السبئية التي كانت تتخلل جند على لم يكن من مصالحها
ان يكون صلح بين الطرفين فهم لا يسكتون عن حمل الخطب لاشعال نار

الفتنة كلما قاربت الخوذة ولذلك كان لهذا التحكيم الذي اتفق عليه الطرفان
نتيجة من أسوأ النتائج في جند على
نتائج التحكيم

بعد ان كتبت شروط الصلح عاد معاوية بجنده الى دمشق اما جند
على فان الاشعث بن قيس خرج بكتاب الصلح يقرأه على الناس ويعرضه عليهم
يقرءونه حتى مر به على طائفة من بني تميم فيهم عروة بن ادية وهو اخو ابي
بلال فقرأه عليهم فقال عروة اتحكمون في امر الله الرجال لا حكم الا الله ثم
شد بسيفه فضرب به عجز دابته ضربة خفيفة فغضب الاشعث قومه من
اليمن فشئ رؤساء بني تميم فتنصلوا اليه واعتذروا فقبل وصفح ثم عاد الجيش
يريد الكوفة

روى الطبري عن عمار بن ربيعة قال خرجوا مع على الى صفين وهم
مبتوادون احباء فرجعوا متباغضين اعداء ما برحوا من عسكرهم بصفين
حتى فشافهم التحكيم ولقد اقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشائمون ويضطربون
بالسياط يقول الخوارج يا اعداء الله ادهنتم في امر الله وحكمتم وقال
الاخرون فارقتم امامنا وفرقتم جماعتنا فلما دخل على الكوفة لم يدخلوا
معه حتى اتوا حروراء فنزل بها منهم اثناء مشر الفأ نادى مناديهم ان امير
القتال شيث بن ربيع التميمي (وهذا كان رسول على الى معاوية وكان يتوقع
في خطابه ويعجب من معاوية كيف لم يبايع علياً وهو سيد المسلمين وابن عم
سيد المسلمين الى آخر ما قال) وامير الصلاة عبد الله بن السكوء الميسكري
والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي

على المنكر . فبعث اليهم على عبد الله بن عباس وقال له لا تعجل في جوابي
وخصومتهم حتى أثبتك فخرج اليهم ابن عباس فاقبلوا عليه ويكلمونه
فلم يصبر عليهم بل قال ما تقمتم من الحكمين وقد قال الله عز وجل ان
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا
له أما ما جعل حكمه الى الناس وأمر بالنظر فيه والاصلاح له فهو اليهم كما
أمر به -- او ما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ، حكم في الزاني مثله
جلدة وفي السارق بقطع يده فليس للعباد أن ينظروا في هذا قال ابن عباس
فان الله عز وجل يقول تحكم به ذوا عدل منكم فقالوا له أو تجعل الحكم في
الصيد والحدث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين : وقالوا
ان هذه الآية بيننا أعدل عندك ابن العاص وهو بالامس يقاتلنا ويسفك
دماءنا فان كان عدلا فاسنا بعدول ونحن أهل حربه وقد حكمتم في أمر
الله الرجال وقد أمضى الله حكمه في معاوية وحزبه أن يقتلوا أو يرجعوا
وقبل ذلك مادعونا إلى كتاب الله فابوه ثم كتبتم بينكم وبينه كتابا وجعلتم
بينكم وبينه المودة والاستفاضة وقد قطع عز وجل الاستفاضة والمودة
بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية ثم جاء على
فوجد ابن عباس يخاصمهم فقال له انته عن كلامهم ألم أنهك . ثم سألهم
ما أخرجكم علينا قالوا حكمومتكم يوم صفين فقال أنشدكم الله الست قد
نهيتكم عن قبول التحكيم فرددتم على رأيي ولما أيتم الا ذلك اشترطتم على
الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم
القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن وان أبا فنحن من حكمهم

براء قالوا له خبرنا أترأه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء فقال إننا لسنا حكمنا الرجال
 إنما حكمنا القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما
 يتكلم به الرجال قالوا خبرنا عن الأجل أم جعلته فيما بينك وبينهم قال لي علم
 الحاهل ويتثبت العالم ولعل الله عز وجل يصالح في هذه الهدنة هذه الأمة
 أدخلوا مصركم رحمكم الله . والخوارج يدعون أنهم قالوا إن التحكيم
 كان منا كفراً وقد تبنا إلى الله فتبنا نبأيك وإلا فنحن مخالفون
 فبايعهم على وقال ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجي المال ويسمن الكراع ثم
 تخرج إلى عدونا فدخلوا على ذلك وتوضيح نظرية هؤلاء القوم إن علياً كان
 إماماً بوليعة صحيحة فمن امتنع عن بيعته فهو مرتكب جريمة العصيان
 والبغى وهم يرون أن مرتكب الكبيرة كافراً فإذا يكون معاوية بغياً على
 الإمام العدل وحارب الله ورسوله وحينئذ يكون له ولقومه حد مقرر في
 القرآن والحدود المقررة لا معنى للتحكيم فيها لأنه تغيير للمشروع أن قضي
 بخلافه . ولما كان معاوية ومن معه يستحقون في نظرهم هذه العقوبة نصاً فالذين
 معهم ومهادنتهم أدهان في دين الله وتحكيم الرجال فيما لا حكم فيه إلا الله وهذا في
 نظرهم جريمة وفاعلها ضال والضال لا يصالح خلافة المسلمين فلا خلافة لعل
 ولا حرمة لمن اتبعه فلهم أن يقتاتلوه وهم في نظرهم كجند معاوية سواء
 بسواء: فانظروا كيف جاءت هؤلاء الناس نتيجة بعض مقدماتها باطل فلا عجب
 أن تكون هي أيضاً باطلة . أما كون جريمة العصيان ومحاربة الله والرسول لها
 حد مقرر في كتاب الله فذلك صحيح وأما كون معاوية ومن معه
 بغاة فذلك شيء يحتاج إلى النظر فإن ادعى أن له شبهة في نفس امامة الامام اهي

منعقدة ام لم تنعقد فهذا ينصح فيه التحكيم وليس تحكيميا للرجال في دين الله وانما هو تحكيم في صحة وصف ينبغي عليه حكم فان القاضي الذي ترفع اليه قضية سرقة لا يطلب منه الاجتهاد في في ان السارق تقطع يده أولا تقطع وانما يطلب منه الاجتهاد في معرفة أهذا سارق أم غير سارق فاذا ثبت له الصفة وجب عليه حتما أن يحكم بقطع اليد فان قالوا ان التحكيم من علي شك في امامته والشاك لا يجوز له أن يسفك الدماء المطالبة بأمر مشكوك في صحته كان هذا باطلا أيضا لان صاحب الحق كثيرا ما يتأكد أن الحق له فاذا رأى من خصمه انكاراً أو تمسكاً بشبه فانه لا طريق أمامه الا أن يرفع الامر لقاض أو محكمين يكون حكمهما قطعاً لنزاع خصمه . وعلى الجملة فان هذه الفئة الجديدة قد بنت أمرها على مقدمات لا تنضج فزادوا الطين بلة وبعد ان كنا أمام فرقتين صرنا الان امام ثلاث فرق يستحل بعضها دماء بعض وصار اهل عدوان والمتبع لاحوال الخوارج ومقاماتهم في حروبهم يتأكد انهم مخدوعون بما ظهر لهم حتى صار عندهم حقيقة من الحقائق التي لا ينكرها إلا غاو في نظرهم والا فكيف يؤول فعلهم؟ كانوا بالامس يرون في علي انه أفضل المسلمين وأعلمهم وأفقههم في الدين واليوم يباينونه هذه المباينة ويرون انه ضل في التحكيم ولم يعد يستحق أن يكون خليفة وان كل من تابعه بعيد عن طرق الرشاد

اجتماع الحكمين

لما حان اجل اجتماع الحكمين بعث علي اربعةائة رجل عليهم شرح ابن هاني الحارثي ومعه ابن عباس يصلي بهم ويلى امورهم وابو موسى

الاشعري معهم وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعمئة من اهل الشام فتوافوا بدومة الجندل باذرح وكان معاوية اذا كتب الى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به ولا بما رجع به ولا يسأله أهل الشام عن شيء واذا جاء رسول على جاء أهل العراق الى ابن عباس فسألوه ما كتب اليك أمير المؤمنين فان كتبهم ظنوا به الظنون فقالوا ما نراه الا كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس أما تعقلون أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ويرجع لا يعلم بما رجع به ولا يسمع لهم صياح ولا لفظ وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون : وشهد هذه الجماعة عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام المخزومي والمغيرة بن شعبة وغيرهم

اجتمع الحكماء وبمخاض فيما جاء الاجله وهو اصلاح ما بين الناس فتحكم عمرو فقال ألت تعلم أن عثمان قتل مظلوماً قال أبو موسى أشهد — قال عمرو ألت تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه — قال بلى — قال عمرو فان الله يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) فما يمنحك من معاوية ولى عثمان يا أبا موسى وبيته في قريش كما قد علمت فان تخوفت أن يقول الناس ولى معاوية وليست له سابقة فان لك بذلك حجة تقول انى وجدته ولى عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة الحسن التدبير وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله عليه وسلم وقد صحبه فهو أحد الصحابة . ثم عرض له بالسلطان بقوله ان ولى أكرمك كرامة لم يكرمها خليفة فقال أبو موسى يا عمرو اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف يولاه أهله ولو كان على الشرف

لكن هذا الامر لآل أبرهة بن الصباح انما هو لاهل الدين والفضل مع اني
لو كنت معطيه أفضل قریش أعطيته على بن أبي طالب وأما قولك ان معاوية
ولي دم عثمان فواه هذا الامر فاني لم أكن لاوليه معاوية وأدع المهاجرين
الاولين وأما تعريضك لي بالسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه كاه ما وليته
وما كنت لارتشي في حكم الله عز وجل ولكنك ان شئت أحيينا اسم عمر
ابن الخطاب فقال عمرو ان كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني
وأنت تعرف فضله وصلاحه فقال ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته
في هذه الفتنة . وهذه المناقشة تدل على انهما قد اتفقا على خلع المتنازعين
واختلفا فيمن يخلفهما وحينئذ اتفقا أن يكون الامر شورى بين الناس يولون
من رضوا ولم يبق الا اعلام الناس بما اتفقا عليه فخرجا وكان عمرو يقدم أبا
موسى في كل كلام فتقدم ابو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انا
قد نظرنا في أمر هذه الامة فلم نراصلح لامرها ولا ألم لشعبها من امر قد اجمع
عليه رأي ورأي عمرو وهو أن نخلع علياً ومعاوية وتستقبل هذه الامة هذا
الامر فيولوا منهم من أحبوا عليهم واني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا
أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر أهلاً ثم تنحى وأقبل عمرو فقام
مقامه فحمد الله وأثنى عليه وقال ان هذا قال ما قد سمعتم وخالع صاحبه وأنا
اخلع صاحبه كما خلعه واثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان والطالب بدمه
واحق الناس بمقامه فتنازرا — ويروى السعدي انهما لم يحصل منهما خطبة
وانما كتبنا صحيفة فيها خلع على ومعاوية وان المسامين يولون عليهم من
احبوا وهذا القول اقرب في نظرنا الى المعقول وان لهج كثير من المؤرخين

يذكر الاول لان هذه الخطبة على فرض حصولها وان الخديعة تمت على ابي موسى لم تكن لتفيد معاوية شيئاً لان الذي ثبتته انما هو حكمه والذي يلزم الامة بمقتضى الصحيفة انما هو ما اجتمعوا عليه لا ما رضى به احد الحكمين ولم ينقل احد ان ابا موسى رضى في خطابه ببيعة معاوية

ومن الوقت الذي جرى فيه عقد التحكيم وعين الحكمان يشعر الانسان بأنه لا يؤدي الى نتيجة لان ابا موسى كما يظهر من ماضيه رجل يكره الفتن ويحب للمسلمين السلامة ويتمنى لو وصل الى ما يريد من اى طريق يسلكه وقرينه يميل الى معاوية ويحب تأييده وتثبيت خلافته وهو مع ذلك رجل عرف الدنيا وجالس الملوك فلا يهمه الا أن يصل الى مقصوده مهما استعمل في سبيل ذلك من الخدع ومثل هذين لا يتفقان : قال المغيرة لابن شعبة لبعض من معه من قريش سأعلم لكم علم هذين الرجلين أيتفقان أم يختلفان فدخل على عمرو فقال له يا ابا عبدالله اخبرني عما أسألك عنه كيف تترانا معشر المعتزلة فانا قد شككنا في الامر الذي قد تبين لكم من هذا القتال ورأينا ان نتأني ونتثبت حتى تجتمع الامة فقال عمرو اراكم يا معشر المعتزلة خلف الابرار وامام الفجار ثم جاء ابا موسى فسأله كما سأل عمرًا فقال له اراكم اثبت الناس رايا فيكم بقية المسلمين فانصرف المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على امر واحد

لم يكن على ليرضى بهذا الحكم الذي تأكدانه مخالف للكتاب والسنة فالذين عهد الى الحكمين ان يحكما بهما ورضى به معاوية طبعاً لان اقل ما في الحكم ان ليس لعلى امامة وصار الامر للناس يولون من شاءوا وعنده جند

عظيم يختارونه ولا يفضلون عليه احداً فزادت آماله في ان يكون خليفة
المسلمين

رأى على انه لابد له من معاودة الكرة الى معاوية وأصحابه والى
عرض له معاودة الخوارج لخروجهم فانه لما أراد أن يبعث أبا موسى كرم
الخوارج ذلك لأنهم كانوا يظنون أن علياً وافقهم على كراهة التحكيم
ورؤيته ضلالة وجاءه انسان فقال له ان الناس قد تحدثوا عنك انك رجعت
لهم عن كفرك فخطب الناس في صلاة الظهر فذكر أمر الخوارج فعابه
فوثبوا من نواحي المسجد يقولون لا حكم الا لله وعلى يقول : كلمة حق
أريد بها باطل وعند ذلك اجتمعت الخوارج في منزل عبد الله بن وهب
الراسبي فخطبهم خطبة حشهم فيها على الخروج وقال في آخر خطابه فاخرجوا
بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور هذه البلاد أو الى بعض هذه
المدائن منكرين لهذه البدع المضلة ثم أرادوا أن يولوا أمرهم رجلاً فمرضوا
الولاية على التمييزين منهم فكلهم يأبأها ثم عرضوها على عبد الله بن وهب
فقال هاؤها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت
فبايعوه لعشر خلون من شوال ثم اتفقوا أن يخرجوا وحداً مستخفين حتى
يجتمعوا في جسر النهروان وكثب ابن وهب للخوارج من أهل البصرة
ينذريهم بما تم عليه الامر ولما خرجت الخوارج جاءت شيعة على اليه
فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت وبعد هذا الخروج
وعلمه بما فعل أبو موسى خطب أهل الكوفة فقال الحمد لله وان أتى الدهر
بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول

الله أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندم وقد كنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري ونحلتكم رأيي لو كان قصير أمرا ولكن أيتكم إلا ما أردتم فكنت أنا وأنتم كما قال أخوهوازن

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلماءصوني كنت منهم وقد أرى مكان الهدى أو انى غير مهتد
وهل أنا إلا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد
ألا ان هذين الرجلين الذين اخترتموها حكمين قد نبذا القرآن
ظهورها وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل منهما هواه لغير هدى من الله
حكما بغير حجة بينة ولا سنة ماضية واختلفا في حكمهما وكلاهما لم
يرشد فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين . استعدوا وتأهبوا للمسير
الى الشام وأصبحوا في معسكركم ان شاء الله يوم الاثنين . وكتب الى
الخوارج بدعوتهم الى المجيء لحرب أهل الشام فكتبوا اليه (أما بعد
فانك لم تفضب لربك وانما غضبت لنفسك فان شهدت على نفسك
بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك والافقد نابذاك على
سواء ان لله لا يحب الخائنين) فلما قرأ كتابهم أيس منهم وأراد أن
يدعهم ويسير الى الشام فخرج حتى عسكر بالزخيلة ومن هناك كتب الى ابن
عباس يأمره أن يرسل اليه جند القصرة والى امير المدائن يأمره أن يرسل
اليه جندها فاجتمع عنده نحو سبعين الف جندي . هناك بلغه ان الناس
يقولون لو سار بنا الى هذه الحرورية فبدا نأبهم فاذا فرغنا منهم توجهنا الى
الشام فقام فيهم خطيبا وبين لهم ان قتال أهل الشام اهم فتنادى الناس يا امير

ثُمَّ مَنِينَ سر بنا الى ما احببت : بلغ علينا وهو في مقامه بالنخيلة ان الخوارج
اعترضوا الناس وقتلوا منهم فارسا رسولا ليعلم جليلة الخبر فقتلوه ولما جاءه
ذلك الخبر قال الناس يا امير المؤمنين علام تدع هؤلاء وراءنا يخافوننا في اموالنا
وعيالنا سر بنا الى القوم فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا الى عدونا من اهل
الشام فلم يجد بدا من موافقتهم ونادى بالرحيل فاما وصلهم ارسال اليهم ان
ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا تارككم وكاف عنكم حتى
القي اهل الشام فاعل الله يقاب قلوبكم ويردكم الى خير مما انتم عليه من امركم
فبعثوا اليه كلنا قتلهم وكلنا نستحل دماءهم ودماءكم . ولم تنجع فيهم تلك
الخطب الرائعة والوصايا العظيمة التي نطق بها وهم يسمعون فرفع راية
مع ابي ايوب الانصاري ونادى من جاء هذه الراية منكم ممن لم يقتل ولم
يستعرض فهو آمن ومن انصرف الى الكوفة أو الى المدائن وخرج من هذه
الجماعة فهو آمن انه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم في سفك
دمائكم فانصرف منهم جمع وخرج الى على جمع وبقي مع ابن وهب ٢٨٠٠ من
أربعة آلاف فقامت رحى الحرب بين الفريقين وانتهت في ذلك اليوم
بقتل ابن وهب ومعظم من معه ووجدوا من جرحا ثم نحواً من ٤٠٠ فامر بهم على
فدفعوا الى عشائرهم وقال احموهم معكم فداوهم فاذا برءوا فخذوهم معكم الى
الكوفة ولما تم لعل الظفر قال للناس توجهوا من فوركم هذا الى عدوكم فقالوا
يا امير المؤمنين نفدت نبالنا وكنت سبونا ونصلت أسنة رماحنا وعادا كثرها
فصدأ فارجم الى مصرنا فلم يستعد بأحسن عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد
في عدتنا عدة من هلك منا فانه أوفى لنا على عدونا : فلما نزل النخيلة من

الناس ان يلزموا عسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم وان يقولوا زيارة نساءهم
وابنائهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا هناك اياماً ثم تسلبوا من معسكرهم
فدخلوا الا رجالات من وجوه الناس قليلاً وترك المعسكر خالياً فلما رأى ذلك
دخل الكوفة وانكسر عليه رآيه في المسير وبعد ايام دعا رؤساءهم ووجوههم
فسألهم عن رأيهم وما الذي ينظرون فبنهم المعتل ومنهم المصكروه وأقامهم
من نشط : وهو في كل يوم يأتي عليهم من خطبه الشديدة يحثهم ويستنهضهم
فلا يفيد ذلك شيئاً وصار في جند لا يمر ولا يحلي ضعف سلطان
امامهم في انفسهم وفضلوا الدعة على تلك الحروب المستطيرة التي كادت
تستأصلهم

هذه كانت حال اهل العراق مع امامهم . اما حال اهل الشام مع
امامهم فكانت على العكس من ذلك جند مطيع وقلوب متحدة وفي هذا
كفاية لمن يريد العظام ولذلك كان شأنه دائماً في علو إلى ما كان يستعين به
من الحيل

كان مما يهم معاوية ان يستولى على مصر فانها متاخمة له وهي مورد
رزق عظيم للجنود فأعمل لذلك الرأي ونجح : كان محمد بن ابي حذيفة بمصر
حين مقتل عثمان فضبطها واستولى عليها وافترق عليه اهل مصر فلما تم الامر
لأبي ول، عليها قيس بن سعد بن عبادة وهو من عطاء شيعته وكانت ولايته
في بدء سنة ٣٦ وكان رجلاً سياسياً خبيراً بالامور فلستقامت له الامور
بمصر الا ان فرقة من المصريين اعتزلت بقرية خربت قد اعظموا قتل عثمان
وكان عليهم مسلمة بن مخلد الانصاري فبعث اليهم قيس اني لا اكرهكم على

البيعة وانا اذعكم واكف عنكم : كان اثقل شيء على معاوية وجود قيس بمصر
مخافة ان يقبل اليه على باهل العراق ويقبل اليه سعد باهل مصر فيقع بينهما
فكاتبه معاوية ومناه فلما جاءه كتابه احب ان يدافعه ولا يسدى له امره
ولا يتعجل له حربه فكتب اليه كتابا لا يستبين مراده منه الا انه قال له
انا كاف عنك ولن يأتيك من قبلى شيء تذكره فلما قرأ معاوية كتابه لم
يأمن ان يكون ذلك مكيدة فكتب له كتابا آخر يطلب منه التصريح برأيه
ولما رأى قيس ان معاوية لا يقبل منه المدافعة والمطالبة اظهر له ذات نفسه
وكتب له كتابا جعله ييأس منه واستنبط وجه الحيلة في اخراجه عن مصر
فقال لاهل الشام لا تسبوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه فانه لنا شيعة
يا تينا كيس نصيحتته سرأ الا ترون مايفعل باخوانكم الذين عنده بخرتى
يجرى عليهم اعطيتهم وارزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن الى كل راكب قدم
عليه منكم لا يستنكرونه فى شيء وكانت لعل جواسيس بالشام فبعثوا اليه
الخير فاتهم قيسا وكتب اليه يأمره بقتال اهل خرتى وهم يومئذ عشرة آلاف
فأبى قيس ان يقاتلهم وكتب الى على انهم وجوه اهل مصر واشرافهم واهل
الحفاظ منهم وقد رضوا منى ان يؤمن سربهم واجري عليهم ارزاقهم واعطيتهم
وقد علمت ان هوائهم مع معاوية فاست مكيدهم بأمر اهون على وعليك من
الذى افعولهم ولو انى غزوتهم كانوا الى قرنا وهم اسود العرب فذرني فأنا
اعلم بما ادارى منهم — فأبى على الا فتالهم و أبى قيس ان يقاتلهم وكتب اليه
ان كنت تهمنى فاعزاني عز عمك وابعث اليه غيرى فعزله وولى على مصر
محمد بن ابى بكر فلم يلبث شهراً حتى كتب الى اوائك المعززين بخيرهم

بين امرين الدخول في طاعته والخروج من مصر فبعثوا اليه ان لا تفعل دعنا حتى ننظر الى ما نصير اليه امورنا ولا تعجل بحربنا فأبى عليهم فامتنعوا منه وأخذوا حذرهم فكانت وقعة صفين وهم له هائبون فلما أثاهم صبر معاوية ومن معه من أهل الشام لعلى وان علياً ومن معه رجعوا عن أهل الشام اجترءوا على محمد بن أبى بكر وأظهروا له المبارزة فأرسل لهم سريتين الواحدة تلو الاخرى ونصيب كلتيهما الهزيمة وحينئذ اضطرب أمر مصر فلما بلغ ذلك علياً قال ما لمصر الا أحد رجلين صاحبنا الذى عزلناه عنها أو مالك بن الحارث الاشتر وكان قد استعمله على الجزيرة فكتب اليه بعد التحكيم فاستقدمه وولاه مصر وكتب اليه ذلك العهد الممدود من أحسن ما كتب فى العالم : والظاهر ان هذا العهد قد كتب بعد ذلك بأزمان

لم يصل الاشتر الى مصر بل مات بالقلزم ويقال أنه سم فى سربة غسل بحيلة من معاوية فكتب على الى محمد بن أبى بكر (أما بعد فقد بلغنى موجدتك من تسريحي الاشتر الى عمالك وانى لم أفعل ذلك استبطاء لك فى الجهاد ولا ازدياداً منى لك فى الجهد ولو نزلت ماتحت ايديك من سلطانك لوليتك ما هو ايدر عليك فى المؤنة وأعجب اليك ولاية منه : ان الرجل الذى كنت وليته مصر كان لنا نصيحاً وعلى عدونا شديداً وقد استكمل أيامه ولاقى حمامه ونحن عنه راضون فرضى الله عنه وضاعف له الثواب وأحسن له المآب اصبر لعدوك وشمر للحرب وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة واكثر ذكر الله والاستعانة

به والخوف منه يكفك ما همك ويعنك على ما ولاك أعاننا الله وإياك على
ما لا ينال إلا برحمته)

كان معاوية في ذلك الوقت قد قوى بنتيجة التحكيم وبإيعاه أهل الشام
بالخلافة فلم يكن له هم إلا مصر فرأى أن يستعين بمن بها ممن ساءهم قتل عثمان
فكتب إلى مسلمة بن مخاض ومعاوية بن خديج يقويهما وعنيهما فكتبوا
إليه بخبر من معهما وانهم ممنعون وأن ابن أبي بكر هائب لهم وطلبوا المدد
فجهز إلى مصر عمرو بن العاص في ستة آلاف رجل فاقبل حتى نزل أداني أرض
مصر فاجتمعت عليه العثمانية وكتب إلى ابن أبي بكر (أما بعد فتتبع عني
بدمك يا ابن أبي بكر فاني لا أحب أن يصيبك مني ظفر . إن الناس بهذه
البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض امرئ وندموا على اتباعك فهم مسلموك
لو قد التقت حلفتنا البطان فأخرج منها فاني لك من الناصحين) فكتب محمد إلى
علي يعلمه بذلك ويطلب منه مدداً

أقبل ابن العاص مريداً مصر فخرج إليه محمداً في ألفي رجل
يقدمهم كنانة بن بشير فلم يحتملوا هجمة الجنود الشامية ومن مالا هم
من جنود مصر فقتل من قتل وفر الباقيون واختفى محمد بن أبي بكر فاقبل
عمرو حتى نزل القسطنطين وخرج معاوية بن خديج يطلب محمداً حتى ظفر
به فقتله ويقال أنه أحرقه بالنار بعد ذلك أما علي فلم ينجح في إخراج الجنود
لأغاثة مصر إلا بعد شدة حيث انتدب له الفان والكنهم لم يسروا إلا قليلاً
حتى بلغ علياً ما كان فارسل إليهم من ردهم من الطريق وحزن كثيراً على
ابن أبي بكر

وكانت مصر معاوية قوة كبيرة ولم يكفه الاستيلاء عليها بل رأى انه
يجب ان يجهز البعوث لاطراف على ينة صها فارس النعمان بن بشير الى عين التمر
وبها مالك بن كعب مساحا لعل فيكتب الى على يستمده فامر الناس ان
ينهمضوا اليه فتأقلا فخطب فيهم هذه الخطبة . يا اهل الكوفة كلما سمعتم
بمفسر من مناسر اهل الشام اظلم انبحر كل امرئ منكم في بيته واغلق باب
انبحار الضب في حجره والضبيع في وجارها الغرور من غررتموه ولمن فاز
منكم فاز بالسهم او خيب لا احرار عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء انا
لله وانا اليه راجعون ماذا منيت بكم عمى لا تبصرون وبكم لا تنطقون وصم
لا تسمعون انا لله وانا اليه راجعون

ووجه معاوية بن ابي سفيان بن عوف في ستة آلاف للاغارة على هيت
والانبار والمدائن فسار حتى اتي هيت فلم يجد بها احدا ثم اتي الانبار وبها
مساحا لعل فغلبهم على امرهم واحتملوا ما بها من الاموال وعادوا الى معاوية
نفرج على في طلبهم فلم يلقهم

ووجه عبد الله بن مسعدة الى تيماء وامره ان يصدق من مر به من
اهل البوادي وان يقتل من امتنع ثم يأتي مكة والمدينة فوجه له على جيشا
يقدمه المسيب بن نجبة الفزاري فالحق ابن مسعدة بتياء فاقتتلوا قتالا
شديدا وانتهى الامر بان سهل لهم المسيب طريق الفرار ولم يلقهم
فاتهم بالغش

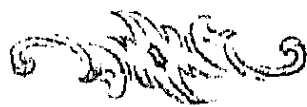
ووجه الضحالك بن قيس للاغارة على بوادي البصرة فأغار عليها ووجه
بسر بن ارطاة في ثلاثة آلاف الى الحجاز واليمن فسار حتى اتي المدينة

وامتلكها وباع أهلها معاوية ثم أتى مكة فباع أهلها كذلك ثم ذهب إلى اليمن وكان واليها عبيد الله بن عباس أعلی فلما علم بتسير بسر إليه فر إلى الكوفة حتى أتى عليا واستخاف على صنعاء فجاء بسر واستولى على اليمن وقتل ابنين صغيرين لعبيد الله وكان بسر عسوفاً أسرف في قتل من رآه من شيعة علي

هكذا كانت الحال في تلك الأزمنة الثقيلة التي كانت إلى الفوضى

أقرب

ومن أغرب ما يروى أن ابن عباس وهو الساعد الأشد لعلي فارقه وتركت البصرة التي كان قد ولاه عليها وجاء مكة لأن علياً اتهمه بمال أخذه من مال المسلمين



المحاضرة الحادية والنهائية

مقتل علي — بيت علي — صفته وأخلاقه — الحسن بن علي — مدنية

الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين — الخلافة — القضاء —

الجند — الخراج والصدقات والعشور — النقود

الحج — الصلاة — العلم والتعليم

مقتل علي

اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم عبد الرحمن بن ملجم والبرك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي فتذاكروا أمر الناس وعابوا ولائهم ثم ذكروا أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً اخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم فلو شربنا أنفسنا فأتيننا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم اخواننا . فقال ابن ملجم أنا أ كفيكم علي بن أبي طالب وقال البرك أنا أ كفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر وأنا أ كفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدوا لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة ٤٠ أن يثب كل علي صاحبه الذي توجه إليه وأقبل كل رجل منهم على المصر الذي فيه صاحبه . فأما ابن ملجم المرادي وكان عدده في كندة فخرج

حتى أتى الكوفة ولم يخبر من بها من اخوانه شيئاً كراهة أن يظهر وكان
بالكوفة جماعة من تيم الرباب قتل منهم على يوم النهر عشرة وفيهم امرأة
يقال لها قطام ابنة الشحنة قتل على أبائها وأخاها يوم النهر وكانت فائقة الجمال
فلما رآها أذهلته عما جاءه فخطبها فقالت لا أتزوجك حتى تشفي لي قال وما
يشفيك قالت ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل على بن أبي طالب قال هو لك
مهر أما على فلم أرك ذكركه لي وأنت تريدينني قالت بل التمس نكرته فإن
أصبحت شفيت نفسك ونفسي ويهنئك العيش معي وإن قتلت فما عند الله
خير وأبقى من الدنيا وزينتها وزينة أهلها فقال لها والله ماجئت هذا المصير
إلا لذلك ثم اختارت له مساعداً من قومها واختار هو مساعداً آخر . ولما
كانت ليلة الجمعة ١٥ رمضان سنة ٤٠ ترصدوا له حتى خرج يريد صلاة
الصبح فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهو ينادي بالحكم لله لالك ولا
لأصحابك ففزع الذين كانوا بالسجد للصلاة وعلى يقول لا يفوتكم الرجل
فشده عليه الناس من كل جانب وأخذوه ودخل الناس على فقالوا له إن
فقدناك ولا نفقدك فنبايع الحسن فقال ما أمركم ولا أنهاكم أنتم أبعمر ثم أوصى
أولاده : وفي يوم الأحد ١٧ رمضان توفي بعد أن مضى على خلافته أربع
سنين وتسعة أشهر إلا أياماً قضاها في هذا العناء وشدة الجهد ودفن بالكوفة
التي كانت حاضرة خلافته

أما البراء بن عبد الله فإنه قعد معاوية في ذلك اليوم الذي ضرب فيه
على فلما خرج معاوية شد عاويه بالسيف فوقع السيف في أليته ودوى من
الضربة وأمر عند ذلك بعمل المقصورة وحرس الليل وقيام الشرط على رأسه

إذا سجد . وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص في تلك الليلة فلم يخرج لانه كان شاكياً وصلى بدله خارجة بن حذافة وكان صاحب شرطته فشد عليه الخارجي فقتله وهو يظن أنه عمرو فقالوا أراد عمر أو أراد الله خارجة

بيت علي

تزوج علي بن ابي طالب

(١) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي اول زوجاته ولم يتزوج عليها حتى توفيت عنده وكان له منها الحسن والحسين وزينب الكبرى وام كلثوم الكبرى

(٢) ام البنين بنت حزام من بنى عامر بن كلاب فولدت له العباس وجعفرأ وعبد الله وعثمان

(٣) ليلى بنت مسعود التميمية فولدت له عبد الله وابا بكر

(٤) اسماء بنت عميس الخثعمية فولدت له يحيى ومحمداً الاصغر

(٥) الصهباء بنت ربيعة من بنى جشم بن بكر وهي ام ولد من سبي تغلب فولدت له عمر ورقية

(٦) امامة بنت ابي العاص بن الربيع وامها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولدت له محمداً الاوسط

(٧) خولة بنت جعفر الحنفية فولدت له محمداً الشهير بابن الحنفية

(٨) ام سعيد بنت عروة بن مسعود فولدت له ام الحسين ورملة

الكبرى

(٩) حياة بنت امير القيس الكلبيه ولدت له جارية ماتت

صغيرة

وكان له بنات من امهات شتى منهن ام هانيء وميمونة وزينب
الصغرى ورملة الصغرى وام كلثوم الصغرى وفاطمة وامامة وخديجة
وام السكرام وام سامة وام جعفر وجمانة ونفيسة وامهاتهن امهات
أولاد شتى وكان النسل من ولده خمسة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية
والعباس وعمر

صفة على وأخلاقه

يخطر ببال من فحص تاريخ الخلفاء الراشدين وعلم تفاصيل أحوالهم
هذا السؤال : كيف دانت قريش لشيخين أولهما من بني تيم بن كعب والثاني
من بني عدى وخضعت لهما الخضوع التام ففسار القوم بقلب واحد في سبيل
نصرة الاسلام وعلو شأنه حتى اذا آت ابني عبد مناف ووليها اثنان
منهم نغصت على أولهما حياته في آخره ولم يصف الامر لثانيهما في جميع
حياته بل كانت مدة اختلاف وفرقة مع ما هو معلوم من قرب بني عبد مناف
للرسول صلى الله عليه وسلم فهم عشيرته الادنون وسادة قريش في جاهليتهم
كما سادوا عليهم في الاسلام ذلك الى ما امتاز به ثانيهما من المميزات الكبرى
التي لم تجتمع في غيره . لا بد لذلك من أسباب : أما ما كان من أمر عثمان فقد
بيننا اسبابه فيما مضى وأما امر علي فانا سنجيب عنه الآن ببيان ما كان من
خلق علي وما كان من الظروف التي أحاطت به

كان علي ممتازاً بخصال قلما اجتمعت لغيره وهي

الشجاعة — الفقه — الفصاحة

فأما الشجاعة فقد كان محله منها لا يجهل . وقف المواقف الملهودة وخاض غمرات الموت لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه وأول ما عرف من شجاعته ببياته موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة وهو يعلم أن قوماً يترصدونه حتى إذا خرج يقتلونه فلم يكن ذلك مما يضعف قلبه أو يؤثر في نفسه ثم في بدر وما بعدها من المشاهد كان علماً لا يخفى مكانه يبارز الأقران فلا يقفون له ويفرق الجماعات بشدة هجماته وقد آتاه الله من قوة العضل وثبات الجنان القسط الأوفر أغمد سيفه مدة أربع وعشرين سنة حتى إذا جاءت خلافته جرده على مخالف فيه فعمل به الأفاعيل وكان الناس يهابون موافقته ويخشون مبارزته لما يعلمون من شدة صولته وقوة ضربته

وأما الفقه فتم يكن مقامه فيه بالمجهول صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ صبوته وأخذ عنه القرآن وكان يكتب له مع ما أوتيته من ذكاء بنى عبد مناف ثم بنى هاشم ولم يزل معه إلى أن توفي عليه السلام كل هذا أكسبه قوة في استنباط الأحكام الدينية فكان الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان يستشيرونه في الأحكام ويرجعون إلى رأيه إذا خالفهم في بعض الأحيان وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب

وأما الفصاحة فيعرف مقدارها فيها من خطبه ومكاتباته التي جمع منها السيد المرتضى جملة عظيمة في الكتاب الموسوم بـ "نهج البلاغة" وقد وصفه شارحه الاستاذ الشيخ محمد عبده بقوله :

كنت كلما انتقلت من موضع منه الى موضع أحس بتغيير المشاهد
وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية
في حلق من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب
الصافية توحى اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتنفر بها عن مداحض المزال
الى جواد الفضل والسكال

وطوراً كانت تنكشف لي الجمال عن وجوه باسرة وأنياب كاشرة وأرواح في
أشباح النمرور ومخالب النسور وقد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب فخلبت
القلوب عن هواها واخذت الخواطر دون مرعاها واغتالت فاسد الالهواء
وباطل الآراء: واحياناً كنت اشهد ان عقلاً نورانياً لا يشبه خلقاً جسدانياً
فصل عن الموكب الالهي واتصل بالروح الانساني فخلعه عن غاشيات
الطبيعة وسما به الى الملكوت الاعلى ونما به الى مشهد النور الاجلى
وسكن به الى جانب التقديس بعد استخلاصه من شوائب التلبيس

وآثات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادى بأعلياء الحكمة وأولياء
امر الامة يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتباب ويحذرهم
مزالق الاضطراب ويرشدهم الى دقائق السياسة ويهديهم طرق السكياسة
ويرتفع بهم الى منصات الرياسة ويصعدهم شرف التدبير ويشرف بهم على
حسن المصير

وقد جمع الكتاب من الحكمة شيئاً كثيراً

هذه الصفات العالية مع ما منحه من شرف القرابة للرسول صلى الله
عليه وسلم ومصاهرته له جعلته يزي لنفسه فضلاً على سائر قریش صغيرها.

وكبيرها شيخها وفتاها ويرى بذلك له الحق في ولاية الامر دونهم فقد قال
 لقد قمصها فلان وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عنى
 السيل ولا يرقى الى الطير . وقال فوالله ما زلت مدفوعا عن حق مستأثراً على
 عند قبض الله تبيده عليه السلام حتى يوم الناس هذا وهناك طبيعة ثابتة في الناس انهم
 لا يميلون الى شخص يرى لنفسه التفوق ومزيد الفضل وانما يقرب الى قلوبهم
 عن يقول وليت عليكم ولست بخيركم . جعله ما يراه لنفسه يقتنع ان الحق فيما
 يراه وافقه عليه غيره ام خالفه ومن هذا شأنه لا يلجأ الى الاستشارة فيما هو
 صانع وهذا شيء شديد لا تقبله انفس الكبراء والاشياخ . روى انه لما بوبع
 عتب عليه طلحة والزبير من ترك مشورتهم والاستعانة في الامور بهما فقال
 لهما لقد قممتما يسيراً وارجأتما كثيفاً الا تخبراني اى شيء لكما فيه حق دفعتكما
 عنه واى قسم استأثرت عليكما به ام اى حق رفعه الى احد من المسلمين ضعفت
 عنه ام جهلته ام أخطأت بابه والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة ولا فى الولاية
 أربة ولكنكم دعوتمونى اليها وحلمتوني عليها فلما أفضت الى نظرت الى
 كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبي صلى الله
 عليه وسلم فاقتديته فلم أحتج في ذلك الى رأيكما ولا رأى غيركما ولا وقع
 حكم جهاته فاستشيركما واخوانى المسلمين ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن
 غيركما وأما ما ذكرتما من أمر الاسوة فان ذلك لم أحكم أنا فيه برأى ولا وليته
 هوى منى بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 فرغ منه فلم أحتج اليكما قد فرغ الله من قسمه وأمضى حكمه فليس لكما

والله عندي ولا اغير كما في هذا عتي أخذ الله بقاوبنا وقلوبكم الى الحق والهدى
واياكم الصبر . وأى نفس تصبر على مثل هذا

لما رفعت قضية عبيد الله بن عمر في قتله لهرهزان الى عثمان كان من
رأى على قتله واسكن عثمان قضى بخلاف رأيه وحكم بالدية والتزمها في ماله
وهو خليفة قضاؤه محترم صواباً كان أم خطأ فلما آل الامر الى على كانت
يريد قتل عبيد الله بعد أن مضى على القضية تلك المدة الطويلة فلم يكن من
عبيد الله الا أن لحق بمعاوية وكان من قواده العظام بصفين . كانت لعثمان قطائع
أقطعها الناس ولم يكن ذلك من رأي على فقال بعد خلافته والله لو وجدته قد
تزوج به النساء وملاك به الاماء لرددته فان في العدل منعة ومن ضاق عليه العدل
فاجور عليه اضيق : يبيع وولاة الامصار من عليه قريش وذوى الرأى
والدهاء فيها فأشار عليه مشيروه أن لا يعجل بنزعهم من أمصارهم حتى يتم أمرهم
فلم يسمع لاحد قولاً بل عجل بنزعهم وأظهر سوء الرأى فيهم حتى خيل اليهم
أنه لو ملك عليهم كانت مصيبة كبرى ففأوعوه وكانوا عليه يداً واحدة .
أراد في هذه الظروف أن يحمل الناس على مثل حد السيف مع ما سبق لهم
من مضادة الخليفة وثقتهم في انفسهم انه لولا هم ما يبيع فلم يحتملوا ذلك له
حتى قالوا ارض التحكيم والافعلنا بك ما فعلنا بعثمان : ولما ولي ابن عباس على
البصرة نظر بعضهم الى بعض وقالوا قمم بن العباس على الحجاز وعبيد الله بن
العباس على اليمن وعبد الله بن عباس على البصرة فقيم قتلنا ابن عفان وكانت
سأمتهم منهم وسأمتهم منه تزداد كل يوم حتى لم يكن له على انفسهم
سلطان يدعوهم فلا يجيبون ويستتضرخهم فلا يفرعون وجيش خصمه قائم

كبراء قريش وعظماؤها فارهمهم بالطاعة وماكوا قلوبهم بالرفق فلم يكن
لهاتين الطائفتين توازن عند الخصومة . كان معاوية يتساهل ببعض الشيء
لرؤس أجناده ويفيض عليهم من العطاء ما يجعل رقابهم خاضعة له وعلى
يحاسبهم على النقيير والقطمير في وقت هو محتاج اليهم حتى كان شيء من
ذلك سبباً في تغير قلب ابن عباس عليه وفرقة له فترك البصرة وذهب
الى مكة . ليس شأن علي في ذلك شأن عمر فان عمر كان يشتد على عماله والامة
كلها معه وأما علي فكان معظم الامة عليه فضلاً عن أن كثيراً من التهم
كانت تلمصق بعماله من قوم يشون بهم كالحال في قيس بن سعد وعبد الله
ابن عباس . وعلى الجملة فان أكبر الاسباب في عدم استقامة الامر لعلي يرجع
الى عقيدته في نفسه وثقته المتناهية بما يراه واستغنائاه عن رأى الاشياخ من
قريش وشدة عليهم شدة لم يعهد لها ما يهون امرها وعدم اعطائه الظروف
التي كان فيها حقها من السياسة

الحسن بن علي

كان من رأى جند علي ان يبايعوا الحسن بن علي بالخلافة بعد قتل
أبيه فبايعوه ولكن الرجل نظر الى الظروف التي هو فيها نظرة صائبة
وجد جنداً لا يركن اليه وخصماً قوى الشكيمة وفوق ذلك كانت يكره
الفتن ويحب المسلمين الالفة فلم ير خيراً لنفسه ولا لأئمة من أن يتنازل
لمعاوية وصالحه على شروط رضىها الطرفان وكتب الى معاوية ببيعته وسلم
اليه الكوفة في أواخر ربيع الاول سنة ٤١ وبذلك تم ما قاله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين

عظيمين من المؤمنين . وهذات الاحوال وسمى المسلمون ذلك العام وهو السنة
الحادية والاربعون من الهجرة عام الجماعة

مدينة الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين

اصطلح المؤرخون على تسمية الدولة الاولى من دول الاسلام بدولة
الخلفاء الراشدين ومدتها تقرب من ثلاثين سنة ونحسب الآن ذاكرون
شيئا من المدينة الاسلامية أو العربية لعهدهم ونريد بالمدينة مجموع النظام الذي
اتبعوه في احوالهم الاجتماعية سواء في ادارة امورهم الداخلية أو في حروبهم
الخلافه

أول ما كان لهم من مظاهر المدينة تأسيس الخلافة الاسلامية وكان
الرئيس يسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء ثاني الخلفاء
اختار لقب أمير المؤمنين ثم مازال مستعملا لقباً لجميع من أتى بعده من
الخلفاء وهذه الخلافة رياسة دنيوية أساسها الدين وغايتها حمل الناس على
ما فيه صلاحهم متبعا في ذلك نصوص الكتاب وما عرف من سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فالخليفة واجب الطاعة فيما يأمر مالم يخالف النصوص
أو الشريعة الاسلامية وكان أساس التشريع في زمنهم هو القرآن والسنة
المعروفة فان عرض لهم ما ليس فيهما عرفوا الاشباه والامثال وقلسوا مالا
نص فيه على ما فيه نص لما بينهما من التشابه . وكان الخليفة في الاجتهاد
والاستنباط كأحد المجتهدين يستفتيهم فيما نزل به من الحوادث فيجيبونه
بما عندهم فان اتفقوا في الفتوى كان من الحتم عليه أن يتبع رأيهم وهذا
ما يسمى في عرف المسلمين بالاجماع وان اختلفوا في الفتيا عمل الخليفة بما

يرى من آرائهم فلم يكن له سلطان ديني أكثر من انه منفذ لاحكام الدين فليست الخلافة فيما نرى سلطانا دينيا كما يزعمون وانما هي سلطان أسامة الدين

لم يكن في تلك الدولة للخلافة أسرة معينة بل كانت يختار الخليفة من أى أسرة من اسر قريش والخلفاء الاربعة من ثلاث أسر قابو بكر من بني تيم وعمر من بني عدى وعثمان وعلي من بني عبد مناف : وكان اساس الانتخاب الشورى فالخلافة من جهة كونها لا تتعين لها أسرة وصاحبها يتعين بالانتخاب ومقيد فيما يعمل بالقانون الشرعي تشبه رياسة الجمهورية وتمتاز الخلافة بانها مختصة بالبيت القرشي

وكانت الناس تبايع الخليفة على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وزادوا في بيعة عثمان وسنة الشيخين أبي بكر وعمر وحذفت هذه الزيادة في بيعة علي لانه أباهما لما عرض عليه الامر عبد الرحمن ابن عوف وكان الخلفاء يستشيرون فيما يعرض لهم من الامور او انهم لم يكونوا على درجة واحدة في ذلك وكان أكثرهم اهتماما بالشورى عمر بن الخطاب فانه كان قلما يقدم على أمر الا بعد أن يستشير ويحضر الآراء وكانت له شورى خاصة من أعلام الصحابة ومشيوخهم من المهاجرين والانصار ومشيخة قريش مثل عثمان بن عفان والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن ابن عوف وعلي بن أبي طالب ومن مائتهم وكان يلحق بهم عبد الله بن عباس لما يراه من فقهه وجودة رأيه : وشورى عامة من كل من له رأى من المسلمين يعرض عليهم الامر في المسجد بعد ان

يدعو (الصلاة جامعة) فيقول كل ما بداله وربما استشار بعد ذلك خلاصته .
وكان كثيراً ما يرجع عن رأيه متى تبين له الحق وناهيك برجل كان يقول
من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه . ورجال الشورى كانوا مختارين من قبله
الا انه لم يكن احد يمنع من ابداء رأيه مهما كان صاحب الراى صغير القدر
لان حياتهم كانت مبنية على المساواة

ولم يكن ينقص هذا النظام البديع الا شىء واحد وهو تعيين من
لهم الصوت في انتخاب الخلفاء بوصف يبينهم لان عدم هذا التعيين كان
سبباً من اسباب الفرقة بين على ومعاوية لان علياً كان يرى أن هذا
الحق لاهل المدينة وحدهم لا يشركهم في ذلك اهل الامصار الاخرى
فتى بابيع اهل المدينة لواحد تمت بيعته وليس لاحد بعد ذلك اعتراض
ومعاوية ومن معه من اهل الشام كانوا يرون غير ذلك وان البيعة لا تتم
الا برضا اهل الامصار فكانت تلك الفرقة الهائلة وتلتها الحروب العظيمة
بين المسلمين . لم يكن للخلافة في هذه الدولة شىء من شارات الملك ولا
ابته بل كان الخليفة يسير في طريقه وفي بيته كسائر الناس لا حاجب ولا
حارس يقف للصغير والكبير وكان عمر يكره ان يكون له حجاب حتى
انه ارسل اسعد بن ابي وقاص من احرق باب دار الامارة الذي حال بين
العامه وبين رفع شكواهم اليه
القضاء

كان القضاء معتبراً من عمل الخليفة لان معناه فصل الخصومات
والمنازعات على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة فكان

الخلفاء يباشرون هذا العمل بأنفسهم ويستفتون في الحكم ان كانت هناك حاجة الى الاستفتاء : ولما كثرت المشاغل واتسعت الفتوح واضطر الخلفاء للاشتغال بالجيوش وتديرها فوضوا هذا العمل الى من في مكنتهم الاستنباط ولكنهم لم يتسموا باسم القضاة الا من عهد عمر بن الخطاب فانه بعث قضاة الى الامصار ووضع لهم امودجا يسرون عليه واستمر الحال على ذلك الى آخر عهد الخلفاء الراشدين : ومن أعظم ما كان لاولئك القضاة من الفخر شرفهم واستقلالهم في الحكم فلم يعرف عن احد منهم في ذلك العصر ميل الى الدنيا واغترار بزخرفها يعدل بهم عن قول الحق والحكم به وكان سواء في نظرهم الشريف والوضيع والخليفة والرعية ولم يكن لامراء الامصار سلطان عليهم في قضائهم وكان تعيينهم من الخليفة رأسا وحيانا يكتب الخليفة الى الامير ان يولى فلانا قضاء بلده وعلى الحالين التعيين صادر صادر من الخليفة : وكان للقضاة رزق من بيت المال لما يلزمهم من الاتقطاع لهذا العمل وترك ما يرزقون منه ومن أحسن ما رأينا في امر القضاة ما كتبه على ابن ابي طالب الى أحد عماله ثم اختار الحكم بين الناس 'فضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتماذي في الزلة ولا يحصر من الفئ الى الحق إذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفى بادنى فهم الى أقصاه أو وقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الامور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وأفسح له في

البرزل ما يزيل عليه وتقل معه حاجته الى الناس وأعطاه من المنزلة قديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليا من بذلك اغتيال الرجال له اعندك)

وكان في كل مصر جماعة اشتهروا بالفقه واستنباط الاحكام كان يستعين بهم القاضى ويستفتيهم اذا أشكل عليه امر وأثم ما كان يدعوهم الى ذلك ان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن مجموعة في كتاب بل كانت في صدور الناس يحفظ منها احدهم جزءاً والثاني جزءاً وقد لا يحفظ احدهم ما يحفظه الآخر فربما عرضت للقاضى مسألة فلا يرى فيها نصاً ويكون النص وهو الحديث عند غيره وبذلك كانوا يسألون هل عندكم شيء في هذا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجمعوا هذه الفتاوى ولا الاقضية في كتاب خاص يرجع اليه من بعدهم وكان ما ذكرناه من أمر السنة سبباً كبيراً من أسباب اختلافهم في الفتاوى والاقضية

لم يكن القاضى في احكامه موكولاً الى الاجتهاد الصرف كما يظن بعض الباحثين ويجعل ذلك من عيوب القضاء وانما كان موكولاً الى الاجتهاد في فهم القانون الشرعى وتطبيقه على الحوادث والواقعات حقيقة ان ذلك القانون لم يعتن بالتفصيل التام بل اهتم بالقواعد الكلية وليس هذا عيباً في القوانين التي يراد منها البقاء بل هو مما يحسنها ويجعلها صالحة لكل زمان ومكان

الاجتهاد للقاضى والحال ما ذكرنا امر لا بد منه ولذلك اعده المتقدمون من الشروط المتحتمة

لم يكن تعيين القضاة مانعاً للخلفاء من نظر اى خصومة تعرض

عليهم وقد حصل ذلك من الخلفاء في آتات كثيرة فكان القضاة كانوا نواباً للخلفاء

وليس عندنا دليل على وجود سجلات يضبط فيها ما يصدر من الأحكام ولا أن صور الأحكام كانت تعطى للمحكوم له لأن ذلك لم يكن ما يدعو إليه مادام التنفيذ في يد القاضي فهو الذي يقضى وهو الذي ينفذ الحكم ويظهر لنا مما قرأنا من أخبارهم أنهم قلما كانوا يحتاجون للتنفيذ لأن من حكم عليه كان يبادر بتنفيذ ما قضى عليه به من الحقوق فكان المتنازعون أقرب إلى كونهم مستفتين

ويظهر لنا أن قضاء القضاة في عهد الخلفاء الراشدين كان قاصراً على فصل الخصومات المدنية أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاية الامصار لأننا رأينا قضايا حكم فيها الخلفاء والامراء بقتل قصاصاً أو جلد بسكر ولم يبلغنا أن قاضياً ليس أميراً قضى بعقوبة منها أو نفذها : وكانت العقوبات التأديبية كالحبس لا يأمر بها إلا الخليفة أو عامله فكانت الدائرة القضائية ضيقة : ولم يبلغنا أيضاً أن قضاة الامصار كانوا ينيبون عنهم قضاة في غير الحواضر الكبرى وذلك كله دليل على قلة القضايا والخصومات

قيادة الجيوش

كانت قيادة الجنود من أعمال الخلافة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود الجنود بنفسه ولكن الخلفاء لما لم يمكنهم أن يقودوا جميع الجنود المرسل إلى البلدان المختلفة كانوا يختارون قائداً للجيش ممن يرون

فيه النجدة والشجاعة وتكون طاعتهم واجبة كطاعة الخليفة سواء بسواء
وبعد انتهاء الفتح واستقرار الأمن يكون ساططهم قاصراً على تدبير أمر
الجنود والنظر في معداتهم ولم تكن هذه الجنود محصورة في ديوان الا
من عهد عمر بن الخطاب فهو الذي دون لهم الدواوين وأحصاهم حتى صار
يعرف جنود كل وجه ومن تأخر منهم عن وجهه وكان يعاقب المتأخر
بأن يقام في مسجد حيه ويقال ان هذا يخلف : وهذا التوبيخ كان في نظرهم
أمر من ضرب السيف لما هو معروف عنهم من الشجاعة والاقدام ويرون في
الاحجام عاراً لا يمحى وكما حصرهم عمر رتب لهم الارزاق من بيت المال وا
يكن قبل ذلك لهم رزق معين الا أنه لم يسو بين الجنود في العطاء وقد سوي
بينهم على بن ابي طالب وكان لكل جند عرفاء يلون امور الجند ويقبضون
أرزاقهم ويوزعونها عليهم

أما تعبئة الجيوش فقد نالوا منها حظاً عظيماً فبعد ان كانت العرب
تجارب في جاهليتها بطريقة الكر والفر وهي ان يار المحارب على خصمه
ثم يفرو ويكر وهكذا لا يتبعون في ذلك نظاماً رأى قواد الجنود من المسلمين
ان هذا النظام لا يصلح معه حروب الامم المنظمة فربطوا مسير الجنود
بعضهم ببعض حتي يكون الصف متضامناً وليس لاحدهم ان يتأخر عن
صفه او يتقدم عنه . وكان للجيش مقدمة تكون في الامام وهي التي تبد
المناوشات وتعرف الطريق وترتاد المواضع وقاب وهو وسط الجيش وفي
امير الجند ومجنبتان يمنى ويسرى أو جناحان وساقة واسكل فرقة امب
يأتمر بأمر القائد وكانوا يجعلون على الفرسان خاصة أميراً وكان لهم الشسا

العظيم في الاحتفاظ بخطوط رجعتهم حتي لا يؤثروا من خلفهم وكانوا يحذرون من البيات جهدهم

ومن أحسن ما اطلعت عليه من الاوامر الخاصة بتسيير الجنود ما كتبه عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص من كتاب له في ذلك حيث يقول (وترفق بالمسلمين في سيرهم ولا تجشهم مسيراً يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينتقص من قوتهم فانهم سائرون الى عدوهم مقيم حاي الانفس والكراع وأقم بمن معك في كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون بها انفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تشق به ولا يرزأ أحداً من أهلها شيئاً. فان لهم حرمة وذمة ابتليت بالفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوا خيراً ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح. واذا وطئت أرض عدوك فاذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك من أمرهم شيء وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم واختار لالطلائع أهل البأس والرأى من أصحابك وتخبر لهم سوابق الخيل فان لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة واجعل أهل السرايا من أهل الجهاد والصبر على الجلاء ولا تخص أحداً بهوى فتضيع هن رأيك وامرك اكثر مما حايت به أهل خاصتك ولا تبعت طليعة ولا

سيرة في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فاذا عاينت العدو فاضم
إليك أقاضيك وأجمع إليك مكيدتك وقوتك ثم لا تماجاهم بالمناجزة ما لم
يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كلها كعرفة
أهلها بها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم اذك حراسك على عسكريك وتيقظ
من البيات جهك الخ

الخراج وجبايته

كان الخلفاء من عهد عمر بن الخطاب يعينون للجباية عمالا مستقايين
عن العمال والنقود وقليل ما كانوا يكون أمر الجباية إلى العمال وكانوا يدفعون
مما يجبون أرزاق الجند ومصاريف ما يأمر به الخليفة مما تقتضيه المصالح
العامة والباقي يرسل إلى دار الخلافة ليصرف في مصارفه
وكانت هناك إيرادات ثابتة أو عادية أو إيرادات غير ثابتة : أما الأولى
فهي الخراج والعشر والصدقات والجزية

والخراج هو ما كان يوضع على الأراضي التي امتلكها المسلمون عنوة
وتركوها في أيدي أهلها يؤخذ منهم كأنه أجرة للأرض التي أقيمت في
أيديهم وكانوا يجعلونه أحيانا شيئا مقدرا كما جعل عمر في السواد وأحيانا
يجعلونه حصة شائعة لما يخرج من الأرض : أما الأراضي التي أسلم أهلها
عليها وهي من أرض العرب أو العجم كالمدينة واليمن أو ملكها المسلمون
عنوة وأهلها لا تقبل منهم الجزية كبدة الأوثان من العرب فهذه أرض

عشر ومثلها الاراضى التى امتلاكها المسلمون عنوة وقسمت بين الغامنين :

والعشر هو عشر ما يخرج من الارض

وكان عمر لما فتح السواد والشام شاور الناس في قسمة الارضين التى فتحها المسلمون فتكلم فيها قوم وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا فقال عمر فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الارض قد اقسمت وورثت عن الآباء وحيزت ما هذا برأى فقال عبد الرحمن بن عوف فما رأى ما الارض والعلاج الامم أفاء الله عليهم فقال عمر ما هو الا ما تقول ولست أرى ذلك والله لا يفتح بمدى بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى ان يكون كلا على المسلمين فاذا قسمت ارض العراق بعلاجها وارض الشام بعلاجها فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق فأكثر واعلى عمر وقالوا تقف ما افاء الله علينا بأسيا فتنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولا بناء القوم ولا بناء بنائهم ولم يحضروا فكان عمر لا يزيد على ان يقول هذا راى قالوا فاستشر فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا فأما عبد الرحمن بن عوف فكان رأيه ان تقسم لهم حقوقهم ورأى عثمان وعلى وطلحة وابن عمر رأى عمر فارسل الى عشرة من الانصار وخمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبارهم واشرافهم فلما اجتمعوا حمد الله واثنى عليه بما هو اهل له ثم قال انى لم ازعجكم الا لان تشركوا معى فيما حملت من اموركم فانى واحد كما حدكم وانتم اليوم تفرقون بالحق خالفنى من خالفنى ووافقنى من وافقنى ولست اريد ان تتبعوا هذا الذى هواى . معكم من الله كتاب ينطق بالحق فوالله لئن كنت نطقت بأمر

أريد ما أريد به إلا الحق قالوا قل نسمع يا أمير المؤمنين قال قد سمعتم كلام
هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم وأنى أعوذ بالله أن أركب ظلماً
لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيتهم غيرهم لقد شقيت ولكن رأيت أنه
لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعالجهم
فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجهته على وجهه
وأنا في توجيهه وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلاجها وأضع عليهم فيها
الخراج فتكون فيئاً للمسلمين المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم : رأيتم
هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها رأيتم هذه المدن العظام كالشام
والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيش وادار
العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضون والعلاج فقالوا جميعاً
الرأى رأيك فنحما قلت وما رأيت أن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن
بالرجال وتجرى عليهم ما ينفقون به رجع أهل الكفر إلى مدنهاهم : فقال قد
بان لي الأمر فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على
العلاج ما يحتملون فاجتمعوا له على عثمان بن حنيف وقالوا تبعثه إلى أم ذلك
فإن له بصراً وعقلاً وتجربة فأرسل إليه عمر فولاه مساحة أرض السواد
فادت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مئة ألف درهم وكان
وزن الدرهم يومئذ وزن المثلقال

وأرادوا منه أن يقسم الشام كما قسم الرسول خيبر وكان أشد الناس
عليه في ذلك الزبير بن العوام وبلال بن أبي رباح فقال عمر إذا أترك من

بعدكم من المسلمين لا شيء لهم : وفعل بالشام كما فعل بالعراق فترك أهله ذمة
يؤدون الخراج للمسلمين

قال ابو يوسف القاضي والذي رأى عمر من الامتناع من قسمة
الارضين بين من افنتحها توفيقا من الله كان له فيما صنع وفيه كانت الخيرة
لجميع المسلمين وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم
التفع لجماعتهم لان هذا لو لم يكن موقوفا على الناس في الاعطيات والارزاق
لم تشحن الثغور ولم تقو الحيوش على السير في الجهاد ولما أمن رجوع أهل
الكفر الى مدنها اذا خلت من المقاتلة والمرتزة

ولم يكن مقدار الخراج معروفا تماما في عهد الخلفاء الراشدين
والجزية ما كان يوضع على رؤوس أهل الذمة على الرجال دون النساء
والصبيان وكانت تؤخذ منهم جزاء عن حمايتهم ودفع العدو عنهم ولم يكونوا
يأخذونها من المسكين الذي يتصدق عليه ولا بمن لا قدرة له على العمل .
روى أبو يوسف القاضي في كتابه المرسوم بالخراج ص ٧٢ قال سر عمر
بن الخطاب بباب قوم وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضري البصر ف ضرب عضده
من خلفه وقال من أى أهل الكتاب أنت فقال يهودى قال فما ألك الى
ما أرى قال اسأل الجزية والحاجة والسن قال فاخذ عمر بيد وذهب به الى
منزله فريض له بشيء من المنزل ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال انظر
هذا وضرباه فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نأخذله عند الحرم انما
الصدقات للفقراء والمساكين والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من
أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وعن ضربائه

وكانوا يقدرّون الجزية على حسب أحوال الناس ويسارهم لا تؤيد عن
٤٨ درهما في السنة ولا تنقص عن اثني عشر . روى ابن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقتة فأنا حبيبه .
وكان فيما تكلم به عمر بن الخطاب عند وفاته أوصى الخليفة من بعده
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعدهم وأن يقاتل من وراءهم
ولا يكلفوا فوق طاقتهم

الصدقات

كانت الصدقات تؤخذ من المسلمين من جميع أموالهم نعمهم السائمة
الابل والبقر والغنم وتقودهم الدرهم والدينار وما يخرج من أرضهم وقدينت
الشريعة لكل ذلك نصاباً معيناً لا تجب الزكاة فيما دونه وقدر معيناً لا يؤخذ
فوقه بين ذلك في كتاب كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته وعمل
به المسلمون بعده وكانوا يعينون لاهل البادية مصدقين وهم الذين يأخذون
الصدقات ليصرفها الامام في مصارفها الشرعية

العشور (الجمارك)

كان تجار من المسلمين يذهبون بتجارهم الى ديار الحرب فيقتاضي منهم
أهل البلاد عشر أموالهم فكتب أبو موسى الاشعري الى عمر أن تجاراً من
قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر فكتب اليهم
عمر خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين وخذ من أهل الذمة ربع
العشر ومن المسلمين من كل أربعين درهما درهما وليس فيما دون المثتين شيء

فإذا كانت مئتين ففيها خمسة دراهم وما زاد فبحسابه
وروى أبو يوسف القاضي أن جماعة من أهل الحرب من وراء البحر
كتبوا إلى عمر بن الخطاب دعنا ندخل أرضك تجاراً وعشراً فشاور عمر
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاشاروا عليه به فكان أول من عشرين أهل
الحرب

وبعث زياد بن حدير على عشور العراق والشام ومما يستطرف من خبره
أن رجلاً من نصارى تغلب مر عليه بفارس قومت بعشرين ألفاً فاخذ منه
الفأثم مر عليه راجعاً في سنته فقال اعطني ألفاً أخرى فقال له التغلبي كلما
مررت بك تأخذ مني ألفاً قال نعم فرجع التغلبي إلى عمر فوافاه بمكة وهو في
بيت فاستأذن عليه فقال من أنت قال رجل من نصارى العرب وقص عليه
قصته فقال عمر (كفيت) ولم يزد على ذلك فرجع التغلبي إلى زياد بن حدير
وقد وطن نفسه على أن يعطيه ألفاً أخرى فوجد كتاب عمر قد سبقه إليه
من مر عليك فاخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من
قابل إلا أن تجد فضلاً فقال الرجل قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك
الفأ واني أشهد اني على دين الرجل الذي بعث اليك الكتاب

قد اتبع المسلمون عمر في تعشير أموال التجارة التي ترد من خارج
البلاد الإسلامية إلى بلاد المسلمين : قال أنس بن سيرين أرادوا أن يستعملوني
على عشور الابل فابيت فلقيني أنس بن مالك فقال ما يمنعك فقلت العشور
أخبت ما عمل عليه الانسان قال فقال لي لا تفعل عمر صنعه فجعل على أهل الاسلام ربع
العشر وعلى أهل الذمة نصف العشور وعلى المشركين ممن ليس له ذمة الشرك

ولم يريدوا ان يأخذوا من أموال المسلمين التجارية أكثر مما يجب عليهم
من الزكاة وضاعفوا ذلك على اهل الذمة كما فعلوا مع نصارى تغلب من العرب
وعاملوا اهل الحرب بما يعاملون به تجار المسلمين في بلدانهم
وليس عندنا علم بمجموع ما كان يرد في السنة الى بيت المال ولا بتقدير ما كان
يصرف الا انهم لم يكونوا يتركون في بيت المال وفراً أو كان لبيت المال خازن يخرج
منه بمقدار ما يأمر الخليفة

اما الغنائم فكانت تقسم اربعة اخماسها على الغنائين والخمس الباقي يرد
الى بيت المال ليصرف في مصارفه

النقود

كان العرب قبل الاسلام يتعاملون بنقود كسرى وفارس من الذهب والفضة
ولم يكن لهم سكة خاصة بهم لانها تتبع المدنية والحضارة وكانت الامة العربية تغلب
عليها اذ ذاك البداوة ولما جاء الاسلام لم يتغير هذا التعامل بل سار على تلك الحال
مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما افتتحت الفتوح على عهد
عمر واستولى المسلمون على بلاد فارس وكثير من بلاد الروم رأى عمر بن الخطاب
ان يعين وزن الدرهم لانه نظر فرأى الدراهم السكروية المسكوكة مختلفة الوزن
فمنها درهم على وزن المئقال عشرون قيراطا ومنها درهم وزنه اثنا عشر قيراطا ودرهم
وزنه عشرة قيراطا فأتى عمر جميع هذه الاوزان الثلاثة وهي ٢٤ قيراطا وأخذ
ثلاثها وهو أربعة عشر قيراطا من قرار يط المئقال وضرب الدراهم على ذلك فكان كل
عشرة دراهم وزن سبعة مئاقيل لان كل منها — ١٤٠ فصارت النسبة بين الدراهم
والمئقال كنسبة ٧٠:١٠. نقل المرحوم علي مبارك باشا في خطه عن المقرئ الميرزا قال
وفي سنة ١٨ من الهجرة ضرب الدرهم على نقش السكروية وشكلها باعيناها غير
انه زاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله وفي بعضها لا اله الا الله

وحده وعلى أخرى عمر وجمل وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل فلما بويج عثمان
ضرب في خلافته دراهم ونقشها الله أكبر

الحج

كان من الاعمال الكبرى لامام المسلمين اقامة حجهم وكان الحج معتبرا في
نظر الخلفاء الراشدين موسما عاما يجتمع فيه امراء الجهات ليدلوا الى الخليفة بما
عندهم من الاحوال في بلادهم ولتسمع شكوى من يشكوهم من رعييتهم وكان الخلفاء
يلونه بانفسهم وقلما يتخلفون وكان أكثرهم نوليا لامر الحج بنفسه عمر بن الخطاب
حج سنه كلها لم يتخلف أبدا الا انه حصل خلاف في السنة الاولى من حكمه
فقيل أنه أناب عنه عبد الرحمن بن عوف . وأبو بكر حج بنفسه مرة وأناب عنه
مرة وعثمان حج معظم سنه وعلى أناب عنه كل سني خلافته لما شغل به من
الاضطراب الذي كان بينه وبين معاوية

كان هذا الاهتمام بامر الحج قد جعل له مظهراً عظيماً وفائدة كبرى في تعارف
المسلمين بعضهم ببعض وان الخلفاء يحثهم من الاخبار مالا يمكن أن يكون
بواسطة الولاة

الصلاة

كانت اقامة الصلاة من اعمال الخليفة فهو الذي يقيمها بنفسه أو بواسطة نائبه
وكان في كل مصر مسجد جامع واحد تؤدي به الجمعة ولا ينصب منبر في غيره
فلم تكن تقام الا الجمعة واحدة في مصر يقيمها الخليفة ان كان او الوالى ولم
يبلغنا أنه تعددت المنابر في البلد الواحد في عهد الخلفاء الراشدين

العلم والتعليم

كانت الكتابة قبل مجيء الاسلام نادرة في الامة العربية خصوصا الحجاز وتجد
فلما جاء الاسلام ساعد على انتشار الكتابة بين العرب . ففي زمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم استخدم جماعة من فقراء اسرى بدر في أن يعلم كل منهم عشرة
من صبيان المدينة الكتابة وكان ذلك فداؤه . ولما افتتحت البلاد الفارسية وكان
بالخيرة كثير ممن يكتبون جلبوا جماعة منهم يعلمون الكتابة بالمدينة وكان أكثر الناس

الذي نشأ في عهد الخلفاء الراشدين يعرف الكتابة . أما الخلفاء انفسهم فكانوا
كلهم من الكتاب قبل الهجرة وقد كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يكتب شيء من الكتب في ذلك العهد الا القرآن فانه جمع في مصحف
في عهد أبي بكر وفي عهد عثمان كتبت منه مصاحف عدة ارسل بها الى الامصار
ليكون كل مصحف اما ما لاهل المصير الذي ارسل اليه . أما سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم تجمع في كتاب . وكذلك لم يكتب شيء في العلوم . أما الدينية
منها فكانوا مكتفين بما فطروا عليه من معرفة اللغة العربية وفهم اساليبها والشريعة
انما جاءتهم بهذه اللغة فكانوا يستقلون بفهمها وأما العلوم الصناعية فان الامة كانت
لا تزال فيها على بداوتها وان كان قد نبغ منها من امكنهم انشاء المدن ومسح
لاراضي بالمران على ذلك لا يتعلم سابق



المحاضرة الثانية والثلاثون

الدولة الاموية — معاوية وترجمته — انتخابه

حال الامة حين انتخابه

الدولة الاموية

كان أمية بن عبد شمس بن عبد مناف سيداً من سادات قريش في الجاهلية يعادل في الشرف والرفعة عمه هاشم بن عبد مناف وكانا يتنافسان في رئاسة قريش وكان أمية رجلاً تاجراً كثير المال أعقب كثيراً من الاولاد والمال وكثرة العصبية كانا في الجاهلية من أكبر أسباب السيادة بعد شرف النسب وكان لامية عشرة من الاولاد كلهم ساد وشرف فمنهم العنابس وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبوسفيان وعمرو وأبو عمرو ومنهم الاعياص وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وقد كان حرب بن أمية قائد قريش كلها يوم الفجار وهو الذي تحمل الديات في ماله حينما دعا الناس الى الصلاح في ذلك اليوم ورهن لسدادها ولده أباسفيان : وكان حرب يسمر مع عبد المطلب ابن هاشم وقد دامت الالفه بينهما طويلاً وأبو سفيان كان صديقاً للعباس بن عبد المطلب فلم يكن هذان البطنان متعادين في الجاهلية كما يظنه بعض من لا يدقق في المسائل التاريخية وإنما كان يظهر في بعض الاحيان شيء من التنافس الضروري

وجوده في الاحياء المتقاربة وقد أشرنا الى ذلك فيما مضى ولم يكن هذان
البطنان مختلفين فيما به الشرف في إجمالية الاولى بل كان كل منهما قد أخذ
منه قسطاً وافراً

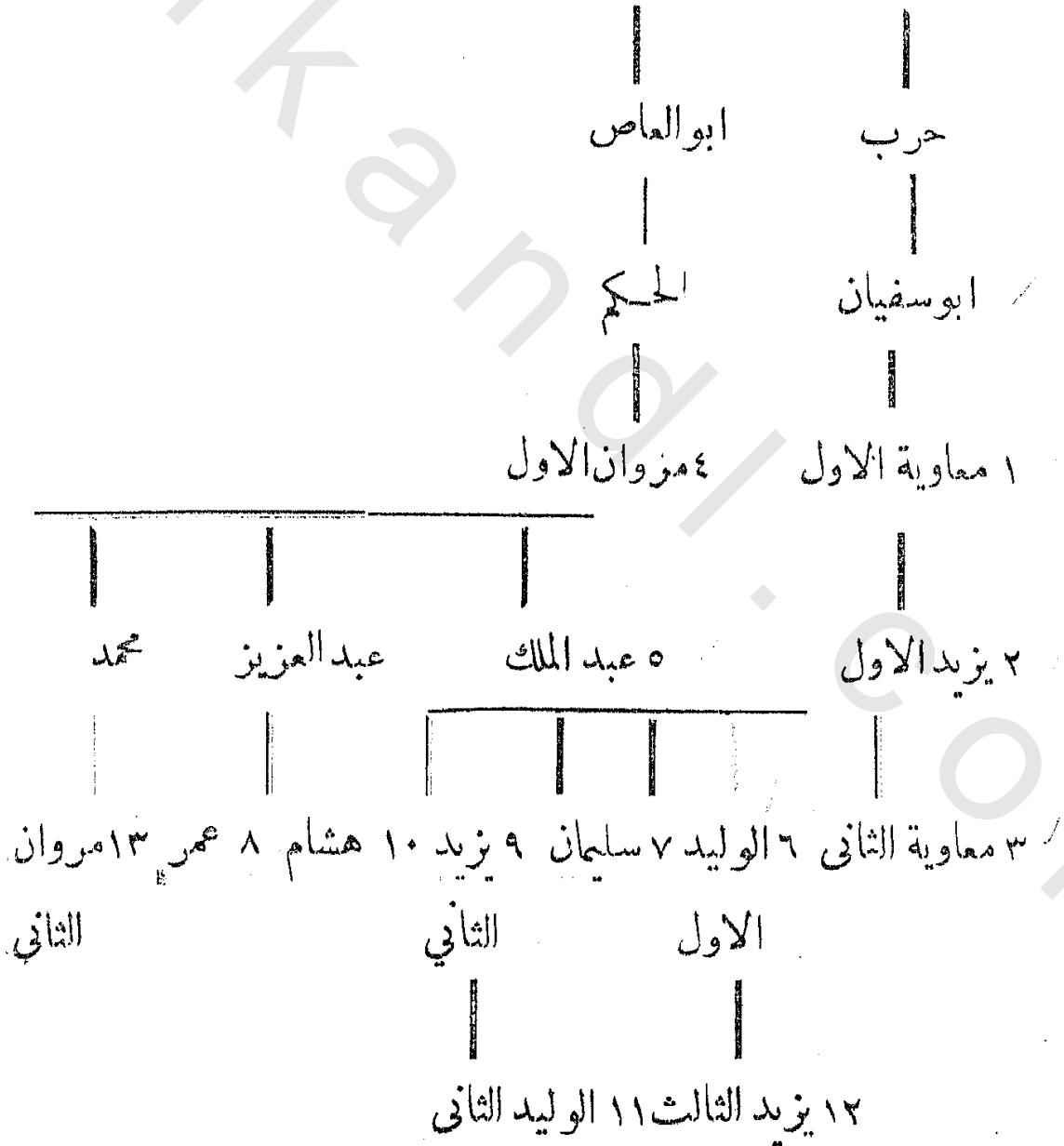
لما جاءت النبوة ودعا رسول الله الناس الى الله أجابه من بنى عبد شمس
جمع كما أجابه من بنى هاشم وعاداه كثير من هؤلاء كما صدغنه كثير من اولئك الا
أن بنى هاشم وبنى المطلب حذبا على رسول الله للعصبية القومية العربية حيث
حماه أبو طالب كبير بيته . وكان يزاحم بنى عبد مناف في الشرف بيوت قرشية
أخرى كآل مخزوم وآل أسد بن عبد العزى بن قصي
ولما ائتمر المشركون على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
المؤتمرون من جميع قبائل قريش الا أنه لم يكن فيهم من بنى هاشم الا ابو
لهب : جاءت الحروب الاسلامية والمشاهد الكبرى النبوية من بدر فابعدھا
ولم ينل حظ الوقوف بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عدد قليل
من بنى عبد شمس وكان القائد إلا كبر لقريش في بدر من بنى عبد شمس
ابن عبد مناف وهو عتبة بن ربيعة ورؤسهم في أحد والاحزاب ابو سفيان
ابن حرب بن امية بن عبد شمس ولم يزل الامر على ذلك حتى تأذن الله
بفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة وكان ابو سفيان رجلاً عظيماً في نفسه
ذا شرف يخشى على قومه ان تصيبهم مهانة او مذلة ويتبع تلك الصفة غالباً
محبة الفخر والذكر فانهى العباس ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعطاه الرسول في ذلك اليوم تأليفاً له وتحبباً اليه ما لم يعطه احداً وهو ان
امر مناديا ينادي بمكة من اغمد سيفه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن

ومن دخل دار ابى سفيان فهو آمن فسوى بين بيته وبين بيت الله وهذا شرف
عظيم لم ينل أحد مثله للآن وفي ذلك اليوم اسلم معظم المتأخرين عن الاسلام
من رجالات قريش وذوى النجدة فيها وكانوا يسمون مشيخة الفتح . وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر الناس باسلامهم وكان يقابهم قائماً فاتحاً
ذراعيه معانقاً لهم كما فعل بصفوان بن أمية والحارث بن هشام وغيرهم ولم ير
رسول الله ﷺ أن عفوه عنهم سيكون عيباً لاحقاً بهم يعيرون به في مستقبل أيامهم
وبعد انتهاء فتح مكة ولى عليها شاباً من بنى عبد شمس . استعمل
أبو بكر مشيخة الفتح ومن لم تاحقهم اعمالهم بالسابقين في حروب الردة
قابلوا فيها بلاء عظيماً واغنوا غناء حسناً ثم سير بهم الى ثغور الشام وكانوا كلهم
في شوق الى وقائع يقضون فيها الواجب الذى عليهم للاسلام حتى يكتب
لهم في نصرته ما يحصو ما كتب عليهم في مغاضبته

وممن اشتهر غناؤهم وعظم ذكركم يزيد بن ابى سفيان فقد كان ولاه
أبو بكر قيادة احد الجنود الاربعة التى توجهت لفتح الشام وكان الوالى
على دمشق لعمر بن الخطاب وكان اخوه معاوية عاملاً على احدى الجهات الشامية
فالامات يزيد استعمل عمر على عمله اخاه معاوية مضافاً الى ما كان له قبل
من العمل وكان عمر يحسن منه بحسن السياسة وقوة التدبير والامانة وهذا
كل ما كان يطلب عمر من عماله : وفي عهد عثمان جمعت الشام
كلها لمعاوية فصار واليها العام ويولى على السكور عمالاً من قبله . ونزل هناك
اعدد الطيب من قريش ومن بنى عبد شمس فساسوا الجنود وارهفوها بالطاعة
وعلى الجملة فان بيت عبد شمس انتقل من سيادة في الجاهلية الى سيادة

في الاسلام وقد قال عليه السلام (الناس معادن فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا) فاتصلت له السيادةتان

وفروعه التي كانت فيها الشهرة والخلافة اثنان فرع حرب بن أمية وفرع ابي العاص بن امية، وكان من الفرع الاول ثلاثة خلفاء ومن الثاني عشرة على الشكل الآتي



فقد تولى من الفرع الاول ثلاثة خلفاء ومن الثانى عشرة ومدة خلافة
هذه الدولة تبتدى من اليوم الذى بويغ فيه معاوية بيعة عامة فى ٢٥ ربيع سنة ١٤٠
وتنتهى بمقتل مروان الثانى بن محمد سنة ١٣٢ لثلاث بقين من ذى الحجة
وهي ٩١ سنة وتسعة اشهر

معاوية بن أبي سفيان

١

ترجمته

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ولد بمكة قبل الهجرة بخمس عشرة سنة وفي يوم الفتح كان سنه ٢٣ سنة وفي ذلك اليوم دخل في الاسلام مع من اسلم من مسامة الفتح وكان بعد اسلامه يكتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي خلافة أبي بكر ولاء قيادة جيش مدداً لآخيه يزيد بن أبي سفيان وامره ان يلحق به فكان غازياً تحت امرة اخيه وكان على مقدمته في فتح مدن صيدا وعرقه وجبيل وبيروت وهي سواحل دمشق ثم ولاء عمر ولاية الاردن : ولما توفي يزيد في طاعون عمواس ولاء عمر بن الخطاب عمل يزيد على دمشق وما معها . وفي عهد عثمان جمع لمعاوية الشام كلها فكان ولاية امصارها تحت امره وما زال والياً حتى استشهد عثمان بن عفان وبويع على بالمدينة فرأى ان لا يبايعه لانه اتهمه بالهودة في امر عثمان وايواء قتلته في جيشه وبايعه اهل الشام على المطالبة بدم عثمان وكان وراء ذلك ان حاربه على بن أبي طالب في صفين وانتهت الموقعة بينهما بالتحكيم كما مر ذكره فلما اجتمع الحكمان واتفقا على خلع على ومعاوية من الخلافة وان يكون امر المسلمين شورى

يُنتخبون لهم من يصلح لامامتهم بايع اهل الشام معاوية بالخلافة فصار معاوية امام اهل الشام وعلى امام اهل العراق وما زال الخلاف محتدما بينهما حتى قتل علي بن ابي طالب وسلم ابنه الحسن بن علي الخلافة الى معاوية وحينئذ اجتمع على بيعه معاوية اهل العراق والشام وسمى ذلك العام الحادي والاربعون من الهجرة عام الجماعة لاتفاق كلمة المسلمين بعد الفرقة وبذلك يكون ابتداء خلافة معاوية للخلافة العامة في ربيع الاول سنة ٤١

طريقة انتخاب معاوية

لم ينتخب معاوية للخلافة انتخاباً عاماً يعني من جميع اهل الحل والعقد من المسلمين وانما انتخبه اهل الشام للخلافة بعد صدور حكم الحكمين ولا يعتبره التاريخ بذلك خليفة . فلما قتل وبايع جند العراق ابنه الحسن راي من مصلحة المسلمين ان يبايع معاوية ويسلم الامر اليه فبايعه في ربيع الاول سنة ٤١ فبيعته اختيار من اهل الشام وبطريق الغلبة والقهر من اهل العراق الا انها انتهت في الآخر بالرضا عن معاوية والتسليم له من جميع الامة ماعدا الخوارج

حال الامة عند استلام معاوية الامر

تولى معاوية امر الامة وهي اقسام ثلاثة القسم الاول شيعة بني امية من اهل الشام ومن غيرهم في سائر الامصار الاسلامية . القسم الثاني شيعة علي بن ابي طالب وهم الذين كانوا يحبونه ويرون انه احق بالامر من معاوية (٢ - ١١)

وغيره وأن أعقابه أحق بولاية أمر المسلمين من غيرهم ومعظمهم هؤلاء
كان ببلاد العراق وقليل منهم بمصر : القسم الثالث الخوارج وهم أعداء
الفريقين يستحلون دماء مخالفيهم ويرونهم مارقين من الدين وهم أشداء
الشكيمة متفانون فيما يعتقدون يرون أن أول وأجب عليهم قتال معاوية
ومن تبعه وقاتل شيعة على لان كلاً قد ألد على زعمهم في الدين ومع ما بينهما
وهم من هذا التباين كانت أمة متمتعة بصفة الشجاعة والاقدام ومثل هذه
الامة تحتاج لسياسة حكيمة في إدارة شؤونها وإفاضة ثوب الا من عليها :
أما معاوية نفسه فلم يكن أحد أوفر منه يدأ في السياسة صانع رءوس
العرب وقروم مضر بالاغضاء والاحتمال والصبر على الاذى والمكروء
وكانت غايته في الحلم لا تدرك وعصايته فيه لا تنزع ومراقته فيه تزل
عنها الاقدام

كان الذي يهيم معاوية ويقلقه أمر الخوارج لانهم قوم قلما ينفع معهم
حين السياسة لانهم قوم غلوا في الدين غلواً عظيماً وفهموا كثيراً منه على
غير وجهه ففرقوا كلمة الامة ورأوا من واجبه استعراض الانفس وأخذ
الاموال ولنبدأ بذكر أخبارهم لبيان تفاصيل احوالهم

* لما بويع معاوية بالكوفة كان فروة بن نوفل الاشجعي معتزلاً في
٥٠٠ من الخوارج فراوا ان الوقت قد حان لتجريد السيف فأقبلوا حتى
فزلوا النخيلة فإرسل اليهم معاوية جمعاً من أهل الشام فانهزم أهل الشام أمامهم
فقال معاوية لأهل الكوفة والله لا أمان لكم عندي حتى تكفونيهم فخرج
اليهم أهل الكوفة فقال لهم الخوارج اليس معاوية عدونا وغدوكم دعونا حتى

تقاتله فان أصبناه كنا قد كفيتمكم عدوكم وان أصابنا كنتم قد كفيتمونا فقالوا
لا بد لنا من قتالكم فاخذت أشجع صاحبهم فروة قهراً وأدخلوه الكوفة
فولي الخوارج عليهم عبد الله بن أبي الحوساء الطائي فقاتلهم أهل الكوفة
فقتلوه وكان ابن أبي الحوساء قد خوف بالصلب فقال

ما ن أبالي اذا أرواحنا قبضت ماذا فعلتم بأوصال وأبشار
تجري المجرة والنسران عن قدر والشمس والقمر الساري بمقدار
وقد علمت وخير القول أنفعه ان السعيد الذي ينجوا من النار

فلما قتل ابن الحوساء ولي الخوارج أمرهم حوثة الاسدي فصار حتى قدم
النخيلة في ١٥٠ وانضم اليه فل ابن الحوساء وهم قليل فقال معاوية لابي حوثة
ا كفى امر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فابى فأداره فصمم
فقال له يا بني أجيئك بابنك فاعلك تراه فنحن اليه فقال يا أبت أنا والله الى
طعنة نافذة أتقاب فيها على كعوب الرمح أشوق مني الى ابني فرجع الى
معاوية فاخبره فقال يا أبا حوثة عتاه هذا جداً ولما نظر حوثة الى أهل الكوفة
قال يا أعداء الله أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدوا سلطانه واليوم تقاتلون
مع معاوية لتشددوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت
لك في غيري مندوحة ولي في غيرك مذهب عنك ثم حمل على القوم وهو يقول
١. كرر على هذى الجموع حوثة فعن قليل ما تنال المغفرة

فحمل عليه رجل من طيء فقتله فرأى أثر السجود وقد لوح جبهته
فقدم على قتله . ثم توالى الخوارج حتى أخافوا بلاد العراق فرأى معاوية
أنه لا بد من تولية العراق رجالاً ذوي قدرة وحكمة يأخذون على أيدي

السفهاء ويشتدون في طلب المريب فاخترار رجلين كلاهما قد عرف بالسياسة وحسن الرأي وهما زياد بن سمية والمغيرة بن شعبة

فأما زياد فقد كان من شيعة علي وكان والياً له على فارس وقتل علي وهو بها فذكر معاوية اعتصامه بفارس وأخذه ذلك فجعل المغيرة وسيطاً في استقدامه فأتي المغيرة زياداً وقال له ان معاوية استخفه الوجل حتى بعثني اليك ولم يكن أحد يمد يده الى هذا الامر غير الحسن وقد بايع فخذ لنفسك قبل التوطين فيستغني عنك معاوية فقال زياد أشر علي وأرم الغرض الاقصى فان المستشار مؤتمن فقال له المغيرة أرى أن تصل حبلك بحبله وتشخص اليه ويقضى الله : وكتب اليه معاوية بأمانه بعد عودة المغيرة فخرج زياد من فارس حتى أتى معاوية فساله عن أموال فارس فأخبره بما أنفق منها وبما حمل الى علي وبما بقي عنده فصدقه معاوية وقبض منه ما بقي عنده

وفي سنة ٤٤ استلحق معاوية زياداً ألحقه بأبي سفيان لاعتراف كان من أبي سفيان بذلك شهد به جمع وكان معاوية قد كتب الى زياد في حياة علي يعرض له بولادة أبي سفيان اياه فلما علم بذلك على كتب الى زياد يقول له (اني وليتك ما وليتك وأنا أراك له أهلاً وقد كانت من أبي سفيان فلتة من أمانى الباطل وكذب النفس لا توجب له ميراثاً ولا تحل له نسباً وان معاوية يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثم احذر والسلام) فلما قتل علي رأى معاوية أن يستميل زياداً واستصفى مودته باستلحاقه فكان يقال له بعد ذلك زياد بن أبي سفيان وان كان كثير من الناس لا يعترف له بهذا النسب فقد كتب زياد الى عائشة أم المؤمنين يقول

لها من زياد بن أبي سفيان وهو يريد أن تكتب له بهذا العنوان فكتبت
اليه من عائشة ام المؤمنين الى ابنها زياد واراد زياد ان يحجبعدهذا الاستحقاق
فسمع بذلك اخوه أبو بكر وكان له مهاجراً فجاء الى بيت زياد وكلم احداً ابنائه
فقال له يا بني قل لابيك اني سمعت انك تريد الحج ولا بد من قدومك الى المدينة
ولا شك أنك تطالب الاجتماع بام حبيبة بنت ابي سفيان زوج النبي صلى الله
عليه وسلم فان اذفت لك فاعظم به خزيًا مع رسول الله وان منعتك فاعظم به فضيحة
في الدنيا فترك زياد الحج

وفي السنة الخامسة والاربعين ولاد معاوية بالبصرة وخراسان وسجستان
فقدم البصرة آخر شهر ربيع الاول سنة ٤٥ والفسق ظاهر فاش فيها فخطبهم
خطبته الشهيرة بالبراءة وانما قيل لها ذلك لانه لم يحمد الله فيها ولما في هذه
الخطبة من روائع الكلم وبديع الحكم وبيان سياسته في حكم البلاد احببنا
ايرادها قال:

اما بعد فان الجهالة الجاهلاء والضلالة العمياء والغي الموفى باهله على النار
ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حامائكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير
ولا يتحاشى عنها الكبير كما أنكم لم تقرأ كتاب الله ولم تسمعوا ما اعد من
الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته في الزمن
السرمدى الذى لا يزول . اتكفونون كمن طرقت عينيه الدنيا وسدت مسامعه
الشهوات واختار الفانية على الباقية ولا تظنون انكم اجدتم في الاسلام
الحدث الذى لم تسبقوا اليه من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله : ماهذه
المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوقة في النهار المبصر والعدد غير قليل : ألم

يكن منكم نهاية تمنع الغواة : عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم
الدين تعتذرون بغير العذر وتعضون على المختاس كل امرئ منكم يذب
عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معاداً . ما أنتم بالحماة
ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم
الاسلام ثم اطرقوا وراءكم ككنوسا في مكائس الريب . حرام على الطعام
والشراب حتى اسويها بالارض هدماً واحراقاً . اني رايت آخر هذا الامر
لا يصالح الا بما صالح اولاه : ابن في غير ضعف وشدة في غير عنف واني اقسم
بالله لا اخذن الولي بالمولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع بالعامر
والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم اخاه فيقول انج
سعد فقد هلك سعيد او تستقيم لي قناتكم . ان كذبة المنبر ببقاء مشهورة
فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتي فاذا سمعتموها مني فاغتمزوها
في واعاموا ان عندي امثالها من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب من ماله
فايى ودلج الليل فاني لا اوتي بمدايح الا سفكت دمه وقد أجلتكم في ذلك
بمقدار ما ياتي اخبر الكوفة ويرجع اليكم . واياي ودعوى الجاهلية فاني
لا اجد احداً عليها الا قطعت لسانه . وقد احدثتم احداثاً لم تكن وقلم احداثنا
لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوماً غرقناه ومن حرق على قوم حرقناه ومن
نقب بيتاً نقبت عن قلبه ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً فكفوا عني ايديكم
وألسنتكم أ كفف عنكم لسانی ويدي ولا يظهر من أحد منكم خلاف
ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه . وقد كان بيني وبين أقوام أحن أ جعلت ذلك
دبر أذني وتحت قدمي فمن كان منكم محسناً فليزدد احساناً ومن كان مسيئاً

تولينزع عن اساءته اني لو علمت أن أحداً منكم قتله السل من بغضى لما كشف
له قناعاً ولم أهتك له سترًا حتى يبدى لى صفحته فاذا فعل لم أناظره فاستأنفوا
أموركم وأعينوا على أنفسكم فرب مبتئس بقدمنا سييسر ومسرور بقدمنا
سيبتئس أيها الناس انا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان
الله الذى أعطانا ونذود عنكم بهىء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة
فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بعتكم لنا
واعلموا انى مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب
حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل ولا حابساً رزقا ولا عطاء عن اياته ولا مجمرًا
لكم بعثًا فادعو الله بالصلاح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون وكمهفكم
الذى اليه تأوون ومتى تصالحون يصالحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد
لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا حاجتكم مع انه لو استجيب
لكم فيهم لكان شرًا لكم . أسأل الله أن يعين كلا على كل فاذا رأيتموني
أنفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وايم الله أن لى فيكم لصرعى كثيرة
فليحذر كل منكم أن يكون من صرعاى

فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال أشهد أيها الامير لقد أوتيت الحكمة
وفصل الخطاب فقال كذبت ذاك نبي الله داود فقال الاحنف لقد قلت
فأحسننت أيها الامير والثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثنى حتى
نبتلى فقال صدقت : فقام اليه ابو بلال مرداس بن أدية وهو من الخوارج
وقال أنبأ الله بغير ما قلت قال الله تعالى (وابراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة
وزر أخرى وأنت ليس للانسان الا ماسعى) فأوعدنا الله خيرا مما أوعدتنا

يازياد . فقال زياد انا لن نصل الى الحق فيك وفي اصحابك حتي تخوض في
الباطل خوضا

١) واستعمل على شرطته عبد الله بن حصين وأجل الناس حتي بلغ الخبر
الكوفة وعاد اليه وصول الخبر فكان يؤخر العشاء الآخرة ثم يصلي فيأمر
رجلا أن يقرأ سورة البقرة أو مثلها يرتل القرآن فإذا فرغ أمهل بقدر
ما يرى أن انسانا يبلغ أقصى البصرة ثم يأمر صاحب شرطته بالخروج فيخرج
فلا يرى انسانا الا قتله فأخذ ذات ليلة اعرابيا فأتى به زيادا فقال له هل
سمعت النداء فقال لا والله قدمت بحاربة لي وغشيتني الليل فاضطرتها الي
موضع وأقمت لاصبح ولا علم لي بما كان من الامير فقال أظنك والله
صادقا ولكن في قتلك صلاح الامة ثم أمر به فضربت عنقه : وكان زيادا أول
من شدد أمر السلطان وأكد الملك لمعاوية وجرد سيفه وأخذ بالظنة وعاقب
على الشبهة وخافه الناس خوفا شديدا حتي أمن بعضهم بعضا وحتى كان
الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له احد حتي يأتيه صاحبه
فيأخذه ولا يفلق احد بابيه وأدر العطاء وبني مدينة الرزق وجعل الشرط
اربعة آلاف . وقيل له ان السبيل مخوفة فقال لا أعاني شيئا وراء المصر حتي
أصلح المصر فان غلبني فغيره أشد غلبة منه فلما ضبط المصر وأصلحه تكلف
ما وراء ذلك فأحكمه : قال ابو العباس المبرد في صفة زياد ومعاملته للخوارج
كان يقتل المعلن ويستصلح السر ولا يجرد السيف حتي تزول الهممة . ووجه
يوم ما بحينة بن كيش الاعرجي الي رجل من بني سعد يرى رأى الخوارج
فجاء بحينه فأخذه فقال اني أريد ان احدث وضوء للصلاة فدعني أدخل الي

منزلى قال ومن لى بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوءاً
ثم خرج فأتى به بحينه زياداً فلما مثل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه
ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال قعدت عنى فأنكرت ذلك فذكر
الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر
بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولاً فصدقه بفعلك
وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدت فامر له بصلاة وكسوة وحملاًن
تخرج الرجل من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم تستطيع
ان اخبره وان تكن دخلت على رجل لا يملك ضرراً ولا نفعاً لنفسه ولا حياة
ولا نشوراً فرزق الله منه ماترون . وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول
ما احسب الذى يمنعكم عن اتيانى الا الرجل فيقولون اجل فيحملهم ويقول
اغشوني الآن واسمروا عندى

وبلغ زياداً عن رجل يكنى ابا الخير من اهل البأس والنجدة انه
يرى رأى الخوارج فدعاه فولاه جنديسابور وما يليها ورزقه اربعة
آلاف درهم كل شهر وجعل عماله فى كل سنة مئة الف فكان ابو الخير
يقول ما رايت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة والتقلب بين اظهر الجماعة فلم
يزل واليا حتى انكر منه زياد شيئاً فتنمر لزياد فحبسه فلم يخرج من
حبسه حتى مات //

وفى سنة ٥٠هـ أضاف معاوية الى زياد ولاية الكوفة بعد موت المغيرة
ابن شعبه فصار الى المصريين وهو اول من جمع له فصار الى الكوفة فامس

وصولها خطب اهلها فحصب وهو على المنبر فجلس حتى امسكوا ثم دعا قوما من خاصته فأخذوا ابواب المسجد ثم قال لياخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولن لا ادري من جليسي ثم امر بكرسي فوضع له على باب المسجد فدعاهم اربعة اربعة يحلفون مامنا حصبك فمن حلف خلاله ومن لم يحلف حبسه حتى صار الى ثلاثين فقطع ايديهم . واتخذ زياد المقصورة حين حصب . وكان يقيم بالبصرة ستة اشهر وبالكوفة مثلاً

كان بالكوفة جماعة من شيعة على رأسهم حجر بن عدي السكندی وعمر بن الحمق واشباههما فبلغ زياداً انهم يجتمعون ويقعون في معاوية وعماله فجاء الكوفة وصعد المنبر وقال اما بعد فان غيب البغي والنفي وخيم ان هؤلاء جموا فأثروا وامنوني فاجترءوا على الله لئن لم تستقيموا لادابنكم بدوائكم ولست بشيء ان لم امنع الكوفة من حجر وادعه نكالا لمن بعده ويل امك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان . وارسل الى حجر يدعوه وهو بالمسجد فأبى حجر ان يجيء فأمر زياد صاحب شرطته ان يبعث اليه جماعة ففعل فسيبهم اصحاب حجر فجمع زياد اهل الكوفة وقال تشجون بيد وتأسون باخرى ابدانكم معي وقلوبكم مع حجر الاحق هذا والله من رجسكم والله لتظهرن لي براءتكم اولا تينكم بقوم اقيم بهم اودكم وصعركم فقالوا معاذ الله ان يكون لنا راي الا طاعتك وما فيه رضاك قال فليقم كل منكم فليدع من عند حجر من عشيرته وأهله ففعلوا وأقاموا اكثر اصحابه عنه وقال زياد لصاحب شرطته انطلق الى حجر فاتني به فان أبي فشدوا عليهم بالسيوف حتى تأتونني به ومن معه فبعد خطوب طويلة جيء به فاما رآه زياد قال له مرحبا أبا عبد

الرحمن حرب أيام الحرب وحرب وقد سالم الناس على أهلها تبجني براقش
فقال حجر ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة واني على بيعتي فأمر به الى
السجن ثم طلب أصحابه فهرب بعضهم وأخذ بعضهم وعدتهم اثنا عشر رجلاً
فأودعهم السجن وأحضر شهوداً شهدوا على حجر أنه جمع الجمع وأظهر
شتم الخليفة ودعا الى حرب امير المؤمنين وأظهر أن هذا الامر لا يصلح الا في
آل أبي طالب ووثب بالمصر وأخرج عامل امير المؤمنين وأظهر عذر أبي
تراب والترحم عليه والبراءة من عدوه وأهل حربه وان هؤلاء النفر الذين
معه هم رؤوس أصحابه على مثل رأيه وكان الشهود على ذلك كثيرين من أهل
الكوفة فسكتب شهادتهم وأرسل بها وبحجر وأصحابه الى معاوية فسير بهم
حتى انتهوا الى مرج عذرا عند دمشق فأمر معاوية بقتل ثمانية منهم وترك
سبعة وهم الذين تبرءوا من علي بن أبي طالب

ولما بلغ عائشة خبر حجر أرسلت عبد الرحمن بن الحارث الى معاوية فيه
وفي أصحابه فقدم عليه وقد قتلهم فقال له عبد الرحمن أين غاب عنك حلم
أبي سفيان قال حين غاب عني مثلك من حاماء قومي وحماني ابن سمية
فاحتملت وقالت عائشة لولا أنا لم تغير شيئاً الا صارت بنا الامور الى ما
هو أشد منه لغيرنا قتل حجر: وقالت هند بنت زيد الانصارية ترى
حجراً وكانت تتشيع

ترفع أيها القمر المنير تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير الى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الامير

تجبرت الجبابر بعد حجر وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولا كان لم يحبها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بنى عسدى تلتقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عديا وشيخا في دهر شق له زئير
فان تهلك فكل زعيم قوم من الدنيا الى هلاك يصير
وتوفي زياد في سنة ٥٣هـ بالطاعون

المعتمد والمطلع على الطريقة التي حكم بها زياد بلاد العراق يراها بمثابة اعلان
حكم عرفي فان أخذ الولي بالمولي والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدير والمطيع
بالعاصي والصحيح في جسمه بالسقيم أمر ليس جاريا على القانون الشرعي
الذي يقصر على المسؤولية على المجرم وانما ذلك شيء يلجأ اليه الاداريون
لتخفيف آلام الجرائم وارهاب الناس حتى يأمن الناس شرهم وفائدة ذلك
في الغالب وقتية . ومن ذلك وضعه العقوبات التي شرعها للجرائم المحدثه كما
قال من نقب عن بيت نقبت عن قلبه ومن نبش قبرا دفنته فيه حيا . ومن
ذلك : عقوبته للمدحج بالقتل . كل هذه قوانين عرفية شديدة رآها لائقة
لاهل العراق وقد افادت في اصلاح حالهم لان الامان ساد وقل خروج
الخوارج في زمنه ولكنه ضحي في سبيل الوصول الى ذلك شيئا كثيرا
والتاريخ انما يعطي الانسان صفة السياسة والحكمة اذا تمكن من اصلاح
الفساد بقليل من العسف لا نقول ذلك هضمنا لحق زياد لانه يعتبر أقل
ولاية العراق اسرافا في الدماء واقد بذل من وعده ما يقوم بوعيده فقال انه
لا يحتاج عن طالب حاجة وان أتاه طارقا بليل ولا يحبس عطاء ولا رزقا

عن ابائه ولا يحجر لهم بعضا وهذه الاشياء الثلاثة متى وفرها الوالى وصدقها لا تجد سببا للشورات ولا الفتن ولذلك يقول بعض المؤرخين ان زياداً لم يحتاج لتنفيذ ما أوعده من العقوبات الا قليلا لان عامهم بصدقته في الاعداد أخافهم وأرهبهم وصيرهم يقفون عند الحد المشروع لهم

وعلى الجملة فان عهد زياد بالعراق على ما فيه من قسوة كان عهد رفاهة وأمن وهذا مما يسطره التاريخ لعرب العراق أسفاً وذلك انهم قوم لا يصالحهم الا الشدة واذا وليهم وال فيه لين ورحمة فسدوا وارتكبوا المصاعب واجرموا الى الامراء أو الخلفاء من غير مبينة واضحة

المحاضرة الثالثة والاربعون

المغيرة بن شعبة — عميد الله بن زياد — الفتوح في عهد معاوية

بيعة يزيد — وفاة معاوية

المغيرة بن شعبة

أما المغيرة بن شعبة فكانت سياسته أرفق وألين . أحب العافية واحسن في الناس السيرة ولم يفتش أهل الاهواء عن اهوائهم وكان يؤتي فيقال ان ان فلانا يرى رأى الشيعة وان فلانا يرى رأى الخوارج فكان يقول قضي الله ان لا يزالوا مختلفين وسيحكم الله بين عبادهم فيما كانوا فيه مختلفون فأمنه الناس وكانت الخوارج يلقي بعضهم بعضا ويتذاكرون مكان اخوانهم بالنهر وان ويرون ان في الاقامة الغبن والوكف وان في جهاد اهل القبلة الفضل والاجر : وقد فزع الخوارج في عهده الى ثلاثة نفر منهم المستورد بن علفة التميمي من تيم الرباب وحيان بن ظبيان السلمي ومعاذ بن جوين بن حصين الطائي فولوا امرهم بعد الشورى المستورد بن علفة لانه كان اسن القوم واتعدوا ان يتجهزوا ويتيسروا ثم يخرجوا في غرة الهلال هلال شعبان سنة ٤٣ فكانوا في جهازهم وعدتهم فجاء رئيس شرطة المغيرة اليه واخبره أن القوم مجتمعون في منزل حيان بن ظبيان وانهم اتعدوا

الخروج في هلال شعبان فامرهم المغيرة أن يسير بالشرطة ويحيط بدار حيان ويأتيه بهم فسار رئيس الشرطة وأحاط بدار حيان وقبض على المجتمعين هناك فقال لهم المغيرة ما حاكمكم على ما أردتم من شق عصا المسلمين فقالوا أما أردنا من ذلك شيئاً — ومن الغريب أنهم يكذبون مع أن الخوارج تبرأ من الكاذب قال المغيرة بلى قد بلغني ذلك عنكم قد صدق ذلك عندي جماعتكم . قالوا أما اجتماعنا في هذا المنزل فان حيان بن ظبيان أقرؤنا للقرآن فنجن نجتمع عنده في منزله فنقرأ القرآن عليه فامرهم إلى السجن فلم يزالوا فيه نحواً من سنة وسمع اخوانهم باخذهم فحذروا وخرج المستورد واصحابه فبلغ الخبر المغيرة ان الخوارج خارجة عليه في ايامه تلك وانهم قد اجتمعوا على رجل منهم فقام في اهل الكوفة خطيباً فقال :

(اما بعد : فقد علمتم ايها الناس اني لم ازل احب لجماعتكم العافية واكف عنكم الاذى واني والله لقد خشيت ان يكون ادب سوء لسفهاءكم فاما العلماء الاتقياء فلا وايم الله لقد خشيت ان لا اجد بداً من ان يعصب الحليم التقى بذنوب السفهاء الجاهل فكفوا ايها الناس سفهاءكم قبل ان يشمل البلاء عوامكم وقد ذكر لي ان رجالاً منكم يريدون ان يظهروا في مصر بالشقاق والخلاف وايم الله لا يخرجون في حي من احياء العرب في هذا المصرا الا ابدتهم وجعلتهم نكالا لمن بعدهم فنظر قوم لانفسهم قبل الندم فقد قت هذا المقام ارادة الحجة والاعذار) فقام اليه معقل بن قيس الرياحي فقال ايها الامير هل سمى لك احد من هؤلاء القوم فان كانوا سموالك فاعلمنا من هم فان كانوا منا كفينا عنهم وان كانوا من غيرنا امرت اهل الطاعة من اهل مصرنا فانتك كل قبيلة بسفهاها

فقال ما سمى لى أحد منهم واسكن قد قيل لى ان جماعة يريدون أن يخرجوا بالمرى
فقال معقل أمصاحك فاني أسير فى قوتى وأكفيك ما هم فيه فليكنك كل
امرى من الرؤساء قومه : فنزل المفيرة وأرسل الى الرؤساء وقال لهم لى كفى
كل امرى من الرؤساء قومه والافو الذى لا اله غيره لا تحو لن عما كنتم تعرفون
الى ما تنكرون وعما تحبون لى ما تكرهون فلا يلم لأثم الانفسه وقد أعذر
من أنذر فخرجت الرؤساء الى عشائرهم فنادى الله والاسلام الادلو على من
يرون انه يهيج فتنة أو يفارق جماعة

ولما كان الخوارج قد نزلوا فى احدى دور عبد القيس قام صمصمة بن
صوحان العبدى وقد بلغه خبر نزول المستورد ومن معه فى دار العبدى فكره
أن يؤخذوا فى عشيرته وكره مساء أهل بيته من قومه فخطبهم خطابا حسنا
قال فى آخره (ولا قوم أعدى لله ولكم ولاهل بيت نبيكم وجماعة المسلمين من هذه
المارقة الخاطئة الذين فارقوا امامنا واستحلوا دماءنا وشهدوا علينا بالكفر فايا كم
ان تؤوهم فى داركم أو تكتموا عليهم فانه ليس ينبغى لى من احياء العرب ان
يكون اعدى لهذه المارقة منكم وقد والله ذكر لى ان بعضهم فى جانب من لى
وانا باحث عن ذلك وسائل فان كان حكى لى ذلك حقاً تقربت الى الله بدمائهم
فان دماءهم حلال) ولما بلغ ذلك المستورد كره المقام بمنزل العبدى ولما بلغ من فى
محبس المفيرة اجماع اهل المصر على نفي من كان بينهم من الخوارج واخذهم قال
معاذ بن جوين فى ذلك

الايتهاشارون قدحان لا مرى شرى نفسه لاه ان يترحلا
اقمتم بدار الخاطئين جهالة وكل امرى منكم يصاد لية قتلا

تشدوا على القوم العداة فانها
 الا فاقصدوا يا قوم للغاية التي
 فيا ليتني فيكم على ظهر سابح
 ويا ليتني فيكم اعادى عدوكم
 يعز على ان تخافوا وتطردوا
 والما يفرق جمعهم كل ماجد
 مشيحاً بنصل السيف في حمس الوغى
 وعز على ان تضاموا وتنقصوا
 ولو انني فيكم وقد قصدوا لكم
 فيارب جمع قد فالت وغارة
 شهدت وقرن قد تركت مجدلاً
 ثم خرج المستورد واصحابه الى سورا فتتاموا بها ٣٠٠ رجل ثم ساروا
 الى الصراة فباتوا بها ليلة فلما علم بذلك المغيرة دعا رؤساء الناس فقال ان هؤلاء
 الاشقياء قد اخرجهم الحين وسوء الراى فمن ترون ابعث اليهم فقام اليه عدى بن
 حاتم فقال كلنا لهم عدو ولرايهم مسنفه وبطاعتك مستمسك فايناشئت سار اليهم
 فقام معقل بن قيس فقال انك لا تبعث اليهم احداً ممن ترى حوالك من اشراف
 المصر الا وجدته سامعاً مطيعاً ولهم مفارقاً ولهم محبا ولا ارى اصالحك الله
 ان تبعث اليهم احداً من الناس اعدي لهم ولا اشد عليهم مني فابعثني اليهم فاني
 ا كفيكمهم باذن الله فقال اخرج على اسم الله فجز معه ثلاثة آلاف رجل وتخبروهم
 من نقاوة شيعة على وفرسانهم فخرج يتبع آثارهم ولما وصل المدائن قدم بين
 يديه ابا الرواغ اليشكري في ٣٠٠ فلحقهم بالمدار مقيمين فبات ليلته حتى اذا

أصبح خرج عليه الخوارج فشدوا عليه وعلى من معه فما ثبت لهم انسان ثم ان
أبا الرواغ صاح وقال يا فرسان السوء قبحكم الله سائر اليوم السكر ذالكرة .
فعادوا الى الحملة مرة ثانية ولكنهم لم يصبروا فيها أيضا وانكشفوا فقال
لهم أبو الرواغ انصرفوا بنا فلنكن قريبا منهم لانزايالهم حتى يقدم علينا أميرنا
فما أصبح بنا أن نرجع الى الجيش وقد انهزمنا من عدونا ولم نصبر لهم حتى
يشدد القتال وتكثر القتلى فقال له رجل ان الله لا يستحي من الحق قد والله
هزمونا قال أبو الرواغ لا أكثر الله فينا مثلك أنا ما لم ندع المعركة فلم نهزم
أنا متى عطفنا عليهم وكنا قريبا منهم فنكن على حال حسنة حتى يقدم علينا
الجيش فوقفوا قريبا منهم حتى قدم معقل فشكر ابا الرواغ على ثباته فقال
له أبو الرواغ أصالحك الله أن لهم شدات منكرات فلا تكن أنت تليها
بنفسك ولكن قدم بين يديك من يقاتلهم وكن أنت من وراء الناس
درءاً لهم فقال نعم رأيت فما كان ريثما قالها حتى شدوا عليه وعلى أصحابه فلما
غشوه أنجفل عنه أصحابه وثبت ونزل وقال الارض الارض يا أهل الاسلام
ونزل معه أبو الرواغ وناس كثير من الفرسان وأهل الحفاظ نحو من ٢٠٠
رجل ولما رآه الناس قد ثبت كروا راجعين ثم حجز بينهم الليل وفي اثنا
بلغ الخوارج أن جيشاً من البصرة قد أرسل لقتالهم فلم يروا أن يقفوا
حذار أن يقفوا بين جيشين فرحلوا من وراء جيش معقل ولم يعلم معقل
برحيلهم الا عند الصبح فعاد متبعاً آثارهم وأبو الرواغ على مقدمته في ٦٠٠
فاحقهم بجرجرايا فلما رآه الخوارج شدوا عليه شدة واحدة صدقوا فيها الحملة
فانكشف جند أبو الرواغ وبقي معه نحو مئة رجل فعطف عليهم وهو يقول :

ان الفتى كل الفتى من لم يهمل اذا الجبان حاد عن وقع الاسل
قد علمت انى اذا الباس نزل أروع يوم الهيج مقدم بطل
ثم عطف وعطف معه أصحابه الذين ثبتوا فصدقوا القتال حتى ردوهم الى
مكانهم الذى كانوا فيه ولما رأى الخوارج ذلك خافوا من مجيء معقل فتركوا
الموقعة وساروا وأبو الرواغ فى آثارهم . قال المستورد لأصحابه ان الذين مع
أبى الرواغ هم حراً أصحاب معقل فلهم فائقابل معقلاً قبل أن ياتقى بأصحابه
فعاد المستورد بجنده وترك أبى الرواغ بعد أن خدعه ولم يكن الا قليل حتى
التقى بمعقل وأصحابه ومقدمته ليست عنده فلما رأى معقل نصب رايته ونزل
ونادى يا عباد الله الارض الارض فنزل معه نحو من ٢٠٠ رجل فحمل عليهم
الخوارج فاستمبأوهم باطراف الرماح جثاة على الركب وهربوا على حملات الخوارج
الشديدة : وبيناهم على تلك الحال اذا طلعت عليهم مقدمة أصحاب الرواغ
واشتد القتال وكانت نتيجته أن قتل المستورد وسائر أصحابه ما عدا خمسة
منهم وقتل معقل بن قيس رئيس الجيش وكان معقل قد بارز المستورد بيد
معقل السيف وبيد المستورد الرمح فاشرع المستورد الرمح فى صدر
معقل حتى خرج السناب من ظهره وضر به معقل بالسيف على راسه حتى
خايط ام الدماغ فخرا ميتين وبذلك انتهى امر هؤلاء القوم الذين لم يكن
يمكن أن يماثلهم احد فى شداتهم المنكرة قال الشعبي ما ولينا وال بعد المغيرة مثله
وان كان لاحقاً بصالح من كان قبله من العمال . واقام المغيرة عاملاً لمعاوية
سبع سنين واشهرأ وهو من احسن شىء سيرة واشدهم حباً للعافية غير انه لا يدع

ذم على الوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان ، اللعن لهم والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار
له والتزكية لأصحابه وكان يقول لا أحب أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم
وسفك دمائهم فيسعدوا بذلك واشتق في الدنيا معاوية ويذل يوم القيامة
المغيرة ولكنني قابل من محسنهم وعاف عن مسيئتهم وحامد حليمهم وواعظ
سفيهم حتى يفرق بيني وبينهم الموت وسيد كروني لو قد جربوا الأعمال بعدى
قال شيخ من أهل الكوفة قد والله جربناهم فوجدنا خيرهم أحمدهم البريء
واغفرهم للمسيء واقبلهم للعذر . وتوفي المغيرة سنة ٥١ ولو وازناه بزياد
لرجح عليه لأنه أصلح المصر بقليل من الشدة والعنف

ومن ولاية العراق الأشداء عبيد الله بن زياد ولاه معاوية البصرة سنة ٥٥ وقد
اشتد على الخوارج شدة لم يفعلها أبو زياد ففعل منهم سنة ٥٨ جماعة كثيرة صبراً
وفي الحرب جماعة أخرى ومن قتل صبراً عروة بن أدية أخو ابني بلال مرداس
بن أدية وكان سبب ذلك أن بن زياد خرج في رهان له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع
الناس وفيهم عروة بن أدية فاقبل على بن زياد فقال خمس كن في الامم قبلنا فقد
صرن فينا : (اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعل كتمانكم
وإذا بطشتم بطشتم جبارين) وذكر خصماتين أخريين . فلما سمع ذلك بن زياد ظن
أنه لم يجترأ عليه إلا ومعه جماعة من أصحابه فقام وركب وترك رهانه فقيل
لعروة ما صنعت تعلمن والله ليقتلنك فتوارى فطلبه ابن زياد في الكوفة فاخذ
بها فقدم به على ابن زياد فامر به فقطعت يده ورجلاه ثم دعا به فقال كيف ترى قال
أرى إنك أفسدت دنياى وأفسدت آخرتك فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها وخرج
أخوه مرداس في أربعين رجلاً بالاهواز فبعث اليهم ابن زياد جيشاً عدته ألفان

وعليهم ابن حصن التميمي فهزمه الخوارج فقال شاعرهم
ألفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلكم بأسك أربعونا
كذبتهم ليس ذلك كما زعمتم لكن الخوارج مؤمنونا
هي الفئة القليلة قد علمتم على الفئة الكثيرة ينصروننا
ولم يزل عبيد الله واليا على البصرة حتى توفي معاوية
وفي مصر كان الوالي عمرو بن العاص فاتحها وأعرف الناس بها ولم يزل
واليا عليها حتى مات سنة ٤٣ فولى بدله ابنه ثم عزله بعد ذلك وولى غيره
ولادة سيأتي ذكرهم متى بدأنا في تاريخ مصر
أما الحجاز فكان ولائه دائما من بني أمية وكانت ولاية المدينة بين
مروان بن الحكم وسعيد بن العاص يتداولانها وكان معاوية إذا أراد أن
يولي رجلا من بني حرب ولاء الطائف فإن رأى منه خيرا وما يعجبه ولاء
مكة معها فإن احسن الولاية وقام بما ولى قياما حسنا جمع له معها المدينة
فكان إذا ولى الطائف رجلا قيل هو في أبي جاد فاذا ولاء مكة قيل
هو في القرآن فاذا ولاء المدينة قيل هو قد حذق : وكان ولاية المدينة
في الغالب هم الذين يقيمون للناس الحج فإن معاوية لم يحج بنفسه الا
مرتين سنة ٤٤ وسنة ٥٠ وفيما عداها كان يقيمه هؤلاء الولاية وكلهم
من بني أمية

الفتوح في عهد معاوية

لم يكن في الشرق على حدود بلاد الفرس الا فتوح قليلة والذي كان

انما هو ارجاع الناكثين من أهل تلك البلاد الى الطاعة وغزا عبد الله بن سوار العبدى الذى كان اميراً على ثغر السند القيقان (١) مرتين وفى المرة الثانية استعان القيقان بالبرك فقتلوه . وغزا المهلب بن أبى صفرة الازدى ثغر السند فأتى بنة ولأهور (٢) وهما بين الملتان وكابل فلقى العدو وقاتله ولقى المهلب ببلاد القيقان ثمانية عشر فارساً من الترك فقاتلوه فقتلوا جميعاً فقال المهلب ما جعل هؤلاء الاعاجم أولى بالتشمير منا فحذف الخيل وكان أول من حذفها من الساميين . وكانت همة الساميين موجهة نحو الشمال والغرب حيث مملكة الروم كان على عهد معاوية من ملوك الروم ملكان أحدهما قسطنطين الثانى بن هرقل الثانى الذى ولى الملك من سنة ٦٤١ الى سنة ٦٦٨ وقسطنطين الرابع - بوغاناتس الذى ولى من سنة ٦٦٨ الى سنة ٦٨٥ ودولة الروم لم تزل فيها الحياة تغير على البلاد الاسلامية لما بينهما من الجوار فرتب معاوية الغزو اليها براً وبحراً أما البحر فكانت الاساطيل فى زمنه كثيرة لاهتمامه بأمرها وساعده على ذلك كثرة الغابات بجبال لبنان حتى بلغت أساطيله ١٧٠٠ ألفاً وسبعمئة سفينة كاملة العدد والعدد وصار يسيرها فى البحر فترجع غائمة وافتتح بها عدة جهات منها جزيرة قبرص وبعض جزائر اليونان وجزيرة رودس افتتحها جنادة بن أبى أمية الازدى ونزلها المسلمون وهم على حذر من الروم وكانوا أشد شىء على الروم يعترضونهم فى البحر ويأخذون سفنهم وكان معاوية يكثر لهم العطاء وكان العدو قد خافهم

(١) من بلاد السند ممابلى خراسان

(٢) مدينة بكابل

وأما في البر فرتب الشواتي والصوائف والشواتي جمع شاتية وهي الجيش الذي يغزو في الشتاء والصوائف جمع صائفة وهي الجيش الذي يغزو في الصيف فكانت الغزوات متتالية والثغور محفوظة من العدو وفي سنة ٤٨ هـ جهز معاوية جيشاً عظيماً لفتح القسطنطينية براً وبحراً وكان على الجيش سفيان بن عوف وأمر ابنه يزيد أن يغزوا معهم وكان في هذا الجيش ابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري وغيرهم وعبد العزيز بن زرارمة الكلابي فساروا حتى بلغوا القسطنطينية فاقتتل المسلمون والروم في بعض الأيام واشتدت الحرب بينهم فلم يزل عبد العزيز يتعرض للشهادة فلم يقتل فأنشأ يقول

قد عشت في الدهر أطواراً على طرق شتى فصادفت منها اللين والبشعا
كلا بلوت فلا النعماء تطربني ولا تخشعت من لاوائها جزعا
لا يعلأ الأمر صدري قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً اذا وقعا
ثم حمل على من يليه فقتل فيهم وانغمس بينهم فشجرة الروم برماحهم
حتى قتلوه فبلغ خبر قتله معاوية فقال لاييه والله هلاك فتى العرب فقال ابني
او ابنك قال ابنك فاجرك الله فقال

فان يكن الموت أودى به وأصبح مخ الكلابي زيرا
فيكل فتى شارب كاسة فاما صغيراً واما كبيراً
ولم يتمكن هذا الجيش من فتح القسطنطينية لثانة أسوارها ومنعة
موقعها وفتك النار الاغريقية بسفنهم . وفي اثناء الحصار توفي أبو أيوب
الأنصاري خالد بن زيد وهو الذي نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالمدينة حينما هاجر وقد دفن خارج المدينة قريبا من سور القسطنطينية ولا يزال قبره بها يزار للآن وعليه مسجد مشيد يتوج فيه خلفاء آل عثمان ثم اضطر المسلمون للعودة الى الشام بعد أن فقدوا كثيراً من جنودهم ومراكبهم

ومن الفتوح العظيمة ما كان في افريقية ففي سنة ٥٠ هـ ولي معاوية عقبة ابن نافع وكان مقبلاً بركة وزويلة منذ فتحها أيام عمرو بن العاص وله في تلك البلاد جهاد وفتوح فلما استعمله معاوية سير اليه عشرة آلاف فدخل افريقية وانضاف اليه من أسلم من البربر فكثر جمعه ووضع السيف في أهل البلاد لانهم كانوا اذا دخل عليهم أمير أطاعوا وأظهر بعضهم الاسلام فاذا عاد الأمير عنهم نكثوا وارتد من أسلم ثم رأى أن يتخذ مدينة يكون بها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم ليأمنوا من ثورة تكون من أهل البلاد فقصده موضع القيروان وكان دحلة مشتبكة فقطع الاشجار وأمر ببناء المدينة فبنيت وبني المسجد الجامع وبني الناس مساجدهم ومساكنهم وكان دورها ٣٦٠٠ باع وتم أمرها سنة ٥٥ وسكنها الناس وكان في اثناء عمارة المدينة يغزو ويوسل السرايا فتغير ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان وأمنوا واطمأنوا على المقام فثبت الاسلام فيها

وحصل بعد ذلك أن معاوية ولي على مصر وأفريقية مسامة بن مخلد فاستعمل على افريقية مولى له يقال له أبو المهاجر فقدم افريقية وأساء عزل عقبة واستخف به . وهذا من الخلل القديم الذي يئن منه المسلمون الى الآن

فإن الخلف كان من الولاية عوضاً عن أن يستعين بأراء سلفه وتجاربه يجتهد في تصفيره وتحقيره حتى ينطفئ اسمه ويكون لهذا الخلف الذكر المحمود وحده ولا يدري أنه بهذا يقتطع من نفسه قوة كان يمكن الانتفاع بها وترون مثل هذا بين أظهركم للأن فانه ماولى انسان عملاً بعد رجل آخر الا ان اجتهد أن يسيء سمعته ويبين للناس انه لم يكن يحسن أن يسير فيما ولى سيرة رجل عارف بالامور وكذلك السلف يجتهد أن يخفى عن خلفه كل ما يمكن أن ينفعه ليرتبك في ادارته حتى يكون للاول الاسم وحده والامة التي عندها مثل هذا الفكر العقيم لا يمكن أن تنجح أو تسود عاد عقبة إلى الشام وعاتب معاوية على ما فعله أبو المهاجر فاعتذر اليه ووعد به باعادته الى عمله وتمادى الامر حتى توفي معاوية وسنبلين لكم في خلافة يزيد ما كان منه حين أعيد الى عمله

البيعة ليزيد بولاية العهد

فكر معاوية أن يأخذ على الناس البيعة ليزيد ابنه بولاية العهد وكان الواضع لهذه الفكرة المفيرة بن شعبة قبل وفاته فانه دخل على يزيد وقال له قد ذهب أعيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبراء قريش وذوو أسنانهم وانما بقي أبناؤهم وأفضلهم وأحسنهم رأياً وأعلمهم بالسنة والسياسة ولا أدري ما يمنع امير المؤمنين ان يعقد لك البيعة . قال أو ترى ذلك يتم قال نعم . فأخبر يزيد اباة بما قال المفيرة فأحضره معاوية وسأله عما قال ليزيد فقال قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان وفي

يزيد منك خلف فاعمد له فان حدث بك حادث كان كهفا للناس وخافاً منك
ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة قال ومن لى بذلك قال أ كفيك اهل الكوفة
ويكفيك زياد اهل البصرة ولبس بعد هذين المصرين أحد يخالفك قال فارجم
الى عمالك وتحدث مع من تشق به في ذلك وترى وترى

فسار المغيرة الى الكوفة وذاكر من يشق به ومن يعلم أنه شيعة لبني
أمية ، امر يزيد فأجابوا الى بيعته فأوفد منهم وفداً عليهم ابنه موسى فقد موا
على معاوية فزينوا له بيعة يزيد فقال معاوية لا تعجلوا باظهار هذا وكونوا على
رأيكم فرجعوا وقوى عزم معاوية على البيعة ليزيد . فأرسل الى زياد يستشير
فأحضر زياد عبيد بن كعب النميري وقال ان لكل مستشير ثقة ولكل سر
مستودعاً وان الناس قد ابدع بهم خصلتان اذاعة السر واخراج النصيحة
الى غير أهلها وليس موضوع السر الا احد رجلين رجل آخره يرجوا ثوابها
ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه وقد خبرتهما عنك وقد
دعوتك لامر أهمت عليه بطون الصحف ان امر المؤمنين كتب الى
يستشيرني في البيعة ليزيد وانه يتخوف نفرة الناس ويرجو طاعتهم وعلاقة
امر الاسلام وضمانه عظيم ويزيد صاحب رسالة وتهاون مع ما قد أوقع به من
الصيد فالق امير المؤمنين وأد اليه فعلا ليزيد وقال له رويدك بالامر فأحري
لك أن يتم لك ولا تعجل فان دركا في تأخير خير من فوت في عجلة فقال
له عبيد أفلا غير هذا قال وما هو قال لا تفسد على معاوية رأييه ولا تبغض
اليه ابنه وألقى انا يزيد فأخبره أن امير المؤمنين كتب اليك يستشيرك في
البيعة له وانك تتخوف خلاف الناس عليه لهنات ينقمونها عليه وانك ترى

له ترك ما ينقم عليه استسحقكم له الحجة على الناس ويتم ما تريد فنكون قد نصحت
أمير المؤمنين وسامت مما تخاف من أمر الامة فقال زياد لقد رميت الامر
بمحجره اشخص على بركة الله فان اصبحت فما لا ينكر وان يكن خطأ فخير مستغش
وتقول بما ترى ويقضى الله بغيب ما يعلم فقدم على يزيد فذكر ذلك له فكف عن
كثير مما كان يصنع وكتب زياد معه الى معاوية يشير بالتؤدة وان لا يعجل
فقبل منه فلما مات زياد عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد فكتب الى مروان
ابن الحكم امير المدينة يقول له اني كبرت سنن ودق عظمي وخشيت الاختلاف
على الامة من بعدى وقد رأيت ان اخير لهم من يقوم بعدي وكرهت ان
اقطع أمراً دون مشورة من عندك فاعرض ذلك عليهم واعلمنى بالذى يردون
عليك فقام مروان في الناس فأخبرهم فقالوا أصاب ووفق وقد احببنا ان يتخير
لنا فلا يألوا فكتب مروان الى معاوية بذلك فأعاد اليه الجواب فذكر يزيد
فقام مروان فيهم فقال ان امير المؤمنين قد اختار لكم فلم يأل وقد استخلف ابنه
يزيد : فقام عبد الرحمن بن أبي بكر وقال ما الخيار أردتم لامة محمد ولكنكم
تريدون ان تجعلوها هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل وأ نكر ذلك الحسين
ابن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فكتب مروان الى معاوية بذلك
وكان معاوية قد كتب الى عماله بتقريظ يزيد ووصفه وان يوفدوا
اليه الوفود من الامصار فكان فيمن اتاه محمد بن عمر بن حزم من المدينة
والاحنف بن قيس في وفد أهل البصرة فقال محمد بن عمرو لمعاوية ان
كل راع مسئول عن رعيته فانظر من تولى امرأمة محمد ثم أن معاوية قال
للأحنفك بن قيس الفهرى لما اجتمعت الوفود عنده اني متسكلم فاذا

سكت فكن انت الذى تدعو الى بيعة يزيد وتحنى عليها فاما جالس معاوية
للناس تكلم فمظم أمر الاسلام وحرمة الخلافة وحقها وما أمر الله به من طاعة
ولاة الامر ثم ذكر يزيد وفضله وعلمه بالسياسة وعرض بيعته فقام الضحاح
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أمير المؤمنين انه لا بد للناس من وال بعدك وقد
بلونا الجماعة والالفة فوجدناهما أحقن للدماء وأصلح للمداهم وآمن للسبيل
وخيراً في العاقبة والايام عوج رواجع والله كل يوم هو في شأن يزيد بن
أبى أمية المؤمنين في حسن هديه وقصد سيرته أعلى ما علمت وهو من أفضلائه
علماً وحلماً وأبعدنا رأياً فوله عهدك واجعله لنا علماً بعدك ومفرجاً لنا
ونسكن في ظله : ثم تكلم غيره بمثل كلامه فقال معاوية للاحنف بن قيس
ما تقول يا أباحر فقال نخافكم ان صدقنا ونخاف الله ان كذبنا وأنت يا أمير
المؤمنين أعلم بيزيد في ليله ونهاره وسره وعلايته ومدخله ومخرجه فان
كنت تعلمه الله والامة رضا فلا تشاور فيه وان كنت تعلم فيه غير ذلك فلا
تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة وانما علينا أن نقول سمعنا وأطعنا . كان
معاوية يعطى المقارب ويدارى المباعد ويلطف به حتى استوسق له اكثر الناس
وبايعوه فلما بايعه أهل العراق وأهل الشام سار الى الحجاز في ألف فارس فلما
دخل المدينة خطب الناس فذكر يزيد فمدحه وقال من أحق منه بالخلافة
في فضله وعقله وموضعه وما اظن قوماً بمنتهين حتى تصيبهم بوائق تجتث
أصولهم وقد انذرت ان اغنت النذر ثم انشد متمثلاً

قد كنت حذرتك آل المصطلق وقلت بأعمرو اطعنى وانطلق
انك ان كلفتني مالم اطق ساءك ما سرك منى من خلق

دونك ما استسقيته فاحس وذق

وكان اولئك نفر الثلاثة قد تركوا المدينة الى مكة فخرج معاوية الى مكة وقضى بها نسكه ثم جمعهم ثلاثتهم وكانوا قد اتفقوا على ان يكون الذي يخاطبه ابن الزبير فقال لهم معاوية قد علمت سيرتي فيكم وصالتي لارحامكم وحملي ما كان منكم ويزيد اخوكم وابن عمكم واردت ان تقدموه باسم الخلافة وتكونوا انتم تعزلون وتأمرون وتجبون المال وتقسمونه لا يعارضكم في شيء من ذلك فقال ابن الزبير نخيرك بين ثلاث خصال قال اعرضهن: قال تصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احداً فارتضى الناس ابا بكر: قال معاوية ليس فيكم مثل ابي بكر فانه عهد الى رجل من قاصية قریش ليس من بني ابيه فاستخلفه. وان شئت فاصنع كما صنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر ليس فيهم احد من ولده ولا بني ابيه قال معاوية هل عندكم غير هذا فقالوا لا قال فاني احببت ان اتقدم اليكم انه قد ائذر من انذر اني كنت اخطب فيكم فيقوم الى القائم منكم فيكذبني على رؤوس الناس فاحمل ذلك فاصفح فاني قائم بمقالة فأقسم بالله لئن رد علي احد منكم كلمة في مقامى هذا لا ترجع اليه كلمة غيرها حتى يسبقها السيف الى رأسه فلا يبقين رجل الاعلى نفسه ثم دعا صاحب حرسه بحضرتهم فقال اقم على راس كل رجل من هؤلاء رجلين مع كل احد سيف فان ذهب رجل منهم يرد على كلمة بتصديق او تكذيب فليضرباه بسيفهما ثم خرج وخرجوا معه حتى رقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هؤلاء الرهط سادة المسامين وخيارهم لا يبتز امر دونهم ولا يقضى إلا عن مشورتهم وإيهم قدر ضواوباعوا ليزيد

فبايعوا على اسم الله فبايع الناس وكانوا يتربصون ببيعة هؤلاء النفر ثم ركب رواحله وانصرف الى المدينة ثم إلى الشام ويروى ان ابن عمر قال لمعاوية أبايعك على أنى أدخل فيما تجتمع عليه الامة فوالله لو اجتمعت على حبشى لدخلت معها

ونقول ان فمكر معاوية في اختيار الخليفة بعده حسن جميل وانه مادام لم توضع قاعدة لا تتخاب الخلفاء ولم يعين أهل الحل والعقد الذ بن يرجع اليهم الاختيار فأحسن ما يفعل هو أن يختار الخليفة ولى عهده قبل أن يموت لأن ذلك يبعد الاختلاف الذى هو شر على الامة من جور امامها وقد فعل معاوية ما يظهر معه أنه لم يستبد بالامر دون الامة فطاب وفود الانصار فحضروا عنده وأجابوه إلى طلبته من بيعة يزيد ابنه والذى ينقده التاريخ من أمره هو

(١) أنه استهان بأولئك النفر الذين لم يرضوا ببيعة يزيد وهم من سادة الامة الذين يتطلمعون لولاية أمر المسلمين فلم يهتم بخلافهم بل ادعى أنهم بايعوا لينال بيعته أهل مكة وهذا غير لائق بمقام خليفة المسلمين لاجرم إن كان من نتائج ذلك تلك الحوادث المحزنة التى سنوضحها في خلافة يزيد

(٢) مما انتقده الناس أنه اختار ابنه للخلافة وبذلك سن في الاسلام سنة الملك المنحصر في أسرة معينة بعد ان كان اساسه الشورى ويختار من عامة قريش وقالوا ان هذه الطريقة التى سنها معاوية تدعو في الغالب الى انتخاب غير الافضل الا ليق من الامة وتجعل في اسرة الخلافة الترف والانغماس في الشهوات والملذذ والرفعة على سائر الناس . اما راينا في ذلك فان

هذا الانحصار كان أمراً حتماً لا بد منه لصلاح امر المسلمين والفتهم
ولم شعثهم فانه كلما اتسعت الدائرة التي منها يختار الخليفة كثر الذين
يرشحون انفسهم لنيل الخلافة واذا انضم الى ذلك اتساع المملكة
الاسلامية وصعوبة المواصلات بين اطرافها وعدم وجود قوم معينين يرجع
اليهم الانتخاب فان الاختلاف لا بد واقع ونحن نشاهد انه مع تفوق بني
عبد مناف على سائر قريش واعتراف الناس بهم بذلك وهم جزء صغير من
قريش فانهم تنافسوا الامر واهلكوا الامة بينهم فلو رضى الناس عن أسرة
ودانوا لها بالطاعة واعترفوا باستحقاق الولاية لكان هذا خير ما يفعل انضم
شعث المسلمين ان أعظم من ينتقد معاوية في تولية ابنه هم الشيعة مع انهم
يرون انحصار ولاية الامر في آل علي ويسبقون الخلافة في بني يتركها لاب
منهم لابن وبنو العباس انفسهم ساروا على هذه الخطة فجعلوا الخلافة حقاً من
حقوق بيتهم لا يحدوهم الى غيرهم والنتيجة ان ما فعله معاوية كان أمراً لا بد
منه مع الحال التي كانت عليها البلاد الاسلامية

مقارنة الحكم في عهد معاوية بالحكم مدة الخلفاء الراشدين

ان الناظر لحال سياسة الناس في عهد معاوية يراها لا تشبه من كل
الوجوه ما كانت عليه الحال في عهد الخلفاء الراشدين قبل الفتنة فقد كانت
الناس تساس بالقانون الشرعي تماماً ياخذ كل انسان ماله ويعطى ما عليه فان
تأخر في واجب مما عليه عاقبته الدرة درة عمر وكان الناس انفسهم متحدي
الميل لم تكثر بينهم الاختلافات في الاراء ولم يتأولوا القرآن تأولاً
يخرجه عن حقيقته التي تدعو الناس الى التآلف والتآزر والتحاب أما في

هذا العهد فان الامة اختلفت اهواؤها وسهل عليها شق عصا الطاعة ودخلوا في غمار الفتنة متأولين للقرآن فكانت السياسة التي حكموا بها شديدة قاهرة حتى سهل اهراق الدماء الا ترون الى زياد وما كان يفعله فانه قتل ذلك الاعرابي الذي أخذ من الجامع مع اعتقاد زياد صدقه لكنه قال ان في قتلك صلاحاً للرعية . لا ننكر أن معاوية نفسه كان سهلاً ليناً يعفو ويغفر ويفيض على الناس من حمله الواسع ويحب لهم العافية ولكن بعض عماله اشتدوا على الناس شدة لا نظن انها تصلح القلوب وانما تخفف الألم عن الامة تخفيفاً وقتياً

ومما ننقده على هذا العهد اهتمام معاوية بالتشهير بعلي على المنابر مع أن الرجل قد لحق بربه وانتهى بأمره وكان يعلم يقيناً أن هذه الأقوال مما يهيج صدور شيعته وتجعلهم يتأففون ويتذمرون ولا ندرى ما الذي حمله على أن جعل ذلك فرضاً حتماً في كل خطبة كأنه ركن من أركانها لا تتم إلا به .

من المحدثات الجميلة التي حدثت في عهد معاوية البريد ومعنى ذلك أن تقسم الطرق منازل في كل منزلة دواب مهيأة معدة لحمل كتب الخليفة الى البلدان المختلفة فتسلم الكتب بالحاضرة فيأخذها صاحب البريد ويمر مسرعاً حتى اذا وصل الى أول منزلة سلمها لصاحب البريد فيها فيفعل بها كالأول وبذلك كانت تصل الكتب الى الامراء والعمال في اسرع وقت يمكن وكان بين كل منزلتين أربعة فراسخ أو اثنا عشر ميلاً وتسمى هذه المسافة بريداً .

وروى ياقوت في معجم البلدان أنه انما سميت خيل البريد بهذا الاسم لأن بعض ملوك الفرس اعتاق عنه رسل بعض جهات مملكته فلما جاءته الرسل سألها عن سبب بطئها فشكوا من مروا به من الولاة وانهم لم يحسنوا معاوتهم فأحضرهم الملك وأراد عقوبتهم فاحتجوا بأنهم لم يعلموا أنهم رسل الملك فأمراً أن تكون أذنان خيل الرسل وأعرافها مقطوعة لتكون علامة لمن يمرون به لينحوا عنهم في سيرهم فقبل بريد أي قطع فعرب فقبل خيل البريد . وقال ياقوت انه روى هذا عن بعض من لا يوثق به ولكنه صحيح في القياس والنظر

معاوية أول من اتخذ الحرس ولم يكن شيء من ذلك في عهد خلفاء الراشدين وانما اتخذته بعد أن كان ما كان من ارادة الخارجى قتله اتخذ معاوية ديوان الخاتم وكان سبب ذلك أنه أمر لعمر بن الزبير بمئة الف درهم وكتب له بذلك الى زياد ففتح عمرو الكتاب وصير المئة مئتين فلما رفع زياد حسابه أنكرها معاوية وطلبها من عمرو وحبسها فقضاها عنه أخوه عبد الله بن الزبير فحدث معاوية عند ذلك ديوان الخاتم وحزم الكتاب وكانت قبل لا تحزم

كان كاتب معاوية سرجون الرومى لان ديوان الشام كان لهده بالرومية ويظهر انه كاتب الخراج وكان سرجون صاحب أمره ومدبره ومشيده وكان حاجبه سعد مولاة وقاضيه فضالة بن عبيد الانصارى ثم ابو ادريس الخولاني ومعنى ذلك انه كان قاضي الشام وكان لكل ولاية قاض خاص

بيت معاوية

- تزوج (١) ميسون بنت بحدل وهى أم يزيد ابنه
(٢) فاختة بنت قرظة النوفلي فولدت له عبد الرحمن وعبد الله
ومات عبد الرحمن صغيراً
(٣) نائلة بنت عمارة الكلابية وهذه طلقها
(٤) كتوة بنت قرظة أخت فاختة غزا قبرس فأتت معه هناك

وفاة معاوية

مرض معاوية بدمشق فى جمادى الثانية وكان يزيد ابنه غائباً فاحضر
معاوية الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري وأدى اليهما وصيته الى يزيد
وكان فيها (يا بنى انى قد كفيتك الشد والترحال ووطأت لك الامور وذلت
لك الاعداء واخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك مالم يجمعه أحد فانظر
أهل الحجاز فانهم أصلك واكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب
وانظر أهل العراق فان سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل فان
عزل عامل أسهل من أن يشهر عليك مئة ألف سيف وانظر أهل الشام
فليكونوا بطانتك وغيبتك فان رابك من عدوك شيء فانتصر بهم فاذا
أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فانهم ان اقاموا بغير بلادهم تغيرت
أخلاقهم وانى لست أخاف أن ينازعك فى هذا الامر الا اربعة من قريش
الحسين بن على وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر

فأما ابن عمر فانه رجل قد وقذته العبادة فاذا لم يبق أحد غيره بايعك
وأما الحسين بن علي فهو رجل خفيف ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه
فان خرج وظفرت به فاصفح عنه فان له رحماً ماسة وحقاً عظيماً وقرابة
من محمد صلى الله عليه وسلم . وأما ابن أبي بكر فان رأى اصحابه صنعوا
شيئاً صنع مثله ليس له همة الا في النساء والاهو وأما الذي يجثم لك جثوم
الاسد ويراوغك مراوغة الثعلب فذاك ابن الزبير فان هو فعلها فظفرت به
فقطعه ارباً ارباً واحقن دماء قومك ما استطعت) ثم مات بدمشق لهلال
رجب سنة ٦٠ هـ (٧ ابريل سنة ٦٨٠ م) فخرج الضحالك بن قيس حتى
صعد المنبر وأكفان معاوية على يديه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ان معاوية
كان عود العرب وخذ العرب وجد العرب قطع الله به الفتنة وماسكه على
العباد وفتح به البلاد الا انه قد مات وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها
ومدخلوه قبره ومخلون بينه وبين عمله ثم هو المخرج الى يوم القيامة فمن كان
يريد ان يشهده فعنده الاولى وصلى عليه الضحالك وكان قد أرسل الخبر الى
يزيد فقال في ذلك يزيد

جاء البريد بقرطاس يخب به	فأوجس القلب من قرطاسه فزعا
قلنا لك الويل ماذا في كتابكم	قال الخليفة أمسى مشبثاً وجعا
ثم انبعثنا الى خوص مزمة	نرمي الفجاج بها لا تأتلي سرعا
فادت الارض أو كادت تميد بنا	كان أغبر من أركانها انقطعا
من لم تزل نفسه توفي على شرف	توشك مقاليد تلك النفس أن تقعا

لما انتهينا وباب الدار منصفق وصوت رملة ريع القلب فأنصدعا
ثم ارعوى القاب شيئاً بعد طيرته والنفس تعلم أن قد أثبتت جزعا
أودى ابن هند وأودى المجد يتبعه كانا جميعا فماتا قاطنين معا
أغر أبلج يستسقى الغمام به لو قارع الناس عن احسابهم قرعا
ثم أقبل يزيد وقد دفن معاوية فأثى قبره فصلى عليه



المحاضرة الرابعة والثلاثون

يزيد الاول — كيفية انتخابه — مقتل الحسين — وقعة الحيرة

حصار مكة — الفتوح في عهد يزيد — بيته ووفاته

يزيد الاول

٢

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وأمه ميسمون بنت محمد بن عبد الله ولد سنة ٢٦ هـ وأبوه أمير الشام لعثمان بن عفان فتربى في حجاز الامارة ولما شب في خلافة أبيه كان يرشحه للامارة فولاه الحج مرتين وولاه الصائفة وأرسله في الجيش الذي غزا القسطنطينية لأول مرة وكان مغرمًا بالصيد وهذا مما أخذه عليه الناس اذ ذاك لانهم لم يكونوا فارقوا البداوة العريسة والجد الاسلامي بعد

كيفية انتخابه

عهد اليه ابوه بالخلافة من بعده بعد ان استشار في ذلك وفود الامصار فبايعه الناس ولم يتخاف عن البيعة الا نفر قليل من أهل المدينة وهم الحسين

ابن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر : فلما توفي معاوية لم يكن لبزيد هم الا مبايعتهم له فأرسل الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان امير المدينة يقول له (أما بعد فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وابن الزبير أخذاً ليس فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام) فلما أتاه نعي معاوية فظع به وكبر عليه فأرسل الى هؤلاء النفر فأما حسين فجاءه فلما عرض عليه البيعة وأخبره بموت معاوية استرجع وتروح على معاوية وقال اما البيعة فان مثلي لا يبايع سراً ولا يجتري بها منى سراً فاذا خرجت الى الناس ودعوتهم الى البيعة ودعوتنا معهم كان الامر واحداً فقال له الوليد وكان يحب العافية انصرف فانصرف وأما ابن الزبير فترك المدينة وذهب الى مكة وقال اني عائد بالبيت ولم يكن يصلي بصلاتهم ولا يفيض في الحج بافاضتهم وكان يقف هو وأصحابه ناحية وخرج من المدينة بعده الحسين بن علي وأخذ معه بنيه واخوته وبنو أخيه الا محمد بن الحنفية فانه أباي الخروج معه ونصحه فلم يقبل نصحه

أما ابن عمر فانه قال اذا بايع الناس بايعت فتركوه وكانوا لا يتخوفونه ولما بايع الناس بايع هو وابن عباس

حادثة الحسين

جاء الحسين مكة فكان أهلها مختلفون اليه ويأتونه ومن بها من المعتمرين واهل الافاق وابن الزبير قد لزم جانب الكعبة فهو قائم يصلي عندها عامة النهار ويطوف ويأتي الحسين فيمن يأتيه ولا يزال يشير عليه

بألرأى وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير لان أهل الحجاز لا يبايعونه مادام الحسين بالبلد : لما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وبيعة يزيد أرجفوا يزيد واجتمعت الشيعة فى منزل كبيرهم سليمان بن صرد الخزاعي واتفقوا أن يكتبوا الى الحسين يستقدمونه ليبايعوه فكتبوا اليه نحواً من ١٥٠ صحيفة ولما اجتمعت الكتب عنده كتب اليهم (أما بعد فقد فهمت كل الذى اقتصصتم وقد بعثت اليكم ياخي وابن عمى وثقتى من أهل بيتى مسلم ابن عقيـل وأمرته أن يكتب الى بحالتكم وأمركم ورأيكم فان كتب الى انه قد اجتمع رأى ملتئكم وذوي الحجي منكم على مثل ما قدمت به رسالتكم أقدم اليكم وشيكا ان شاء الله فلعمرى ما الامام الا العامل بالكتاب والقائم بالنقض والدائن بدين الحق والسلام) ثم دعا الحسين مسلم بن عقيـل فسيره نحو الكوفة وأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللفظ فان رأى الناس مجتمعين عجل اليه بذلك فسار مسلم نحو الكوفة وأسيرها النعمان بن بشير الانصارى فأقبلت اليه الشيعة تحتلف اليه . ولما بلغ ذلك النعمان صعد المنبر وقال أما بعد فلا تسارعوا الى الفتنة والفرقة فان فيهما تهلك الرجال وتسفك الدماء وتغصب الاموال وكان النعمان حليماً ناسكاً يحب العافية . ثم قال انى الا اقاتل الا من يقاتلنى ولا أثب على من لا يثب على ولا أنبىـه نائمكم ولا أتحرش بكم ولا آخذ بالقرف ولا الظنة ولا التهمة ولكنكم ان ابديتهم صفتكم ونكشتهم بيعتكم وخالفتم امامكم فوالله الذى لا اله الا هو لاضر بكم يسيفى ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن لى منكم ناصر ولا معين اما انى ارجو ان يكون من يعرف الحق منكم أكثر ممن يرديه الباطل فقام اليه رجل

من شيعة بنى امية وقال له انه لا يصالح ما ترى الا الغشم ان هذا الذى انت عليه راى المستضعفين فقال اكون من المستضعفين في طاعة الله احب الى من اب اكون من الاعزين في معصية الله ونزل . فكتب ذلك الرجل الى يزيد يخبره بقدم مسلم بن عقيل ومبايعة الناس له ويقول ان كان لك بالكوفة حاجة فابعث اليها رجلا قويا ينفذ امرك ويعمل مثل عمالك في عدوك فان النعمان رجل ضعيف او يتضعف فعزل يزيد النعمان وولى على الكوفة عبيد الله بن زياد أمير البصرة فجعله والى المصرين وامره بطلب مسلم بن عقيل وقتله او نفيه فقام ابن زياد الى الكوفة وخطب في اهلها فقال (اما بعد فان امير المؤمنين ولانى مصركم وثوركم وفيئكم وامرنى بانصاف مظلومكم واعطاء محرومكم وبالا حسان الى سامعكم ومطيعكم وبالشدة على مريبكم وعاصيكم وأنا متبع فيكم امره ومنتفذ فيكم عهده فانا لمحسنكم كالوالد البر وللمطيعكم كالاخ الشفيق وسيفي وسوطي على من ترك امرى وخالف عهدى فليبق امرؤ على نفسه) ثم نزل فأخذ العرفاء والناس اخذا شديداً وقال اكتبوا الى الغرباء ومن فيكم من طلبة امير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية واهل الريب الذين دأبهم الخلف والشقاق فن كتبهم الى برىء ومن لم يكتب لنا احداً فليضمن لنا ما فى عرافته أن لا يخالفنا فيهم مخالف ولا يبغى علينا منهم باغ فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنادمه وماله وأيما عريف وجد فى عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه الينا صلب على باب داره والقيت تلك العرافة من العطاء وسير الى موضع بهمان الزارة

سمع مسلم بمقال ابن زياد فاستجار بهانيء بن عروة الرادى فاجاره متكرها

وصارت الشيعة تختلف اليه هناك فعلم ابن زياد بمقره بدارهاني فاستقدمها نكثاً فقدم عليه ولما دنا منه قال عبید الله

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فقال هاني وما ذاك فقال يا هاني ما هذه الامور التي تربص في دارك لا مير المؤمنين والمسلمين جئت بمسلم فادخلته دارك وجمعت له السلاح والرجال وظننت أن ذلك يخفي لك وقد أراد هاني أن ينكر فلم يجد إلى الانكار سبيلاً فطلب منه ابن زياد أن يسلم اليه مساماً فامتنع خوف السبة والعار فامر ابن زياد به فضرب وحبسه بالقصر . ولما علم بذلك مسلم نادى في أصحابه بشعارهم يامنصور وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف فاجتمع اليه ناس كثير فعبأهم وأقبل إلى القصر فأحاط به وامتلأ المسجد والسوق من الناس ولم يكن مع ابن زياد الا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من الاشراف واهل بيته ومواليه وأقبل اشراف الناس يأتونه فدعا كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم وأمر محمد بن الاشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس وأمر بمثل ذلك غيره من الاشراف وأبقى عنده بعضهم استئناساً بهم فخرج الذين أمروا بالخروج يخذلون الناس وأشرف الذين بالقصر على الناس فمنعوا أهل الطاعة وخوفوا أهل المعصية ولما رأى الناس ذلك شرعوا يتفرقون حتى لم يبق مع ابن عقيل في المسجد الا ثلاثون رجلاً فيحار في أمره أين يذهب واختفى فعلم ابن زياد بمكان اختفائه فارسل اليه محمد بن الاشعث فجاء به فقال مسلم لابن الاشعث اني أراك تعجن

عن أماني فهل تستطيع أن تبعث من عندك رسولا يخبر الحسين بحالي ويقول
له عني ليرجع باهل بيته ولا يغره أهل الكوفة فانهم أصحاب أبيه الذي كان
فراقهم بالموت أو القتل ففعل ذلك ابن الأشعث ولما جرى بمسلم الى ابن زياد قتله
ثم قتل بعده هاني بن عروة المرادى

أما أمر الحسين فانه لما عزم على السير الى الكوفة جاءه عمرو بن
عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال له بلغني أنك تريد العراق واني مشفق
عليك ان تأتي بلدًا فيه عماله وأمرأؤه ومعهم بيوت الاموال وأما الناس عبيد
الدرهم والدينار فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب
اليه ممن يقاتلك معه فجزاه الحسين خيراً . وجاءه ابن عباس فقال له قد
أرجف الناس أنك تريد العراق فخبّرني ما أنت صانع . فقال قد أجمعت
السير في أحد يومى هذين فقال له ابن عباس أعينك بالله من ذلك خبرني
رحمك الله أتسير الى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم فان كانوا
فعلوا ذلك فسر اليهم وان كانوا انما دعوك اليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله
تجبي بلادهم فانما دعوك الى الحرب ولا آمن عليك أن يغروك ويكذبوك
ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا اليك فيكونوا أشد الناس عليك فقال الحسين
فاني أ-تخير الله وأنظر ما يكون . ثم جاءه ابن عباس ثاني يوم فقال يا ابن عم
اني أتصبر ولا أصبر اني اتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك والاستئصال
ان أهل العراق قوم غدر فلا تقر بهم أقم بهذا البلد فانك سيد أهل الحجاز
فان كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكذب اليهم فلينفوا عاملهم وعدوهم
ثم اقدم عليهم فان ابيت الا ان تخرج فسر الى اليمن فان بها حصوناً وشعاباً

وهي ارض عريضة طويلة ولا بيك بها شيعة وانت عن الناس في عزلة
فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعائك فاني ارجو ان يأتيك عند ذلك الذي
تحب في عافيه . فلم يسمع منه الحسين فقال له ابن عباس فان كنت سائراً
فلا تسر بنسائك وصيتك فاني لخائف ان تقتل كما قتل عثمان ونسأؤه وولده
ينظرون اليه فلا يفد كلامه شيئاً . ثم سار باهله واولاده فقابله بالطريق
الفرزدق الشاعر فسأله عن خبر الناس فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم
مع بني امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء . ثم جاءه كتاب
من عبدالله بن جعفر يقسم عليه فيه بالله الا ما انصرف ومع كتابه كتاب
من عمرو بن سعيد امير المدينة فيه الامان له ويسأله الرجوع فأبى وتم على
وجهه فقابله عبدالله بن مطيع ولما علم بوجهه قال له اذكرك الله يا ابن رسول الله
وحرمة الاسلام ان تنتهك انشدك الله في حرمة العرب فوالله لئن طلبت
ما في ايدي بني امية ليقتلنك ولئن قتلك لايهابون بعدك احداً والله انها
لحرمة الاسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فلا تفعل ولا تأت الكوفة ولا
تعرض نفسك لبني امية فأبى الا ان يمضي

ولما كان بالشعبية جاءه مقتل مسام بن عقيل فقال له بعض اصحابه
نشدك الله الا مارجعت من مكانك فانه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل
تتخوف ان يكونوا عليك فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نبرح حتى ندرك
ثارنا ونذوق كما ذاق مسام فسار حتى نزل بطن العقبة وهناك لقيه رجل من العرب
فقال انشدك الله الا ما انصرفت فوالله ما تقدم الا على الاسنة وخذ السيوف
ان هؤلاء الذين بعثوا اليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الاشياء

فقدمت عليهم لكان ذلك رأيا فاما على هذه الحال التي تذكر فلا اري ان تفعل فابي ان يرجع ولما ترك شراف قابليته خيل عدتها الف فارس مع الحر بن يزيد التميمي فقال لهم الحسين ايها الناس انما معذرة الى الله واليكم اني لم آتكم حتى اتتني كتبكم ورساكم ان اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله ان يجعلنا بك على الهدى فقد جئتمكم فان تعطوني ما اطمئن اليه من عهودكم اقدم مصركم وان لم تفعلوا كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي اقبلت منه فلم يجيبوه بشيء في ذلك ثم قال له الحر انا امرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت أدنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك فقال الحسين ثكلتك أمك ما تريد فقال له اما والله لو غيرك من العرب يقولها ما تركت ذكر أمه بالشكل كائنا من كان ولكني والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا باحسن ما يقدر عليه ثم صار الحرياقبة حتى لا يتمكن من الانصراف الى المدينة فصار الحسين يتجه الى الشمال حتى وصل نينوى وحينذاك قدم عليهم جيش سيده ابن زياد لقتال الحسين يقدمه عمر بن سعد بن أبي وقاص فلما قدم أرسل الحسين رسولا يسأله ما الذي جاء به فقال الحسين كتب الى اهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فلما أذكرهوني فاني أنصرف عنهم فكتب عمر الى ابن زياد بذلك فقال

الان اذ عرضت مخالبتنا به يرجو النجاة ولالة حين مناص
ثم كتب الى ابن سعد يأمره ان يعرض على الحسين بيعة يزيد فاذا قبل
ذلك راينا رأينا وأن يمنع هو ومن معه الماء : وكان الحسين يعرض عليهم ان

يدعوه يرجع الى المكان الذى خرج منه وليس بصحيح انه عرض عليهم ان يضع يده فى يد يزيد فلم يقبلوا منه تلك العودة وعرضوا عليه ان ينزل على حكم ابن زياد ومثل هذا الطلب لا يقبله الحسين مهما يكن من الامر فلم يكن الا القتال وفي عاشر المحرم سنة ٦١ انتشب القتال بين هاتين الفئتين جيش العراق الذى لم يكن فيه أحد من اهل الشام وهذه الفئة القليلة ومن معه وهم لا يزيدون عن ٨٠ رجلاً ولم يكن الا قليل وقت حتى قتل الحسين وسائر من معه وعدة من قتل اثنان وسبعون رجلاً وقتل من اصحاب ابن سعد ٨٨ رجلاً ثم أخذوا رأس الحسين وحملوها الى ابن زياد ومعها بنات الحسين وأخوته ومعهم على بن الحسين صغير مريض فامر ابن زياد بحمل الرأس ومعها النساء والصبيان الى يزيد فلما بلغوا الشام واخبر يزيد بالخبر دمعت عيناه وقال كنت أرى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية أما والله لو انى صاحبه لعفوت عنه ثم قال لمن عنده أتدرون من أين أتى هذا قال أبى خير من أبيه وأبى خير من أمه وجدى رسول الله خير من جده وأنا خير منه وأحق بهذا الامر فاما قوله أبوه خير من أبى فقد تهاج أبى وابوه الى الله وعلم الناس ايهما حكم له واما قوله أمه خير من أمى فلعمري فاطمة بنت رسول الله خير من أمى واما قوله جده خير من جدى فلعمري ما احدىؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله فينا عدلاً ولا ندأ ولكنه انما اتى من قبل فقهه ولم يقرأ (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) ثم امر بالنساء فادخلن دور يزيد فلم تبق امرأة من آل يزيد الا اتتهن واقمن المأثم وسألهن عما اخذ منهن فاضغفه لهن ثم

قرب اليه على بن الحسين وجهزهن بعد ذلك الى المدينة وقال لعلي يابى كاتبى
بشكل حاجة تكون لك

بذلك الشكل المحزن انتهت هذه الحادثة التي أثارها عدم الاناة
والتبصر في العواقب فان الحسين بن علي ربي بقول مشيريه جميعاً عرض
الحالط وظن باهل العراق خيراً وأهم صحاب ابيه فقد كان ابوه خيراً منه
واكثر عند الناس وجاهة وكانت له بيعة في الاعناق ومع كل ذلك لم
ينفعوه حتى تمنى في آخر حياته الخلاص منهم . اما الحسين فلم تكن له بيعة
وكان في العراق عماله وامراؤه فاغتر بيعض كتب كتبها دعاة الفتن ومحبو
الشرف حمل اهله واولاده وسار الى قوم ليس لهم عهد وانظروا كيف تألف
الجيش الذي حاربه هل كان الامن اهل العراق وخدم الذين يرفعون
عقيرتهم بلنهم شيعة على بن ابي طالب وعلى الجملة فان الحسين اخطأ خطأ عظيماً
في خروجه هذا الذي جر على الامة وبالفرقة والاختلاف وزعزع عماد
الفتن الى يومنا هذا وقد اذثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يريدون
بذلك الا ان تشتعل النيران في القلوب فيشتد تباعدها : غاية ما في الامر ان
الرجل طالب امراً لم يتهياً له ولم يعدله عدته فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل
دونه وقبل ذلك قتل ابوه فلم يجد من اقلام الكتبيين ومن يدشع امر قتله
ويزيد به نار العداوة تاجيحا وقد ذهب الجميع الى ربهم يحاسبهم على ما فعلوا
والتاريخ يأخذ من ذلك عبرة وهي انه لا ينبغي لمن يريد عظام الامور ان
يسير اليها بغير عدتها الطبيعية فلا يرفع سيفه الا اذا كان معه من القوة
ما يكفل له النجاح أو يقرب من ذلك كما انه لا بد أن تكون هناك اسباب

حقيقية لمصاحبة الامة بان يكون هناك جور ظاهر لا يحتمل وعسف شديد
بنوء الناس بحمله أما الحسين فانه خالف على يزيد وقد بايعه الناس ولم يظهر
منه ذلك الجور ولا العسف عند اظهار هذا الخلاف

وقعة الحرة

لم تقف مصائب المسلمين عند قتل الحسين ومن معه بل حدثت حادثة
هى في نظرنا أدهى وأشنع وهى انتهاك حرمة مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم ومهبط الوحي الالهى وهى التى حرّمها عليه السلام كما حرّم ابراهيم
مكة فصارت هاتان المدينتان مقدستين لا يحل فيهما القتال فانتهاك حرمة
احدهما من الشرور العظيمة والمصائب الكبرى فكيف بانتهاك حرمتها
معاً في سنة واحدة

أما حادثة المدينة فانه في عهد اماره عثمان بن محمد أبي سفيان عليها
أوفد الى يزيد بدمشق وفداً من أشرف أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة
الانصارى وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخرومى والمنذر بن
الزبير وغيرهم والى يزيد اكرمهم واحسن اليهم وأعظم جوائزهم
فأعطى عبد الله بن حنظلة وكيان شريفاً فاضلاً عابداً سيّداً مئة ألف درهم
وكان معه ثمانية بنين فأعطى كل ولد عشرة آلاف وأعطى المنذر بن الزبير
مئة ألف فلما قدموا الى المدينة أقاموا فى أهاليها فآظفروا شتم يزيد وعيبيه
وأعلنوا أنهم خلعوه فتابعهم الناس وولوا أمرهم عبد الله بن حنظلة ولما علم
بذلك يزيد ارسل النعمان بن بشير الانصارى الى المدينة لينصح قومه

فجاءهم وأمرهم بلزومهم الطاعة وخوفهم الفتنة وقال لهم انكم لا طاقة لكم
بأهل الشام فلم تجد نصيحته نفعا فعاد عنهم وحينذاك قام هؤلاء الثائرون
وحصروا من في المدينة من بني أمية في دار مروان فكتبوا الى يزيد يستغيثون
به فلما جاءه كتابهم قال متمثلا

أقد بدلوا الحكم الذي في سيجيتي فبدلت قومي غلظة بليان
وحينذاك جهز جيشا أمر عليه مسلم بن عقبة المري وكان عدة من
تجهز معه اثنا عشر ألفا وقال له يزيد ادع القوم ثلاثا فان أجابوك والافقاتلهم
فان ظهرت عليهم فأبجها ثلاثا فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو
طعام فهو للجند فاذا مضت الثلاث فاكف عن الناس وانظر على بن الحسين
فاكف عنه واستوص به خيرا فانه لم يدخل مع الناس وانه قد أتاني كتابه .
سار مسلم بالجيش فلما بلغ أهل المدينة الخبر شددوا في حصار بني أمية ولم
يفكوا عنهم الحصار الا بعد أن عاهدوهم أن لا يبغيهم غائلة ولا يدلوا لهم على
عورة ولا يظاهروا عليهم عدوا وبذلك جعلوهم يخرجون من المدينة فخرجوا
وقابلوا مساما بوادي القرى فدعا بعمر بن عثمان وقال له ما وراءك فقال
لا أستطيع فقد أخذت علينا العهود والمواثيق أن لا ندل على عورة ولا
نظاهر عدوا فانتهره وقال والله لو لا انك ابن عثمان لضربت عنقك ثم دخل
عليه عبد الملك بن مروان فقال هات ما عندك فقال نعم أرى أن تسير بمن
معك فاذا انتهيت الى ذى نخلة نزلت فاستظل الناس في ظله وأكلوا من تمره
فاذا أصبحت من الغد مضيت وتركتم المدينة ذات اليسار ثم درت بها
حتى تأتيتهم من قبل الحرة مشرقا ثم تستقبل القوم فاذا استقبلتهم وقد

أُشْرِقَتْ عَلَيْهِمُ الشَّمْسُ طَلَعَتْ بَيْنَ اكْتِثَافِ أَصْحَابِكَ فَلَا تُؤْذِيهِمْ وَيُصِيبُهُمْ
أَذَاهَا وَيُرُونَ مِنَ الْإِثْلَاقِ بَيْضَكُمْ وَأَسْنَةً رَمَاحَكُمْ وَسَيُوفَكُمْ وَدُرُوعَكُمْ مَا لَا تَرَوْنَهُ
أَنْتُمْ مَا دَامُوا مَغْرِبِينَ ثُمَّ قَاتَاهُمْ وَاسْتَعْنَى بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ مِرْوَانَ فَقَالَ
أَيُّهُ فَقَالَ مِرْوَانُ أَيْسَ قَدْ دَخَلَ عَلَيْكَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَالَ بَلَى وَأَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الْمَلِكِ
قَامَا كَلِمَتِ مِنْ رَجَالِ قُرَيْشٍ رَجُلًا شَبِيهَا بِهِ قَالَ مِرْوَانُ إِذَا لَقِيتَ عَبْدَ الْمَلِكِ
فَقَدْ لَقِيتَنِي

ثُمَّ سَارَ مُسْلِمٌ حَسَبَ وَصِيَّةِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ دَعَا أَهْلَهَا وَقَالَ
أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزْعُمُ أَنَّكُمْ الْأَصْلَ وَأَنِّي أَكْرَهُ أَرَاقَهُ دِمَائَكُمْ وَأَنِّي أَوْجَلِكُمْ
ثَلَاثًا فَمَنْ أَرَعَوَى وَرَاجَعَ الْحَقَّ قَبْلَنَا مِنْهُ وَأَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ وَسَرَتْ إِلَى هَذَا
الْمَحَلِّ الَّذِي بِمَكَّةَ وَأَنْ أُيْتِمَ كُنَّا قَدْ عَظَرْنَا إِلَيْكُمْ فَلَمْ يَبَالُوا وَحَارَبُوا وَكَانَ
الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ شَدِيدًا جَدًّا وَلَكِنْ انْتَهَى بِهَزِيمَةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ
قَتَلَتْ سَادَاتِهِمْ وَأَبَاحَ مُسْلِمُ الْمَدِينَةَ ثَلَاثًا يَقْتُلُونَ النَّاسَ وَيَأْخُذُونَ الْمَتَاعَ
وَالْأَمْوَالَ وَبَعْدَ ذَلِكَ دَعَا مُسْلِمُ النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ أَيْزِيدَ عَلَى أَنَّهُمْ خَوْلٌ لَهُ بِحُكْمٍ فِي
دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ فَمَنْ أَمْتَنَعَ عَنْ ذَلِكَ قَتَلَهُ ثُمَّ أَتَى بَعْلَى بْنَ الْحُسَيْنِ
فَأَكْرَمَهُ لَوْصِيَّةَ يَزِيدَ وَلَمْ يَأْزِمَهُ بِالْبَيْعَةِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ لِلْيَمَلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ ذِي
الْحِجَّةِ ٦٣

وَأَنَّ الْإِنْسَانَ لِيَعْجَبَ مِنْ هَذَا التَّهْوُرِ الْغَرِيبِ وَالْمَظْهَرِ الَّذِي ظَهَرَ بِهِ
أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي قِيَامِهِمْ وَحَدِّمْ بِخُلْعِ خَلِيفَةٍ فِي امْكَانِهِ أَنْ يَجْرُدَ عَلَيْهِمْ مِنْ
الْجُيُوشِ مَا لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَقْفُوا فِي وَجْهِهِ وَلَا يَدْرِي مَا الَّذِي كَانُوا يَرِيدُونَهُ
(م - ١٣)

بعد خلع يزيد ا يكونون مستقلين عن بقية الامصار الاسلامية لهم خليفة
منهم يلي امرهم ام حمل بقية الامة على الدخول في امرهم وكيف يكون هذا
وهم منقطعون عن بقية الامصار ولم يكن معهم في هذا الامر احد من الجنود
الاسلامية . انهم فتقوا فتقاً وارتكبوا جرماً فعل عليهم جزء عظيم من تبعة انتهاك
حرمة المدينة وكان من اللازم على يزيد وامير الجيش ان لا يسرف في
معاملتهم بهذه المعاملة فانه كان من الممكن ان ياخذهم بالحصار فان المدينة
لا تحتمل الحصار كثيراً لانه ليس فيها ما يموت أهلها وماؤها ينجى من
الخارج فلو قطعوه عنهم ما استمروا يومين كاملين وربما يقال أن أهل
المدينة تعجلوا بحرب أهل الشام لانه كان لهم خندق تركوه وراء ظهورهم
وخرجوا محاربين : بعد الانتصار لم يكن هناك معنى لباحة ذلك الحرم
ثلاثاً احتراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا واناعوذ بالله من الرءوس
التي اذاهاجت لا تنظر في عاقبة ولا تفكر في مستقبل

حصار مكة

وثلاثة الحوادث التي معظم تبعتها على عبد الله بن الزبير حصار مكة
فان مسلماً لما انتهى من أمر المدينة سار قاصداً مكة لحرب ابن الزبير
واستخلف على مكة روح بن زنباع الجذامي وقد أدركت المنية مسلماً بالشال
فاستخلف على الجند الحصين بن نمير كما أمر يزيد فسار بالجند الى مكة فقدمها
الاربع بقين من المحرم سنة ٦٤ وقد بايع أهلها وأهل الحجاز لعبد الله بن
الزبير وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي الخارجي لمنع البيت : فخرج ابن

الزبير للقاء أهل الشام فحاربهم حرباً انكشف فيها أصحابه فسار راجعاً الى مكة فأقاموا عليه يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى اذا مضت ثلاثة أيام من ربيع الاول رموا البلد بالمنجنيق ولم يزل الحصار حتى بلغهم نعي يزيد ابن معاوية فوقف القتال : هذه ثلاث حوادث كبرى داخلية حصلت في أيام يزيد جعلت اسمه عند عامة المسلمين مكروها حتى استحل بعضهم لعنه ونحن بعد أن بسطنا أمامكم هذه الحوادث وأثارها لا نرى من العدل ان يتحمل يزيد كل تبعاتها بل ان الذي يتحمله جزء صغير منها لانه خليفة بايعه معظم المسلمين وخالف عليه قليل منهم فليس من المعقول أن يتركهم وما يشتهون لتتفرق الكلمة وليس من السهل ان ينزل لهم عما تقلده فهو فيما نرى مجبور على فعل ما فعل وانما الذي عليه تلك الشدة التي أجرتها جنوده بعد ان تم لها النصر

الفتوح في عهد يزيد

استعمل يزيد عقبة بن نافع على افريقية كما وعده معاوية بذلك فسار اليها ولما وصل الى القيروان قبض على ابني المهاجر واثقه في الحديد وترك بالقيروان جنداً مع الذراري والاموال ثم سار في عسكر عظيم حتى دخل مدينة باغايه وقد اجتمع بها كثير من الروم فقاتلوه قتالاً شديداً وانهزموا عنه ودخل المنهزمون المدينة فحاصروهم عقبة ثم كره المقيم عليهم فسار الى بلاد الزاب وهي بلاد واسعة فيها عدة مدن وقرى كثيرة فقصد مدينتها العظمى واسمها اربة فامتنع من بها من الروم فقاتلتهم الجنود الاسلامية حتى

هزمتهم ثم رحل الى تاهرت : فلما بلغ الروم خبره استعانوا بالبربر فأجابوهم
ونصروهم فاجتمعوا في جمع كثير واشتد الامر على المسلمين لكثرة
العدو ولكن العاقبة كانت لهم فانهمزمت الروم والبربر وغنم المسلمون
اموالهم وسلاحهم ثم سار حتى نزل على طنجة فلقية بطريق روى اسمه
يليان فاهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه ثم سار نحو السوس الادنى
وهو مغرب طنجة فلقية البربر في جموع كثيرة فقاتلهم وهزمهم هزيمة
منكرة ثم سار نحو السوس الاقصى وقد اجتمع له جمع عظيم من البربر
فقاتلهم وهزمهم وسار بعد ذلك حتى بلغ بحر الظلمات فقال يارب لولا هذا
البحر اضيت في البلاد مجاهداً في سبيلك ثم عاد فنفر الروم والبربر من
طريقه خوفاً منه ولما وصل الى مدينة طنجة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام
امر اصحابه ان يتقدموا فوجاً فوجاً ثقة منه بما نال من العدو وانه لم يبق
احد يخشاه وسار الى تهودا لينظر اليها في نفر يسير فلما رآه الروم في قلة
طمعوا فيه فاغلاقوا باب الحصن وشتموه وقتلوه وهو يدعوهم الى الاسلام
فلم يقبلوا منه وكان في الجيش كبير من البربر اسمه كسيلة قد اسلم في ايام
أبي المهاجر فلما جاء عقبة وأساء الى ابي المهاجر استخف بكسيلة وصار
يحتقره فقال له ابو المهاجر أوثق الرجل فاني اخاف عليك منه فتهاون به
عقبة فلما رأى الروم قلة من مع عقبة راسلوا كسيلة في ان ينضم اليهم فقبل
وجمع اهله وبني عمه وقصد عقبة فقال له ابو المهاجر عاجله قبل ان يقوى
جمعه فزحف عقبة الى كسيلة فتنحى هذا عن طريقه ليكثر جمعه ولما كثر

اتفق مع الروم فهاجموا المسلمين وقتلواهم فقتل المسلمون جميعهم لم يقات منهم
احد وقتل عقبة وابو المهاجر وكان في القيروان قيس بن زهير البلوى
خليفة عليها فأراد القتال فلم يطعه الجيش فاضطر الى مبارحة القيروان والمسير
الى برقة والمقام بها اما كسيلة فانه جاء القيروان وامتلكها وآمن من فيها
من اصحاب الانفال والذرارى من المسلمين واستولى على افريقية وسنمين
ما كان من امره بعد

وفاة يزيد

لاربعم عشرة خلت من شهر ربيع الاول سنة ٦٤ (١٠ نوفمبر سنة
٦٨٣) توفي يزيد بن معاوية بحوران من أرض الشام وسنه تسع وثلاثون
سنة ومدة خلافته ثلاث سنوات وثمانية أشهر واربعة عشر يوما

بيت يزيد

تزوج يزيد أم هاشم بنت عتبة بن ربيعة وكان له منها معاوية وخالد
ويكنى أبا هاشم وتزوج أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر وكان له منها
عبد الله وكان أرمي العرب وكان له من الاولاد عبد الله الاصغر وعمر وأبو
بكر وعتبة وحرب وعبد الرحمن لامهات اولاد شتى



المحاضرة الخامسة والنهون

معاوية الثاني — عبد الله بن الزبير — حال الشام — مروان الاول

عبد الملك — تغلبه على ابن الزبير وقتله — الحجاج بالعراق

معاوية الثاني — عبد الله بن الزبير

بعد موت يزيد كانت بيعتان احدهما بالشام لمعاوية بن يزيد والثانية بمكة والحجاز لعبد الله بن الزبير

فأما معاوية فكانت سنة احدى وعشرين سنة اختاره أهل الشام للخلافة بعد موت ابيه الا انه بعد قليل من خلافته نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد فاني قد ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجده فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجدهم فأنتم أولى بأمركم فاخياروا له من أحببتم) ثم دخل منزله وتغيب حتى مات بعد ثلاثة أشهر من خلافته هكذا فعل ذلك الشاب الضعيف حينما رأى عصا المسلمين منشقة ولم ير من نفسه القدرة على لم شعثها واصلاح أمرها

أما ابن الزبير فان يزيد مات وحصين بن نمير محاصر له وقد اشتد
الحصار عليه فجاءه الخبر قبل ان يصل لرئيس الجند المحاصر فناداه علام
تقاتلون وقد هلك طاغيتكم فلم يصدقوه ولما وصل الخبر الحصين بعث الى
ابن الزبير يريد محادثته فجاءه فكان فيما قال له أنت أحق بهذا الامر هلم
فلنبايعك ثم اخرج معنا الى الشام فان هذا الجند الذين معي هم وجوه الشام
وفرسانه فوالله لا يختلف عليك اثنان وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي
كانت بيننا وبينك وبين اهل الحرم فقال له انا لا أهدر الدماء والله لا أَرْضَى
أَنْ أَقْتُلَ بِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ عَشْرَةَ مِنْكُمْ وَأَخَذَ الْحَصِينَ يَكْلِمُهُ سِرًّا وَهُوَ يَجْهَرُ
وَيَقُولُ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ فَقَالَ لَهُ الْحَصِينُ قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ لَكَ رَأْيًا وَأَنَا أَكَلِمُكَ
سِرًّا وَتَكَلِّمُنِي جَهْرًا وَأَدْعُوكَ إِلَى الْخِلَافَةِ وَأَنْتَ لَا تَرِيدُ إِلَّا الْقَتْلَ وَالْهَلَاكَ
ثُمَّ فَارَقَهُ وَرَحَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ فَالشَّامُ فَوَصَلُوهَا وَقَدْ بُويعَ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ

هذا حال الشام لا امام فيه والحجاز فيه ابن الزبير . أما العراق فان
عبيد الله بن زياد لما بلغه نعى يزيد نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس
قال يا اهل البصرة ان مهاجرنا اليكم ودارنا فيكم ومولدى فيكم ولفدى
وليتكم وما يحصى ديوان مقاتلكم الاسبعين الفا ولقد أحصى اليوم مئة الف
وما كان يحصى ديوان عمالكم الا تسعين الفا ولقد أحصى اليوم مئة واربعين
الفا وما تركت لكم قاطبة من أخافه عليكم الا وهو في سجنكم وان يزيد
قد توفى واختلف الناس بالشام وأنتم اليوم اكثر الناس عدداً وأعرضهم
خناءً وأغنى عن الناس وأوسعهم بلاداً فاخhtarوا لانفسكم رجلاً ترضونه
لدينتكم وجماعتكم فأنا أول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على

رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيه فيما دخل المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على احد يليكم حتى تقضى حاجتكم فما بكم الى احد من اهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم : فقالوا له قد سمعنا مقاتلتك وما نعلم أحداً أقوى عليها منك فهاهم فلنبايعك فأبى عليهم ذلك ثلاثاً ثم بسط يده فبايعوه ثم انصرفوا عنه يمسحون أيديهم بالحيطان ويقولون أئظن ابن مرجانة أنا ننقاد له في الجماعة والفرقة ثم أرسل الى اهل الكوفة من يطلب بيعتهم له فأبوا عليه : ولما علم أهل البصرة بابائهم أظهروا النفرة منه وخاعوه ودعا بعضهم الى بيعه ابن الزبير فأجابه الى ذلك اكثرهم وضعف امر ابن زياد وخاف أهل البصرة على نفسه فاستجار بالحرث بن قيس الأزدي ثم بمسعود بن عمرو سيد الأزدي فأجراه حتى هرب الى الشام : واختار أهل البصرة واليًّا عليهم عبد الله بن الحرث بن نوفل الملقب ببينة فبايعوه وأقبلوا به الى دار الاماراء وذلك أول جمادى الآخرة سنة ٦٤ وكذلك اختار أهل الكوفة لهم أميراً وكتب أهل المصريين الى ابن الزبير بالبيعة فارسل لهم العمال من عنده : وكذلك دخل في بيعة ابن الزبير أهل مصر ولم يبق الا الشام

حال الشام

كان رأس بني أمية بالشام مروان بن الحكم : وكان أمير دمشق الضحاك بن قيس وكان هواه في ابن الزبير يدعوله وأمير حمص النعمان بن بشير وأمير قنسرين زفر بن الحارث الكلابي وهواهم كلهم في ابن الزبير يدعون له وكان أمير فلسطين حسان بن مالك السكابي وهواه في

بنى أمية وقد بايعه على الدعوة لهم أهل الاردن على شرط أن يجنبهم هذين
الغلامين عبد الله وخالداً ابني يزيد لأنهم قالوا انا نكره أن يأتينا الناس بشيخ
ونأتيهم بغلام فكتب حسان الى الضحاك بن قيس كتاباً يعظم فيه حق بني
أمية وحسن بلاهم عنده ويذم ابن الزبير وانه خلع خليفتين وأمره أن
يقرأ كتابه على الناس وكتب كتاباً آخر سامه لرسوله وقال له ان قرأ الضحاك
كتابي على الناس والا فقم واقرأ عليهم فلما ورد كتابه على الضحاك لم يقرأه
على الناس فقام رسول حسان وقرأ عليهم الكتاب فقال الوليد بن عتبة بن
أبي سفيان صدق حسان وقام غيره فقالوا مثل مقاله فأمر بهم حسان فحبسوا
ولكن عشائرتهم اخرجوهم من الحبس وكان الذين في دمشق فريقتين فقيس
تدعو الى ابن الزبير وكتب تدعو الى بني أمية

خرج الضحاك بمجموعه فنزل مرج راهط ودمشق بيده واجتمع بنو
أمية وحسان بالجابية فتشاوروا فيمن يلي أمر المسلمين واتفق رأيهم أخيراً على
تولية مروان بن الحكم فبايعوه لثلاث خلون من ذى القعدة سنة ٦٤

ولما تمت بيعته سار بالناس من الجابية الى مرج راهط وبه الضحاك بن
قيس ومن على رأيه واجتمع على مروان كلب وغسان والسكاسك والسكون
وكانت بين الفريقين مواقع هائلة عشرين ليلة في مرج راهط وكانت الغلبة
أخيراً لمروان فقتل الضحاك وقتل من قيس مقتلة عظيمة لم يقتل مثلها في
موطن قط وكانت الواقعة في المحرم سنة ٦٥ : ولما بلغ خبر الهزيمة النعمان
ابن بشير خرج من حمص هارباً فقبضه جماعة من اهلها فقتلوه : ولما بلغت
الهزيمة زفر بن الحارث بقنسرين هرب فلاحق بقرقيسيا وغلب عليها وتحصن

بها واجتمعت اليه قيس وقد صحبه في هزيمته شابان من بني سليم فجاءت
خيل مروان بطلبه فقال الشابان لفر أنج بنفسك فانا نحن نقتل فمضى
وتركهما فقتلا وقال زفر في ذلك

أرني سلاحي لا أبالك اني أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
اتاني عن مروان بالغيب أنه مقيد دمي أو قاطع من لساني
ففي العيس منجاة وفي الارض مهرب اذا نحن رفعنا لهن المشاي
فلا تحسبوني ان تغيب غافلا ولا تفرحوا ان جئتم بلقائنا
فقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كاهيا
أذهب كلب لم تنلها رماحنا وترك قتلي راهط هي ماهيا
لعمري لقد أبت وقيمة راهط لحسان صدعا بيننا متنايا
أبعد ابن عمرو وابن معن تتابعا ومقتل هام أمني الامانيا
فلم تر مني نبوة قبل هذه فرارى وتركى صاحبي ورائيا
عشية أعدو بالقران فلا أرى من الناس الا من على ولا ليا
ايذهب يوم واحد ان أسأته بصالح ايامي وحسن بلايا
فلا صالح حتى تنحط الخيل بالقنا وتثار من نسوان كلب نسايا
الا ليت شعري هل تصيين غارتي تنوخا وحيي طيء من شفايا
ولما تم الامر لمروان بالشام سار الى مصر فافتتحها وبايعه اهلها ثم عاد

الى دمشق فاقام بها

لم تطل مدة مروان في سلطانه فانه توفي في رمضان سنة ٦٥ وكان قد
عهد بالخلافة من بعده لابنيه عند الملك ثم عبد العزيز

ترجمة مروان

هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية وأمه آمنة بنت علقمة بن صفوان السكناني ولد في السنة الثانية من الهجرة وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح فنشأ مروان مسلماً وكان في عهد عثمان بن عفان كاتباً له ومديراً وولى لمعاوية المدينة جملة مرات ولما مات يزيد أوشك أن يذهب إلى ابن الزبير فبإياعه لولا عبد الله بن زياد فإنه أشار عليه أن يطلب الخلافة لنفسه لأنه شيخ بني أمية فاستشرف لها ووجد من ينصره على ذلك وتم له الأمر بعد وقعة مرج راهط وكان أمره في الشام ومصر لم يتجاوزها حتى مات وولى امرأته من بعده ابنه

عبد الملك

٥

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم ولد سنة ٢٦ هـ بالمدينة وأمه عائشة بنت معاوية بن الوليد بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية ولما شب كان عاقلاً حازماً أديباً ليلاً وكان معدوداً من فقهاء المدينة يقرن بسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وقال الشعبي ما ذا كرت أحداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك فاني ما ذا كرتة حديثاً الا زادني فيه ولا شعراً الا زادني فيه

ولى الخلافة بعد أبيه بعهد منه وكانت الحال في البلاد الاسلامية على غاية الاضطراب فان الحجاز به عبد الله بن الزبير وقد بايعه أهله وبلاد العراق أهلها ثلاث فرق زيرية قد بايعوا ابن الزبير ودخلوا في طاعته وشيعة تدعو الى آل البيت وخوارج وهم من عرفتم حديثهم قبل فتلقى الامر بقلب ثابت وعزيمة صادقة حتى دان الناس له واجتمعت الكلمة عليه

كان مروان قبل وفاته قد جهز جيشاً يقوده عبد الله بن زياد الى الجزيرة ومحاربة زفر بن الحارث بقرقيسيا واستعمله على كل مايفتحه فاذا

فرغ من الجزيرة توجه الى العراق وأخذه من ابن الزبير فاما كان بالجزيرة
بلغه موت مروان وأتاه كتاب عبد الملك يستعمله على ما استعمله عليه أبوه
ويحثه على المسير الى العراق فسار حتى اذا كان بعين الوردة قابلته جنود مقبلة
من العراق لم يبعثهم أمير ولكنهم خرجوا للمطالبة بدم الحسين وسموا
أنفسهم التوابين وهم جماعة من الشيعة ندموا على خذلانهم الحسين بن علي
ولم يروا أنهم يخرجون من هذا الذنب الا اذا قاموا للمطالبة بشاره وقتلوا
قتلته وكان رئيسهم كبير الشيعة بالكوفة سليمان بن صرد الخزاعي فما زالوا
يجمعون آلة الحرب ويدعون الناس سرّاً الى ما عزموا عليه حتى تم لهم ما
أرادوا سنة ٦٥ فخرجوا حتى اذا كانوا بعين الوردة قابلتهم جنود الشام فكان
بين الفريقين موقعة عظيمة قتل فيها سليمان بن صرد رئيس الشيعة ومعظم
من معه ونجا قليل منهم وكانوا نحواً من ستة آلاف ولما بلغ عبد الملك قتل
سليمان قام خطيباً في أهل الشام فقال ان الله قد أهلك من رعوس أهل العراق
ملقح فتنة ورأس ضلالة سليمان بن صرد ألا وان السيوف قد تركت رأس
المسيب خذاري ف وقد قتل الله منهم رأسين عظيمين ضالين مضلين عبد الله
ابن سعد الأزدي وعبد الله بن وال البكري ولم يبق بعدهم من عنده امتناع
بعد مقتل هؤلاء ثار بالكوفة رجل الفتنة الكبير المختار بن أبي عبيد
الثقفى وكان وثوبه بها رابع عشر ربيع الاول سنة ٦٦ فاخرج منها عامل ابن
الزبير وهو عبد الله بن مطيع وكان وثوبه باسم محمد بن الحنفية زاعماً أنه
هو الذي أرسله للاخذ بشار الحسين ولقبه بالامام المهدي وكان هذا التلقب
أول ظهور كلمة المهدي في عالم الوجود وكان يود أن يتبعه على رأيه ابراهيم

ابن الاشتر لقوة بطشه وسمو شرفه فأرسل اليه المختار من يهرض عليه ذلك
فقبل على شرط أن يكون هو ولي الامر فقالوا له ان المختار قد جاء من قبل
المهدي وهو المأمور بالقتال وقد أمرنا بطاعته فسكت ولما كان بعد ثلاث
توجه اليه المختار بكتاب مفتعل من ابن الحنفية الى ابن الاشتر يسأله فيه أن
يكون مع المختار وعنوان الكتاب (هذا كتاب من محمد المهدي الى ابراهيم
ابن مالك الاشتر) فقال ابراهيم قد كتبت الى ابن الحنفية قبل اليوم وكتب
الي فلم يكتب الا باسمه واسم ابيه قال المختار ذاك زمان وهذا زمان قال
ابن الاشتر فمن يعلم ان هذا كتابه فشهد جماعة ممن مع المختار انه كتابه
فتأخر ابراهيم عن صدر الفراش واجلس المختار عليه وبايعه واتفقوا على
الوثوب في التاريخ الذي بيناه. ولما حان الموعد وثبوا وغابوا على الكوفة
وكانوا ينادون يا ثارات الحسين وكانت بيعة أهل الكوفة على كتاب الله
وسنة رسوله والطالب بدماء أهل البيت وقتال المحلين والدفع عن الضعفاء
وقتل من قاتلنا وسلم من سلمنا ثم بعث العمال على امصار الكوفة وكان من
اهم الامور لديه انتخاب جيش يوجهه الى قتال ابن زياد الذي أرسله عبد الملك
لافتتاح العراق وقبل ذلك تتبع قتلة الحسين بالكوفة فقتلهم قتلا ذريعا ومنهم
عمر بن سعد وغيره ممن كان في ذلك البعث ثم دخلت في بيعته البصرة
وكان عمل المختار سبباً لتغيير ابن الزبير على محمد بن الحنفية ومن معه من
أهل بيته فدعاهم ليبايعوه فأبوا عليه فحبسهم فأرسل اليهم المختار من خلاصهم
من سجنه ثم خرج الى الشام نحو عبد الملك ولما وصل أيلة بداهه فعاد الى

مكة ونزل شعب أبي طالب فامرهم ابن الزبير بالرحيل فذهب الى الطائف واقام بها

ثم أن المختار تخير الجند لمحاربة ابن زياد وجعل قائدهم ابراهيم بن لاشتر فسار حتى التقى بجنود الشام على نهر الخازر فمكث بين الفريقين موقعة هائلة انتصر فيها ابن الاشتر وقتل عبيد الله بن زياد بعد ان ذهب من جند الشام عدد وافر قتلا وغرقا في نهر الخازر ولما انتهت الموقعة أرسل ابن الاشتر العمال الى البلاد الجزرية

بعد أن تم الامر للمختار ولى ابن الزبير أخاه مصعبا على البصرة فجاءها وصعد منبرها وقال للناس بعد أن حمد الله وأثنى عليه (طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليكم من نبي موسى وفرعون بالحق اقوموا منون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعة يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين) — وأشار نحو الشام — (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض — وأشار نحو الحجاز —) (ورى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) وأشار نحو الكوفة — وقال يا أهل البصرة بلغني أنكم تلقبون أمراءكم وقد لقبت نفسي بالجزار

وجاءه وهو بالبصرة أشرف من أهل الكوفة وثم الذين ليسوا راضين عن المختار وطلبوا منه أن يسير لتخليص الكوفة منه فجند مصعب جنداً عظيماً قاده بنفسه ومعه أشرف المصريين وسار نحو الكوفة فبلغ خبره المختار فانتدب له جنداً قابلاً مصعباً عند المذار وكان النصر لمصعب فانهزم

جند الكوفة فسار مصعب يتبعهم حتى وصل الكوفة. وقاتل بها أصحاب المختار حتى قهرهم وخرج المختار من القصر مستقتلاً فقتل وقتل جميع من كانوا معه بالقصر صبراً ومن غريب ما وقع أنهم قتلوا امرأة المختار عمرة بنت النعمان ابن بشير فقال في ذلك عمر بن أبي ربيعة

ان من أعجب العجائب عندي قتل بيضاء حرة عطبول
قتلت هكذا على غير جرم ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جبالذيول
وبذاك عاد أمر العراق لابن الزبير وكان الأمر بالشام ومصر لعب
الملك بن مروان فراد أن يجمع كلمة الناس عليه فتجهز لقصد العراق ولما أرا
الخروج ودع زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية فبكت فقال قاتل الله كثير
عزة لكانه يشدنا حيث يقول

اذ ما أراد الغزولم يشن همه حصان عليها عقد دريزنها
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت وبكى مما عناها قطيها
ثم سار عبد الملك الى العراق فبلغ خبره مصعباً فتجهز له وجعل على مقدمة
ابراهيم بن الاشتر فتقابل الجيشان بمسكن وكان كثير من أهل العراق الذين
كاتبوا عبد الملك وكاتبهم فكانت نياتهم فاسدة فلما حصلت الموقعة انهزم أهل
العراق وبقي مصعب مع قليل من الخاصين له فانشد

وان الالى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا
وما زال يقاتل حتى قتل ودخل عبد الملك الكوفة فوعد المحسن وتوعد
المسيء وولى على المصريين عمالا من قبله قال بعض الشعراء في مقتل مصعب

حتى أنه أن يقبل الضيم مصعب فأت كريمة لم تدم خلائقه
ولو شاء أعطى الضيم من رام هضمه فعاش ماوماً في الرجال طرائقه
والكن مضى والبرق يبرق خاله يشاوره مرأ ومرأ يعانقه
فولى كريمة لم تنله مذمة ولم يك وغدا تطيبه نمارقه
بذلك لم يبق خارجاً عن سلطان عبد الملك إلا الحجاز فوجهه وهو بالكوفة
جنداً إلى مكة يقوده الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال عبد الله بن الزبير
فسار إليه في جمادى الأولى سنة ٧٢ فلما وصل مكة حصر ابن الزبير بها ورماها
بالمجانيق ولم يزل الأمر على ذلك حتى اشتدت الحال على أهل مكة من
الحصار فتفرقوا عن ابن الزبير وخرجوا بالآمان إلى الحجاج وكان ممن فارقه
ابناه حمزة وحبيب ولما رأى ابن الزبير أنه لم يبق معه إلا قليل لا يغنون عنه
شيئاً دخل على أمه اسماء بنت أبي بكر فقال يا أماه خذني الناس حتى ولدي
وأهلي ولم يبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم
يعطونني ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت اعلم بنفسك إن كنت
تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن
من رقبتك يتلعب بها غلمان بني أمية وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس
العبد أنت أهلك نفسك ومن قتل معك وإن قتلت كنت على حق فلما
أدهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين كم خلودك
في الدنيا القتل أحسن فقال :

يا أماه اخاف أن قتلتني أهل الشام أن يمشوا بي ويصلبوني : قالت يا بني
إن الشاة لا تتألم بالسائح فامض على بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال

هذا رأيي والذي خرجت به دائماً الى يومي هذا ما ركنت الى الدنيا ولا
احببت الحياة فيها وما دعاني الى الخروج الا الغضب لله وان تستحل حرمااته
ولكنني احببت ان اعلم رأيك فقد زدني بصيرة فانظري يا اماء فاني مقتول
يومي هذا فلا يشتد حزنك وسلمي الامر الى الله فان ابنك لم يتعهد ايثار
منكر ولا عمل بفاحشة ولم يجر في حكم الله ولم يغدر في امان ولم يتعهد ظلم
مسلم او معاهد ولم يباغى ظلم عن عمالي فرضيت به بل انكرته ولم يكن
شيء اثر عندي من رضا ربي. اللهم لا اقول هذا تزكية لنفسي ولكني اقوله
تعزية لامي حتى تساو عني فقالت امه لا رجوا ان يكون عزائي فيك جميلا
ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررت بظفرك اخرج حتى انظر الى
ما يصير اليه امرك فقال جزاك الله خيرا فلا تدعى الدعاء لي قالت لا ادعه
لك ابداً فمن قتل على باطل فقد قتل على حق ثم خرج فقاتل حتى قتل
وكانت سنه ثلاثاً وسبعين سنة وبعد قتله صلبت جثته ثم انزلت بأمر
من عبد الملك

مكث ابن الزبير خليفة بالحجاز تسع سنين لانه بويعه له سنة ٦٤ وبقتل
ابن الزبير صفا الامر لعبد الملك في جميع الامصار الاسلامية واجتمعت
عليه السكامة وبقي الحجاج واليا على مكة والمدينة حتى سنة ٧٥
وفيهما عزله عبد الملك عنهما وولاة العراقيين فسار الى الكوفة في اثني
عشر راكبا على النجائب حتى دخلها فبدأ بالمسجد فصعد المنبر وهو متاثم بعمامة
خز حمراء فاجمع اليه الناس وهو ساكت قد اطل السكوت حتى اراد بعضهم ان
يخصبه ثم كسف اللثام عن وجهه وقال

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني
يا أهل الكوفة انى لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها وانى لصاحبها
وكانى انظر الى الدماء بين العمام والاحي ثم قال
هذا أوان الشد فاشتدى زيم (١) قد لفها الليل بسواق حطم (٢)
وليس براعى ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم (٣)
ثم قال

قد لفها الليل بعصاي (٤) اروح (٥) خراج من الذوى (٦)
مهاجر ليس باعرابى
وقال

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا
والقوس فيها وتر عرد (٧) مثل ذراع البكر أو أشد
لا بد مما ليس منه بد

(١) يعنى فرسا او ناقة

(٢) الحطم الذى لا يبق من السير شيئا

(٣) الوضم كل ما قطع عليه اللحم

(٤) الشديد

(٥) ذكى

(٦) الصحرء الواسعة التى تسمع بها دوى بالليل ويريد بها الغمام الشديدة

(٧) شديد

اني والله يا أهل العراق ما يعمق لي بالشنان (١) ولا يغمز جاني
كسبحان التين ولقد فررت عن ذكاء (٢) وفقتت عن تجربة وان أمير
المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم (٣) عيدانها فوجدني
أمرها عوداً وأصلبها مكسراً فرماكم بي لانكم طالما أوضعتم (٤) في الفتنة
واضطجعت في مراقد الضلال والله لا حزنكم حزم السلامة ولا ضربكم
ضرب غرائب الابل فانكم لكالأهل قرية (كانت آمنة مطمئنة يا أيها رزقها
رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
كانوا يصنعون) واني والله ما أقول الا وفتت ولا أهم الا مضيت ولا أخلق
الا فريت وأن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة
عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة واني أقسم بالله لا أجد رجلاً تخلف بعد
أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه . يا غلام اقرأ عليهم كتاب أمير
المؤمنين فقراً :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين الى من
بالكوفة من المسلمين سلام عليكم فلم يقل أحد شيئاً فقال الحاج أ كفف
يا غلام ثم أقبل على الناس فقال أسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردوا عليه شيئاً
«١» واحدها شن وهو الجلد اليابس فاذا ضرب به نفرت الابل فضرِب
ذلك مثلاً لنفسه

«٢» الذكاء حدة القلب

«٣» مضغها لينظر ايها اصحاب

«٤» الايضاع ضرب من السير

هذا ادب ابن نهيه (١) أما والله لأودبكم غير هذا الادب أو لتستقيم من اقرأ
يا غلام كتاب أمير المؤمنين فلما بلغ الى قوله سلام عليكم فلم يبق احد
في المسجد الا قال على أمير المؤمنين السلام ثم نزل فوضع للناس أعطياتهم
فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يرعش كبراً فقال أيها الأمير اني من الضعف
على ما ترى ولي ابن هو أقوى على الاسفار مني فتقبله بدلاً عنى فقال الحجاج
نفعل أيها الشيخ فلما ولي قال قائل أتدرى من هذا أيها الأمير قال لا قال هذا
عمير بن ضابى البرجمي الذي يقول ابوه

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكى حلاله
ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فكسر ضلعين من اضلاعه فقال ردوه
فلما رد قال أيها الشيخ هلا بعثت الى أمير المؤمنين عثمان بدلاً يوم الدار ان في
قتلك أيها الشيخ صلاحاً للمسلمين يا جرسى اضربن عنقه فجعل الرجل يضيق
عليه أمره فيرتحل ويامر وليه أن يلحقه بزاده ففي ذلك يقول عبد الله بن
الزبير الاسدي

تجهز فاما ان تزور ابن ضابى عميراً واما ان تزور المهبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما ركوبك حوليا من الشايج اشهبها
فاضحى ولو كانت خراسان دونه راها مكان السوق أو هي اقربا
من هذه الخطبة وما تلاها تتبين خطة الحجاج التي اراد ان يسوس بها
اهل العراق وهي خطة العسف والجور التي قدمنا انها لاتصلح امة اصلاحا
حقيقيا ابداً وانما تضع على الرجل غطاء لا يلبث البخار ان يقتلعه ويطير به

وتتبعين حال اهل العراق وسكونهم الى هذه الذلة يجيئهم الحجاج في بضعة عشر راكباً وفيهم الاشراف والرؤساء فيخطبهم هذه الخطبة ويتوعدهم بالمصائب وهم ساكنون لا يرد احد منهم عليه قولاً ويوبخهم على ترك السلام على امير المؤمنين فيستكبنون ويخضعون وهم هم الذين فتحوا ابواب الشور ومعه هذا فيظهر مما سنقصه عليكم ان هذا الخضوع وقتي

وبعد ذلك ذهب الى البصرة فخطب فيها خطبة تشابه خطبته بالكوفة فاتى برجل يشكرى فقال ايها الامير ان بي فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائي مردود في بيت المال فلم يقبل منه وقتله ففزع لذلك اهل البصرة فيخرجوا حتى تداركوا على العارض بقنطرة رامهرمز وخرج الحجاج حتى نزل رستفابان في اول شعبان سنة ٧٥ ومعه وجود اهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ١٨ فرساً خافقاً في الناس فقال ان الزيادة التي زادتكم بها ابن الزبير في اعطياتكم لست اجيزها فقام اليه عبد الله بن الجارود العبدى وقال انها ليست بزيادة ابن الزبير ولكنها زيادة امير المؤمنين عبد الملك اثبتها لنا فكذبه وتوعد فخرج عليه ابن الجارود وتابعه وجوه الناس فقاتله الحجاج حتى قتله وقتل جماعة من اصحابه وبعث برؤوسهم الى المهلب وهو يقاتل الخوارج وانصرف الى البصرة

في سنة ٧٩ ولى الحجاج عبيد الله بن أبي بكر سجستان ففازا تديلاً وقد كان مصالماً وقد كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً وربما امتنع فلم يفعل فبعث الحجاج الى ابن أبي بكر يأمره بغزوه فتوغلوا في بلاده فاصيبوا وهلك معظمهم ونجا اقلهم فرأى الحجاج ان يجهز اليهم جنداً كشيء فجهر عشرين الفا من

البصرة ومثلهم من الكوفة وجد في ذلك وشمر واعطي الناس اعطياتهم
كثلا واخذهم بالخيول الروائع والسلاح الكامل واستعرض الناس ولا يرى رجلا
تذكر منه شجاعة الا احسن معونته ولما استتب أمر ذينك الجندين ولى عليهم
عبد الرحمن بن الاشعث فسار حتى قدم سجستان فصعد منبرها وقال ايها
الناس ان الامير الحجاج ولاني ثغركم وامرني بجهاد عدوكم الذي استباح
بلادكم وابدأ خياركم فاياكم ان يتخلف منكم رجل فيحل بنفسه العقوبة اخرجوا
الي معسكركم فمعسكروا به مع الناس . فمعسكر الناس في معسكرهم ووضعت
هم الاسواق واخذ الناس بالجهاز والهيئة لآلة الحرب ثم سار حتى دخل اول
بلاد رتييل وصار كلما حوى بلداً بعث اليه عاملاً وبعث معه اعواناً ووضع البرد
فيما بين كل بلد وبلد وجعل الارصاد على العقاب والشعاب ووضع المسالح بكل
مكان مخوف حتى اذا حاز من ارضه أرضاً عظيمة وملاً يديه من الغنائم حبس
الناس عن الوجود في أرض رتييل وقال نسكتفي بما أصبناه العام من بلادهم
حتى نجيبها ونعرفها ويجتريء المسلمون على طرقها ثم نتعاطي في العام المقبل
ما وراءها ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من ارضهم حتى تقاتلهم آخر
ذلك على كنوزهم وذرايرهم وفي أقصى بلادهم وممتنع حصونهم ثم لا نزال
بلادهم حتى يهاكم الله وكتب الي الحجاج بما كان برأيه فكتب اليه الحجاج
أما بعد فان كتابك أتاني وفهمت ما ذكرت فيه وكتابك كتاب امرى يحب
الهدنة ويستريح الي الموائد قد صانع عدواً قليلاً قليلاً قد أصابوا من المسلمين
جنداً كان بلاؤهم حسناً وغنائمهم في الاسلام عظيماً لعمر ك يا ابن أم عبد الرحمن
أنك حيث تكف عن ذلك العدو بجندى وحيدى لسخي النفس عمن أصيب

من المسلمين انى لم أعدد رأيك الذى زعمت أنك رأيته رأى مكيدة ولكنى
رأيت أنه لم يملك عليه الا ضعفك والتيات رأيك فامض لما أمرتك به من
الوغول في أرضهم والهدم لخصونهم وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم وقال في
كتاب آخر ان لم تفعل فان اسحاق بن محمد أخاك أمير الناس نخله وما وليته
فاما جاءه هذا الكتاب جمع الناس وأخبرهم بما جاء من عند الحجاج واستشارهم
أيمضى أم يخالف فزينوا له المخالفة واستقر امرهم على عصيان الحجاج وخلفه
فخلعوه وبايعوا على ذلك عبد الرحمن فبعث الى رتبيل فصالحه وعاد من
سجستان الى العراق مصمما على منازلة الحجاج ونفيه من العراق وبين يديه
اعشى همدان يقول

شطت نوى من داره بالايوان	ايوان كسرى ذى القرى، والزبحان
من عاشق امسى بزا بلستان	ان ثقيفا منهم الكدبان
كذابها الماضى وكذاب ثان	امكن ربي من ثقيف همدان
يوما الى الليل يسلى ما كان	انا سمونا للكفور الفستان
حين طغى بالكفر بعد الايمان	بالسيد الغطريف عبد الرحمن
سار يجمع كالدبيء من قحطان	ومن معه قد انى ابن عدنان
بجحفل جم شديد الارنان	فقلل الحجاج ولى الشيطان
يثبت لجمع مذحج وهمدان	فانهم ساقوه كاس الذيفان

وما جقوه بقرى ابن مروان

ولما دخل الناس فارس قال بعضهم لبعض اذا خلعنا الحجاج فقد خلعنا
عبد الملك فخلعوه وبايعوا عبد الرحمن على كتاب الله وسنته وخام أئمة الضلالة

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرت
 غداة طفت علماء بكرين وائل
 وكان لعبد القيس أول جدها
 وظلت شيوخ الازد في حومة الوغ
 فلم أر يوماً كان أكثر مقمصا
 وضاربة خدأ كريماً على فني
 أصيب بدولاب ولم تك موطناً
 فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا
 رأيت فتية باعوا الاله نفوسهم
 بجنات عدن عنده ونعيم

ولما بلغ خبر تلك الهزيمة أهل البصرة فزعوا ولم يروا لأمر الخوارج إلا
 المهلب بن أبي صفرة فعرضوا عليه ذلك فرضى بشرط أن يكون له ولاية
 ما غلب عليه وأن يعطى من بيت المال ما يقوي به من معه وأن ينتخب من
 فرسان الناس ووجوههم وذوى الشرف من أحب أجابوه إلى ما شرط فانتخب
 الناس وسار اليهم وكانوا قد قربوا من البصرة فصار يزكهم عندها مرحلة بعد مرحلة
 حتى انتهوا إلى منزل من الأهواز يقال له صلى وسلمبري فأقاموا به وأقبل المهلب
 يخنوده فاقتتلواهم والخوارج حتى كاد أهل البصرة ينهزمون لولا ثبات المهلب
 وقوة جأشه فان ذلك قوام حتى قتل أمير الخوارج عبيد بن الماحوز وانهزموا
 هزيمة منكرة فارتفعوا إلى كرمان وجانب أصفهان . وكتب المهلب إلى أمير
 البصرة من قبل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . بسم الله الرحمن الرحيم
 أما بعد فانا قد اقمنا الازارقة المارقة بمجد وجد فكانت للناس جولة ثم تاب

أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب
الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا درة رماحنا وضرائب
سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة
كأولها والسلام فكتب إليه الحارث : قد قرأت كتابك يا أخا الأزد فقرأيتك
قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها وذخر لك ثواب الآخرة إن شاء الله
وأجرها ورأيتك أوثق حصون المسامين وهادم أركان المشركين وأخا السياسة
والرياسة فاستمد الله بشكره يتم عليك نعمه والسلام فلما قرأ المهلب كتابه ضحك
ثم قال أما تظنونني يعرفني إلا بأخ الأزد . ما أهل مكة إلا أعرب ولم يزل
المهلب يطارد الخوارج مدة الحارث بن عبد الله . فلما ولي مصعب العراق
استقدم المهلب وأمره أن يستخلف ابنه المغيرة وقد ولي مصعب المهلب على الموصل
وولي على حرب الخوارج عمر بن عبيد الله بن معمر والخوارج بار جان وعليهم
الزير بن علي السليطي فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها
فألحقهم بأصبهان فجمعوا له واعدوا واستعدوا : ثم اتوا سابور فسار اليهم ونزل
قريبا منهم فقال له مالك بن حسان ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات
ويرتقب الغفلة وهو على بعد المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك
اتراك تموت قبل اجلاك فاقام هناك وفي ذات ليلة بيته الخوارج فلم يظفروا
منه بشيء فقال للمالك كيف رأيت قال قد سلم الله ولم يكونوا يطعمون من
المهلب بمثلها فقال اما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت ان انفي
هذا العدو ولكنكم تقولون قرشي حجازي بعيد الدار خير ما غيرنا فتقاتلون معي
تمذيرا ثم زحف الى الخوارج فقاتلهم قتالا شديدا حتى انهزموا وقتل في

الموقعة ابنه عبيد الله فكتب الى مصعب . أما بعد فاني قد لقيت الازارقة
فرزق الله عبيد الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر
فتفرقوا شذر مذر وبلغتني عنهم عودة فيممتهم وبالله استعين وعليه اتوكل :
ثم سار اليهم وكانوا قد عادوا الى فارس فارسل عليهم حتى أخرجهم الى أصفهان
فأقاموا برهة ثم عادوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر الى أصطخر : وما زالوا
يروحون ويغدرون ويعيشون في الارض فساداً فشاور مصعب الناس فاجمعوا
رأيهم على إعادة المهلب الى حربهم وكانوا قد ولوا أمرهم قطري بن الفجاءة
المازني فخرج اليهم المهلب ولما أحس به قطري يعم نحو كرمان فأقام المهلب
بالاهواز ولما استعد الخوارج كروا عليه فحاربهم المهلب ونفاهم الى رامهرمز
وفي تلك الاونة قتل مصعب بن الزبير في حربه مع عبد الملك فبلغ الخبر
الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وجند فناداهم الخوارج ماذا تقولون في مصعب
قالوا امام هدى قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا ضال مضل . ولما كان بعد
يومين أتى المهلب الخبر فبايع الناس لعبد الملك فناداهم الخوارج ما تقولون في
مصعب فسكتوا قالوا فما تقولون في عبد الملك قالوا امام هدى فقال الخوارج
يا أعداء الله بالامس ضال مضل واليوم امام هدى يا عبيد الدنيا عليكم
لعنة الله

ولى عبد الملك علي البصرة خالد بن عبد الله بن أسيد فاراد عزل
المهلب فاشير عليه أن لا يفعل وقيل له إنما أمن أهل هذا المصر بان
المهلب بالاهواز وعمر بن عبيد الله بفارس فإذا نحيت المهلب لم تأمن على
البصرة فابى الا عزله وولى حرب الخوارج أخاه عبد العزيز بن عبد الله فسار.

اليهم حتى قابلهم بدار مجرد فهزموه هزيمة منكورة ولما بلغ ذلك خالد كتب الى عبد الملك به فكتب اليه عبد الملك أما بعد فقد قدم رسواك بكتابك تلمني فيه بعثتك أخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل وسألت رسواك عن مكان المهلب فحدثني انه عامل لك على الاهواز فقبح الله رأيك حين تبعث أخاك اعرابيا من أهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك يجي الخراج وهو الميمون النقيبة الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها بنها وابن أبنائها أنظر أن ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر أن يمدك بجيش من أهل الكوفة فاذا أنت لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأى حتى تحضره المهلب وتستشير فيه ان شاء الله . فشق عليه أن فيل رأيه في بعثه أخيه وترك المهلب وفي أنه لم يرض رأيه خالصا حتى قال أحضره المهلب واستشره فيه وكتب عبد الملك الى أخيه بشراً مير الكوفة ان يمدهم بالجنود فاختر لهم خمسة آلاف عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وخرج خالد بأهل البصرة حتى جاء الاهواز فاجتمع الجندان على الخوارج فرأوا ما هالهم فانصرفوا منهزمين كأنهم على حامية واتبعهم خالد داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ومدهم بشرب أربعة آلاف من أهل الكوفة فاتبعوا القوم حتى نفقت خيول عامتهم وأصابهم الجهد والجوع ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة الى الاهواز

وفي ذلك الوقت خرج بالبحرين أبو فديك الخارجي فغلب على البحرين وقتل نجدة بن عامر الحنفي فاجتمع على خالد بن عبد الله نزول قطري الاهواز وأمر أبي فديك فبعث أخاه أمية بن عبد الله على جند كثيف الى أبي فديك فانهزم

ولما رأى عبد الملك ذلك عزل خالدًا وولى أخاه بشرًا مكانه وكتب إليه أما بعد
فابعث المهلب في أهل مصر إلى الأزارقة ولينتخب من أهل مصره وجوهرهم
وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم فإنه أعرف بهم وخله ورأيه في الحرب فأنى
أوثق شيء بتجربته ونصيحته المساهين وابعث من أهل الكوفة بعثًا كشيفاء وابعث
عليهم رجلا معروفاً شريفاً حسيباً صلياً يعرف بالبأس والنجدة والتجربة لا حرب ثم
أنهض إليهم أهل المصرين فليتبعضوهم أي وجه ما توجهوا حتى يبيد هم الله ويستأصلهم
والسلام عليك. فدعا بشر المهلب فقرأه كتاب عبد الملك وأمره أن ينتخب من شاء
وشق على بشر أن امرأة المهلب جاءت من قبل عبد الملك فلا يستطيع أن يبعث غيره
فاوغرت صدره عليه حتى كأنه كان إليه ذنب ثم دعا عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على
أهل الكوفة وقال له أنك قد عرفت منزلتك مني وأثرتك عندي وقد رايت أن
أوليك هذا الجيش الذي عرفت من جزئك وغنائك وشرفك وبأسك فكن عند
حسن ظني بك انظر إلى هذا الكذا والكذا يقع في المهلب فاستبد عليه بالامر ولا
تقبلن له مشورة ولا رأياً وتنقصه وقصر به — فترك أن يوصيه بالجند وقتال
العدو والنظر إلى أهل الإسلام وأقبل يغريه بابن عمه كأنه من السفهاء أو ممن
يستصبي ويستجهل . وهكذا في كل زمان وفي كل أمة من يدوس المصالح
العامة أرضاء لشهواته النفسية وأهوائه الفاسدة ولا تهمة إلا متهمة تسعدت أو شقيت .
رجل يكره رجلاً فبال مصالح الناس وعامة المساهين تكون ميدان الانتقام أن هذا
لبلاء عظيم نسأل الله الخ لاص منه خرج الجيشان حتى وصلارا مهران وبها الخوارج
قتلوا عى العسكران ولم يلبث الناس الا عشر أعاشي باخهم نعي بشر بن مروان
وتوفي بالبصرة فارفض ناس كثير من أهل البصرة والكوفة فجاءهم كتاب من

خليفة بشر على البصرة وهو خالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد يأمرهم فيه بالعودة ويحذرهم العصيان والمخالفة وسطوة عبد الملك فلم يجد ذلك فيهم نفعا حتي جاء عم الاسد المصور الحجاج بن يوسف فأخذهم أخذاً عنيفاً ووجههم الى المهلب مقهورين كما عامتهم ذلك من تاريخ دخوله البصرة والكوفة فلما تتابع مسير الجنود الى المهلب وابن مخنف ناهضوا لاراقه حتى أجلوهم عن راسهم فزاروا الى كازرون بسابور وعلى أثرهم الجندان : كان المهلب يخندق دأماً على جنده كلما واجه الخوارج وقد أمر بذلك ابن مخنف فأبى فبيته الخوارج فهزموا جنده وقتلوه وأقام المهلب بسابور يقاتلهم نحواً من سنة

ثم أنه زاحفهم يوم البستان فقاتلهم قتالا شديدا وكانت كرمان في أيدي الخوارج وفارس في يد المهلب فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذي هم به لا يأتيتهم من فارس مادة فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بحيرفت وهي مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديدا وحازهم عن فارس كلها فبعث اليه الحجاج مع البراء بن قبيصة كتابا يقول فيه : أما بعد فانك والله لو شئت فيما أرى لقد اصططمت هذه الخارجة المارقة ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الارض حولك : وقد بعثت اليك البراء ابن قبيصة لينهضك اليهم فانهض اليهم اذا قدم عليك بجميع المسلمين ثم جاهدهم أشد الجهاد واياك والعلل والباطيل والامور التي ليست لك عندي بسائغة ولا جائزة والسلام فأخرج المهلب بنيه كل ابن في كتيبة وأخرج الناس وجاء البراء فوقف على تل قريب منهم حيث يراهم فاخذت

الكتائب تحمل على الكتائب والرجال على الرجال فيقتلون أشد قتال
الناس من صلاة الغداة الى انتصاف النهار . ثم انصرفوا بجاء البراء بن قبيصة
الى المهلب فقال لا والله ما رأيت كبنيتك فرسانا قط ولا كفرسانك من
فرسان العرب فرسانا قط ولا رأيت مثل قوم يقاتلونك اصبر ولا أباس
أنت والله المعذور فرجع بالناس المهلب حتى اذا كان عند العصر خرج اليهم
بالناس وبنيه في كتائبهم فقاتلوهم كقتالهم أول مرة فانصرف البراء الى الحجاج
فأخبره الخبر على جليته ثم استمر المهلب يقاتلهم ثمانية عشر شهراً لا يقدر
عنهم على شيء

حدث في معسكر الخوارج أمر لم يكن لهم في حسابان ذلك أن رجلاً
من فرسانهم يقال له المقطر قتل رجلاً كان ذا بأس من الخوارج فطلبوا
من قطري أن يملكهم من القاتل ليقتلوه قصاصاً فقال لهم ما أرى أن أفعل
رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه وهو من ذوى الفضل منكم
والسابقة فيكم فوقع بينهم اختلاف فخلعوا قطرياً وولوا عبد ربه الكبير
وبقى على بيعة قطري منهم عصاة فقاتل بعضهم بعضاً وكان من رأى
الحجاج أن يناهضهم في وقت اختلافهم ولم يكن ذلك من رأى المهلب فتركه
الحجاج ورأيه : استمر الخوارج يقتتلون نحواً من شهر ثم أن قطرياً خرج
من اتبعه نحو طبرستان وبايع عامتهم عبد ربه الكبير فناهضهم المهلب حتى
قتلهم فلم ينج منهم الا قليل واخذ عسكرهم وما فيه وسبوا لانهم كانوا
يسبون المسلمين : ولعكب الاشفري قصيدة طويلة يذكر يوم رامهرمز
هو أيام سابور هو أيام جيرفت وأولها

يا حفص انى عدانى عنكم السفر وقد سهرت فأودى نوى السهر
وهي من غرر الشعر العربى وقد أنشدها بين يدى الحجاج فقال له اشاعر
أنت ام خطيب قال كلاهما فقال له أخبرنى عن بنى المهلب قال المغيرة فارسهم
وسيدهم وكفى يزيد فارساً شجاعاً وجوادهم وسخيتهم قبيصة ولا يستحي
الشجاع ان يفر من مدرك وعبد الملك سم نافع وحبيب موت زعاف ومحمد
ليث غاب وكفاك بالفضل نجدة قال فكيف خلقت جماعة الناس قال بخير
أدركوا ما أملوا وامنوا ما خوفوا قال فكيف بنوا المهلب فيكم قال كانوا
جماعة السرح نهاراً فاذا ألبوا ففرسان البيات قال فأيهم كان انجد قال كانوا
كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها قال فكيف كنتم انتم وعدوكم قال كنا
اذا اخذنا عفونا واذا اخذوا يئسنا منهم واذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم
فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف افلتكم قطرى قال كدناه ببعض ما كادنا
فصرنا منه الى الذى تحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحد عندنا أثر من
الفل قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد
وله منا بر الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الامن وشملهم النفل
قال اكننت اعددت لى هذا الحواب قاله لا يعلم الغيب الا الله فقال هكذا
تكون والله الرجال المهلب كان اعلم بك حيث وجهك وكان كتاب المهلب
الى الحجاج الحمد لله الكافى بالاسلام فقد ما سواه الذى حكم بأن لا ينقطع
المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباد ما بعد فقد كان من امرنا ما قد بلغك
وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم اكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا
اكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان تمكن أمرهم حتى ارتاعت له

الفتاة ونوم به الرضيع فانتبهت منهم الفرضه في وقت امكانها وأدبت السواد من
السواد حتى تعانقت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله (فقطعت دابر
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) : فكتب اليه الحجاج اما بعد فقد فعل
الله عز وجل بالمسلمين خيراً واراھم من حد الجهاد فكنت اعلم بمن قبلك
والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابي فاقسم في الناس فيئهم على قدر
بلائهم وفضل من رايك تفضيلاً وان كانت بقيت من القوم بقية فخلف
خيلاً تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وول الخيل شهماً من
ولئك ولا ترخص لاحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم على . وعجل
القدوم ان شاء الله . فولى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال يا بني انك اليوم لست
كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج وان يحتمل لك الا على
ما احتمل عليه ابوك : فأحسن الى من معك وان انكرت من انسان
شيئاً فوجهه الى وتفضل على قومك ووفد المهلب على الحجاج فأجلسه الى
جانبه واظهر اكرامه وبره وقال يا اهل العراق انكم عبيد المهلب ثم قال أنت
والله كما قال اقيط الايادي

وقلدوا امرکم الله درکم	رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه	هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
لا مترفا ان رخاء العيش ساعده	ولا اذا عض مكروه به خشعا
ما زال يحلب هذا الدهر أشطره	يكون متبعاً طوراً ومتبعاً
حتى استمرت على شرر مزيرته	مستحکم الرأي لا قحماً ولا ضرعاً (١)

فقام اليه رجل فقال أصليح الله الامير والله لكأنني أسمع الساعة قطرها
وهو يقول المهلب كما لقيط الايادي ثم أنشد الشعر فسر الحجاج حتى امتلا
سروراً فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولكن دمع الله الباطل
وقهرت الجماعة الفتنة والعاقبة للمتقين وكان ما كرهناه من المطاولة خيراً مما
أحببناه من العجلة فقال له الحجاج اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم
فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخّر الله لكم خير لكم
من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البلاء وتفاضلهم
في الغناء وقدم بنيه وقال انه والله لو تقدمهم أحد في البلاء لقدمته عليهم ولو لا
أن أظلمهم لأخرتهم : قال الحجاج صدقت وما أنت باعلمهم مني وغبت عنهم
لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبي صفرة وأشباهه :
فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنا فقال المهلب هذا فارس
العرب فقال الرقاد ايها الامير اني كنت اقاتل مع غير المهلب فكننت كبعض
الناس فلما صرت مع من يلزمني الصبر وبجعتني أسوة نفسه وولده ويجازيني
على البلاء صرت أنا واصحابي فرسانا فامر الحجاج بتفضيل قوم على قدر بلائهم
وزاد ولد المهلب الفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيهاً بذلك : قال المغيرة بن
حبينة من اصحاب المهلب :

اني أمرؤا كفني ربي وأكرمني	عن الامور التي في رعيها وخم
وانما أنا انسان أعيش كما	عاشت رجال وعاشت قبلها ام
ماعتني عن قفول الجند اذ قفلوا	عني بما صنعوا عجز ولا بكم

ولو أردت قفولا ما تجهمني اذن الامير ولا الكتاب اذرقوا
 ان المهلب ان اشتق لرؤيته أو امتدحه فان الناس قد علموا
 ان الاريب الذي ترجى نوافله والمستعان الذي تجلى به الظلم
 القائل الفاعل الميمون طائره أبو سعيد اذا ما عدت النعم
 ازمان ازمان اذ عض الحديد بهم واذا تمنى رجال انهم هزموا
 وقد أرسلت بعد ذلك جنود لتتبع قطري فاحقوه بشعاب طبرستان
 فقاتلوه حتى تفرق عنه أصحابه ووقع عن دابته في اسفل الشعب فتدهدى
 حتى خر الى أسفله فقتل ثم ساروا حتى لحقوا بقيتهم فاصروهم في قصر
 قومس حتى جهدوا ثم خرجوا فقاتلوه حتى قتلوا وكان ذلك سنة ٧٧
 وبذلك انتهى أمر الازارقة بعد أن ذاق الناس منهم مر الحرب وشغلوا
 المسلمين عن مصالحهم مدة عن الزمن من غير نتيجة

وممن له ذكر من الخوارج و ليس من الازارقة صالح بن مسرح التميمي
 ورفيقه شبيب بن يزيد كان صالح رجلا ناسكا مخبئا مصفرا الوجه صاحب
 عبادة وكان بدارا من أرض الموصل والجزيرة له أصحاب يقرئهم القرآن
 ويفقههم ويقص عليهم فقال لهم ذات يوم ما أدرى ما تنتظرون وحتى متى
 انتم مقيمون هذا الجور قد فشا وهذا العدل قد عفا ولا ترداد هذه الولاية
 على الناس الا علوا وعتوا وتباعدا عن الحق وجرأة على الرب فاستعدوا
 وابتعثوا الى اخوانكم الذين يريدون من انكار الباطل والدعاء إلى الحق
 مثل الذي تريدون فيأتونكم فنلتقى وننظر فيما نحن صانعون وفي أي وقت
 ان خرجنا نحن خارجون فتراسلوا وأرسل شبيب إلى صالح يستنهضه

للخروج وقدم عليه فاتعدوا أن يخرجوا في هلال صفر ليلة الاربعاء سنة ٧٦
وقال صالح لمن معه اتقوا الله عباد الله ولا توجلوا إلى قتال أحد من الناس
الا أن يكونوا قوما يريدونكم وينصبون لكم فانكم إنما خرجتم غضبا لله
حيث انتهكت محارمه وعصى في الارض فسفكت الدماء بغير حلها وأخذت
الاموال بغير حقها فلا تعيبوا على قوم اعمالا ثم تعملوا بها فان كل ما انتم
عاملون انتم عنه مسئولون . ثم اقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلا وتحصن
منهم اهل دارا ونصيبين ومن جارفبلغ امير الجزيرة محمد بن مروان نخرجهم
فبعث اليهم جنداً عدتهم ألف رجل فهزمهم الخوارج من غير كبير قتال ثم
بعث جنداً آخر عدته ثلاثة آلاف فأشجوا الخوارج حتى تركوا مكانهم
وساروا فقطعوا ارض الجزيرة ودخلوا ارض الموصل فقطعوها ومضوا حتى
قطعوا الدسكرة فأرسل اليهم الحجاج جنداً عدته ثلاثة آلاف فقاتلهم الخوارج
حتى قتل اميرهم صالح بن مسرح فجمعهم شبيب وبايعوه وساروا من
موقفهم حتى نزلوا المدائن

وما زالوا ينتقلون من جهة الى أخرى والجند يرسل اليهم تلو الجند
قيهمون جنود الحجاج وهم في عدد لا يتجاوز المئتين عدا وأخيرا جاء شبيب
فدخل الكوفة فبهرأب سلطان الحجاج وعائوا فيها فساداً وقتلوا من أهاليها
جماعة والحجاج بقصر الكوفة فدعا الناس الى اخراجهم فاجتمع اليه القواد
ولما رأى ذلك شبيب ترك الكوفة وخرج فسارت الجنود وراءه لكنها
لم تنل منه منالا وهو في كل مرة يهزمها حتى استغاث الحجاج بعبد الملك
وأخبره بعجز اهل الكوفة عن قتال الخوارج وطلب اليه أن يرسل اليه

جنداً من أهل الشام فوجه اليه أربعة آلاف ووجه الحجاج اليهم نحو من
خمسين ألفاً من الكوفة وكان جيش شبيب قد بلغ ألفاً ومن الغريب ان
الألف هزمت الخمسين : وكان لشبيب بعد ذلك رحلة ثانية الى الكوفة
فبنى بها مسجداً فخرج اليهم الحجاج وقد جاءه جند الشام فتقوى بهم وقال
لهم يا أهل الشام أنتم أهل السمع والطاعة والصبر واليقين ولا يغلبن باطل
هؤلاء الأرجاس حقم غضوا الابصار واجثوا على الركب واستقبلوا القيم
بأطراف الاسنة فجثوا على الركب وأشرعوا الرماح وكانهم حرة سوداء
وأقبل اليهم شبيب في تعبئة فثبتوا له حتى اذا غشى أطراف الاسنة وثبوا
في وجهه ووجوه أصحابه فطعنوهم قدما وما زال القتال بينهم عامة اليوم وقتل
في هذا اليوم مصاد أخو شبيب وانتهى الامر بهزيمة شبيب وهذه أول
مرة هزم فيها وترك امرأته غزاة فقتلت ثم أرسل الحجاج في أثره جنود
الشام حتى قابلوه بالانبار وكانت بين الفريقين مواقع هائلة جدا وانتهى
أمر الخوارج بغرق شبيب في النهر وتفصيل الوقائع التي جرت بين شبيب
وبين جنود الحجاج يطول أمرها والنتيجة أن المساهين استراحوا من
الازارقة ومن شبيب في سنة واحدة



المحاضرة السابعة والثمانون

بناء الكعبة - الفتوح في الشرق - الفتوح في الشمال - الحج

السكة - ولاية العهد - وفاة عبد الملك وبيته وصفته

الوليد الاول - الاصلاح الداخلى

بناء الكعبة

من الحوادث الكبرى التى حدثت ابان هذه الاضطرابات هدم الكعبة وبنائها ففى سنة ٦٥ هـ . هدم عبد الله بن الزبير الكعبة وكانت قد مالت حيظانها مما رميت به من حجارة المجانيق فهدمها حتى سواها بالارض وحفر أساسها وأدخل الحجر فيها وكان الناس يطوفون من وراء الأساس ويصلون الى موضعه وجعل الحجر الاسود عنده فى تابوت فى سرقة من حرير وجعل ما كان من حلى البيت وما وجد فيه من ثيوب أو طيب عند الحجة فى خزانة البيت حتى أعادها لما أعاد بناءها وكان السبب فى ادخاله الحجر ضمن البيت ما روته أمه اسماء عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة وجعلتها على قواعد اسماعيل وجعلت لها باين . فلما قتل ابن الزبير وولى الحجاج نقض ذلك الركن الذى فيه الحجر واعاد بناءها على ما كانت عليه فى عهد قريش

فالبناء الموجود الآن مؤلف من بناء ابن الزير والحجاج

الاحوال الخارجية

لم يكن زمن الفتنة يسمح للمسلمين بمد فتوحهم وانتقاص أرض عدوهم لان الامة اذا كان بأسها بينها شديداً فحسبها أن تحافظ على ما بأيديها من البلاد ولكن هذه الامة القوية مع ما نالها من المصائب والفتن لم تقهر يدبر عن الفتح ولم تظهر أمام الامم الاخرى بمظهر الضعف الا في بعض الاحيان

الفتوح في الشرق

بعد ان انتهى المهلب من أمر الخوارج ولاد الحجاج خراسان ففي سنة ٨٠ قطع نهر بلخ ونزل على كس وأتاه وهو نازل عليها ابن عم ملك الختل فدعاه الى عزو الختل فوجه معه ابنه يزيد فنزل في عسكره وكان الملك يومئذ اسمه السبل في عسكره على ناحية فيبت السبل ابن عمه فكبر في عسكره فظن ابن العم أن العرب غدروا به وأنهم خافوه على الغدر حين اعتزل عسكرهم فأسرهم الملك وقتله في قلعة فأتى يزيد بن المهلب القلعة وأحاط بها فصالحه الملك على فدية حملها اليه ورجع الى المهلب ووجه المهلب ابنه حبيباً الى رنجن فوافي صاحب بخارى في أربعين ألفاً فكانت يدتهم مناوشات لم تنته بنتيجة وانصرف حبيب

ومكس المهلب بكس سنتين فقبل له لو تقدمت الى السغد وما وراء ذلك قال ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذا الجند حتى يرجعوا الى مرو سالمين ثم صالح المهلب اهل كس على فدية وأتاه وهو بكس وفاد ابنه المغيرة

وكان خليفته على مرو فجزع جزءا شديدا وولى مكانه ابنه يزيد : ولما اخذ
الفدية عاد الى مرو فتوفي بها ولما شعر بدنوا اجله دعا من حضر من ولده
ودعا بسهام فحزمت وقال اترونكم كاسريها مجتمعة قالوا لا قال اترونكم
كاسريها متفرقة قالوا نعم قال فهكذا الجماعة فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم فان صلة
الرحم تنسيء في الاجل وتثري المال وتسكسر العدد وانها كم عن القطيعة فان القطيعة
تعقب النار وتورث الذلة والقلة فتحابوا وتواصلوا واجمعوا امركم ولا تختلفوا
وتباروا تجتمع اموركم . ان بنى الام يختلفون فكيف بنى العلات وعليكم
بالطاعة والجماعة وليكن فعالكم افضل من قوالكم فاني احب للرجل ان
يكون لعملة فضل على لسانه واتقوا الجواب وزلة اللسان فان الرجل تزل
قدمه فينتعش من زلته ويزل لسانه فيهلك اعرفوا لمن يغشاكم حقه فكفى
بغدو الرجل ورواحه اليكم لذكورة له وآثروا الجود على البخل وأحبوا
العرب واصطنعوا العرب فان الرجل من العرب تعدد العدة فيموت دونك
فكيف الصنيعة عنده عليكم في الحرب بالاناة والمكيدة فانها أنفع في
الحرب من الشجاعة واذا كان اللقاء انزل القضاء : فان أخذ رجل بالحزم
فظهر على عدوه قيل أي الامر من وجهه ثم ظفر فحمد وان لم يظفر بعد
الاناة قيل مافرط ولاضيع ولكن القضاء غالب وعليكم بقراءة القرآن
وتعليم السنة وادب الصالحين واياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم
وقد استخلفت عليكم يزيد وجعلت حبيبا على الجند حتى يقدم بهم على يزيد
فلا تخالفوا يزيد فقال له المفضل لو لم تقدمه لقدمناه ومات المهلب واوصي

الى حبيب فضلى عليه وكتب يزيد الى عبد الملك بالخبر وباستخلاف المهلب
اياد فأقره وتوفي في ذى الحجة سنة ٨٣ فمال نهار بن توسعة التمهيد

ألا ذهب الغزو المقرب للغنى	ومات الندى والجود بعد المهلب
أقامنا بمر والروذرهن ضريحه	وقد غيبا عن كل شرق ومغرب
إذا قيل أى الناس أولى بنعمة	على الناس قلناه ولم تنهيب
أباح لنا سهل البلاد وحزنها	بخيل كارسال القطا المتسرب
يعرضها للطعن حتى كأنما	يجلاها بالارجوان المخضب
تطيف به قحطان قد عصبت به	وأحلافها من حي بكر وتغلب
وحيا معد عوذ بلوائه	يفدوناه بالنفس والام والاب

وفي ولاية يزيد لخراسان فتش قلعة نيرك بياذ غيس واحتلها وكان
ملكها قد خرج عنها فلما جاء صالحه على أن يدفع اليه مافي القلعة من الخزائن
ويرتحل عنها بعياله وكتب يزيد الى الحجاج بالفتح وكان كاتبه يحيى بن
يعمر العدواني وانص كتابه «انا لقينا العدو ففتحنا الله أكتافهم فقتلنا طائفة
وأسرنا طائفة واحقت طائفة برؤوس الجبال وعراعر الاودية وأهضام
الغيضان وأثناء الانهار» فلما جاء الكتاب الحجاج سأل عمن يكتب ليزيد
فقال له يحيى بن يعمر فكتب الى يزيد فحمله على البريد فقدم عليه أفصح
الناس فقال له اين ولدت قال بالاهواز قال فهذه الفصاحة قال حفظت كلام
أبي وكان فصيحاً قال من هناك قال فأخبرني هل ياجن عنيسة بن سعيد
قال نعم كثيرا قال ففلان قال نعم قال أخبرني عني ألحن قال نعم تلحن لحنا
خفيا تزيد حرفا وتنقص حرفا وتجعل أن في موضع ان وأن في موضع

إن قال أجاتك ثلاثا فإن أجدهك بعد ثلاث بارض العراق قتلتك فرجع إلى خراسان وفي سنة ٨٥ عزل الحجاج يزيد عن خراسان وولى مكانه أخاه المفضل . وفي عهد المفضل غزيت باذغيس وقتحت ثم نم آخرون وشومان فظفر . ولم يكن للمفضل بيت مال بل كان يعطى الناس كلما جاءه شيء . وان غنم شيئا قسمه بينهم . ولم يابث الحجاج أن عزل المفضل وولى مكانه قتيبة ابن مسلم الباهلي وسيكون له ذكر جميل في خلافة الوليد

الفتوح في الشمال

لم يكن من الممكن في عهد الاضطراب الشديد أن تكون المسلمين قوة أمام الروم الذين لا يتركون المسلمين وفي سنة ٧٠ ثار الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين وذلك في الوقت الذي يتجهز فيه عبد الملك لحرب مصعب فاضطر أن يصالح ملك الروم على أن يؤدي عبد الملك إليه كل جمعة ألف دينار خوفا على المسلمين ولما انقشعت هذه السحابة واستقر الأمر لعبد الملك عادت الغزوات إلى بلاد الروم فنظمت الشواني والصوائف وافتتح عبد الملك قيسارية وفي سنة ٨١ فتحت قالقيلا وكان أمير جندها عبيد الله بن عبد الله وفي سنة ٨٤ غزا عبد الله بن عبد الملك ففتح المصيصة

الحج

كان الذي يقيم الحج عبد الله بن الزبير في عهد خلافته وفي سنة ٦٨ وافت عرفت أربعة ألوية : ابن الحنيفة في أصحابه في لواء وابن الزبير في

لواء ونجدة الحرورى فى لواء ولواء بنى امية . قال محمد بن جبير خفت الفتنة فشىيت اليهم جميعا فجئت محمد بن على فى الشعب فقلت يا ابا القاسم اتق الله فانا فى مشعر حرام وبلد حزام والناس وفد الله الى هذا البيت فلا تفسد عليهم حجهم فقال والله ما أريد ذلك وما احول بين احدوين هذا البيت ولا يؤتى احد من الحجاج من قبلى ولكنى رجل ادفع عن نفسى من ابن الزبير وما يروم منى وما اطلب هذا الامر الا ان لا يختلف على فيه اثنان ولكن انت ابن الزبير فكلمه وعليك بنجدة قال فجئت ابن الزبير فكلمته بنحو ما كلمت به ابن الحنفية فقال أنا رجل قد اجتمع على الناس وبايعونى وهؤلاء أهل خلاف فقلت أرى لك خيرا الكف قال أفعل ثم جئت نجدة الحرورى فأجده فى أصحابه فعظمت عليه وكلمته كما كلمت الرجلين فقال أما ان ابتدئ احداً بقتال فلا ولكن من بدا بقتال قاتلته قلت فاني رأيت الرجلين لا يريدان قتالاً . ثم جئت شيعة بنى امية فكلمتهم بنحو ما كلمت به القوم فقالوا نحن على ان لا نقاتل احدا الا ان قاتلنا . ثم كان اول لواء انفض لواء ابن الحنفية ثم تبعه نجدة ثم لواء بنى امية ثم لواء ابن الزبير وتبعه الناس . وهذه حادثة غريبة فى تاريخ الحج . وبعد قتله كان يقيمة عمال بنى امية

السكة الاسلامية

لم يكن للمسلمين سكة يضربون عليها دراهمهم ودنانيرهم وانما كانوا يستعملون ما يضرب من الدراهم فى بلاد الفرس وما يضرب من الدنانير

في بلاد الروم حتى كانت سنة ٧٤ من الهجرة وهي سنة الجماعة ضرب عبد الملك الدراهم والدنانير الاسلامية وجعل وزن الدرهم اربعة عشر قيرطا والدينار عشرين قيرطا فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وقد نقش عليها نقش اسلامي وامر عبد الملك الحجاج ان يضربها بالعراق وقد نقش عليها اولا باسم الله الحجاج ثم كتب عليها بعد سنة الله أحد الله الصمد فكره ذلك الفقهاء فسميت مكروهة وكانت له دار ضرب جمع فيها الطباعين فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من التبر وخلاصة الزيوف والستوقة والبهرجة ثم ضربت الدراهم والدنانير بعد ذلك في بقية الامصار الاسلامية وكانوا يعاقبون من ضرب على غير سكة السلطان عقوبة شديدة . وسنوضح أمر السكة بعد

ولاية العهد

كان مروان قد ولي عهده عبد الملك ثم من بعده عبد العزيز بن مروان ففى سنة ٨٥ أراد عبد الملك ان يعزل عبد العزيز ويولي مكانه الوليد بن عبد الملك فاستشار قبيصة بن ذؤيب فنهاه عن ذلك واستشار روح بن زنباع الجذامي فقال لو خلعت ما انتطخ فيه عازان فيينا هو على ذاك اذ جاء الخبر بوفاة عبد العزيز فقال لروح كفانا اللهيا بأزرعة ما كنا فيه وما أجمعنا عليه وعهد الي ابنه الوليد ثم من بعده سليمان وكتب ببيعته لهما الى البلدان بايع الناس وامتنع من ذلك سعيد بن المسيب فضربه أمير المدينة هـش

ابن اسماعيل المخزومي وطاف به وحبسه فكتب عبد الملك الى هشام يلوّمه على ما فعل ويقول سعيد والله كان أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه وانا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف

وفاة عبد الملك

في يوم الخميس منتصف شوال سنة ٨٦ (٩ أكتوبر سنة ٧٠٥) توفي عبد الملك بدمشق فكانت مدة خلافته منذ بويع بالشام احدي وعشرين سنة وشهراً ونصفاً من مسهل رمضان سنة ٦٥ الى منتصف شوال سنة ٨٦ وكانت خلافته مذ قتل ابن الزبير واجتمعت عليه الكلمة ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر بناء على أن ابن الزبير قتل في ١٧ جمادى الاولى سنة ٧٣ وكان عمر عبد الملك ستين سنة لانه ولد سنة ٢٦

بيت عبد الملك

- تزوج عبد الملك (١) ولادة بنت العباس بن جزء العبسي فولدت له الوليد وسليمان ومروان الاكبر
- (٢) عاتكة بنت يزيد بن معاوية فولدت له يزيد ومروان ومعاوية وأم كلثوم
- (٣) أم هشام بنت هشام بن اسماعيل المخزومي فولدت له هشاماً
- (٤) عائشة بنت موسى بن طلحة التيمي فولدت له أبا

بكر واسمه بكار

(٥) أم أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له الحكم

(٦) أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد المخزومي فولدت له فاطمة

(٧) شقراء بنت سلامة بن حلبس الطائي

(٨) ابنة لعل بن أبي طالب

(٩) أم أيمن بنت عبد الله بن جعفر

وله من الاولاد عبد الله ومسلمة والمنذر وعنبسة ومحمد وسعيد الخير

والحجاج لامهات الاولاد

صفة عبد الملك

كان عبد الملك قوى العزيمة ثابت النفس لا تزغزه الشدائد ولى أمر
الامة وهى في غاية الاضطراب والاختلاف فما زال حتى جمعها وصيرها أمة
واحدة تدين خليفة واحد وسامها لابنه الوليد وهى على غاية من الهدو
والطمأنينة ولكن الضحايا التى ذهبت في سبيل ذلك كثيرة جداً لان
الامة حية نشيطة لا تدين الا للقوة القاهرة التى هى فوق طاقتها والاهواء
متشعبة وذلك مما يجعل المأزق ضيقاً لا يمر منه الا الكيس ذو العزم الثابت،
وكذلك كان عبد الملك يقول ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الامر منى
وان ابن الزبير لطويل الصلاة طويل الصيام ولكن لبخله لا يصلح أن
يكون سائساً: ومما عد من مساوى عبد الملك انه قال مرة وهو على المنبر من
قال لى بعد مقامى هذا اتق الله ضربت عنقه وقد اعتذر عن ذلك بأن
كثيراً من الناس كانوا يقفون في هذه المواقف قصد الشهرة حتى اذا أصابهم

من جزاء ذلك شر اشتهروا بقوة القلب ومصادرة الخلفاء ولكن ذلك لا يصلح على أية حال عذراً . ومما عد من مساويه وهو قبيح غدره بعمر وبن سعيد وقتله اياه بعد أن أمنه وقالوا ان هذا أول غدر حصل في الاسلام ومن عمن سنة سيئة فعلية أثمها واثم من عمل بها الى يوم القيامة والتاريخ يدلنا على أن كبار الرجال الذين أقدموا على العظائم لم يساموا من الهنات في سبيل تأييد مطالبهم فلكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة وكان عبد الملك فصيحاً عالماً بالاخبار فقيها وقد قدمنا شيئاً من ذلك في أول خلافته

الوليد الاول

٦

هو الوليد بن عبد الملك بن مروان وأمه ولادة بنت العباس بن جزء
العبسي ولد سنة ٥٠ من الهجرة ولم تكن له ولاية العهد الا بعد وفاة عمه
عبد العزيز بن مروان ولما توفي أبوه عبد الملك بويح بالخلافة في اليوم الذي
مات فيه لما رجع من دفنه بدمشق لم يدخل منزله حتى صعد على منبر دمشق
فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أيها الناس انه لا مقدم لما أقر الله
ولا مؤخر لما قدم الله وقد كان من قضايا الله وسابق علمه وما كتب على
أنبيائه وحملته عرشه الموت وقد صار الى منازل الابرار ولى هذه الامة بالذى
يحق عليه الله من الشدة على المريب واللين لاهل الحق والفضل واقامة ما أقام
الله من منار الاسلام وأعلامه من حج هذا البيت وغزو هذه الثغور وشن
هذه الغارة على اعداء الله فلم يكن عاجزاً ولا مفرطاً . أيها الناس عليكم بالطاعة
ولزوم الجماعة فان الشيطان مع الفرد . أيها من أبدى الناس لنادات نفسه ضرب بنا
الذى فيه عيناه ومن سكت مات بدائه : ثم قام اليه الناس فبايعوه

الحال في عهد الوليد

كانت مدة الوليد غرة في جبين الدولة الاموية ففيها قام باصلاح داخلي عظيم واشتهر في الامة قواد عظام فتجوا الفتوح العظيمة وأضافوا الى المملكة الاسلامية بلادا واسعة واستردوا هيبتها في انفس الامم المجاورة لها وسبب ذلك أن الوليد تولى بعد أن وطأ عبد الملك الامور ومهد لها فاستلمها الوليد والامة هادئة مطمئنة مجتمعة الكامة وخبث نار الاهواء فان الخوارج ذهبت حذتهم وشوكتهم وقلت جموعهم وشيعة آل البيت نالهم ما جعلهم يهتمون بانفسهم فلم يحركوا ساكنا ولم يوقظوا فتنة

الاصلاح الداخلي

كان الوليد ميالا الى العمارة فاهتم في زمنه باصلاح الطرق وتسهيل السبل في الحجاز وغيره ففي سنة ٨٨ كتب الى عامله بالمدينة عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحفر الآبار في البلدان وكتب الى سائر البلاد بذلك فعمل عمر بالمدينة الفوارة التي يستقى منها أهل المدينة وأجرى اليها الماء وأمر لها بقوام يقومون عليها: واصلاح الطرق من أهم ما يذكر لولاية الامر في اصلاح البلاد. ومن أعماله العظيمة بناء ذينك المسجدين العظيمين مسجد المدينة وجامع دمشق: ففي السنة المتقدمة امر عمر بن عبد العزيز بهدم المسجد النبوي وهدم بيوت أزواج الرسول وادخلها في المسجد وأن يشتري دوراً في مؤخره ونواحيه ليتسع حتى يكون مئتي ذراع في مثلها ومن أبي

فما يقوم داره قيمة عدل وتهدم ويدفع اليهم ثمنها «فان لك في ذلك سلف
صدق عمر وعثمان» وأرسل اليه الوليد بالفعلة والبنائين من الشام فعمل في ذلك
عمر مع فقهاء المدينة وبعث الوليد الى ملك الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلب منه أن يعينه فيه فبعث اليه بمئة ألف
متمثال ذهب وبعث اليه بمئة عامل وبعث اليه من الفسيفساء بأربعين جملاً
فابتدىء بعمارتها وأدخلت فيه جميع الحجر التي لازواج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يبق الا حجرة عائشة التي فيها القبور الثلاثة وكان من رأى
بعض أهل المدينة أن لا تكون في المسجد حذر أن يستقبلها بعض المسلمين
في صلاتهم يشبهونها بالكعبة ففكر في ذلك عمر وقد هداه الفكر أن
يثالث جهتها الشمالية حتى تنتهي بزاوية لا يمكن استقبالها فصار شكل
الحجرة خمساً. أما جامع دمشق وهو المعروف بالجامع الاموي فان الوليد
احتفل له احتفالاً عظيماً حتى خرج مناسبا لعظمة المملكة الاسلامية ولا
يزال شيء من آثاره شاهداً بتلك العظمة وكان الناس في حياته قد شغفوا
بالعمارة تبعاً له حتى كانت مسألتهم عنها اذا تقابلوا : وبني الوليد المصانع في
الشام لتسهيل الاستقاء

ومن الاصلاح العظيم حججه على المجذمين أن يسألوا الناس وجعل لهم
من العطاء ما يقوم بحياتهم وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً
وعلى الجملة فكان الوليد محسناً الى رعيته : ومما يدل على حسن معاملته
ثلاثاء انه حج سنة ٩١ ونهر بن عبد العزيز أمير على المدينة فلما وصل المدينة
دخل الى المسجد ينظر الى بنائه فاخرج الناس منه فما ترك فيه أحد وبقي

سعيد بن المسيب ما يجترى أحد من الحرس أن يخرج به وما عليه
الاريطتان مائتاويان خمسة دراهم فقبل له لو قت فأبى أن يقوم قبل الوقت
الذي كان يقوم فيه فلو سلمت على أمير المؤمنين فأبى أن يقوم اليه قال عمر
ابن عبد العزيز فجعلت أعدل بالوليد بناحية المسجد رجاء أن يرى سعيداً
حتى يقوم فحانت من الوليد نظرة الى القبلة فقال من ذلك الجالس
أهو الشيخ سعيد بن المسيب فجعل عمر يقول نعم يا أمير المؤمنين
ومن حاله ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر قال
الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه فدار في المسجد حتى وقف على
المنبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال كيف أنت أيها الشيخ فلم يتحرك
سعيد ولم يقم فقال بخير والحمد لله فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله قال
الوليد خير والحمد لله فانصرف وهو يقول لعمر هذا بقية الناس فقال أجل
يا أمير المؤمنين . وقليل من ذوى السلطان من يعرف لمثل سعيد من العلماء
ذوى الاسنان حقهم وسبب ذلك فيما نظن من قبل العلماء كثيراً ومن قبل
ذوى السلطان قليلاً أما العلماء فانهم رضوا لانفسهم الذلة والمهانة بعبادتهم
الدرهم والدينار حتى صار كل ما يصيبهم في الحصول عليهما سهلاً وعلم بذلك
ذوو السلطان فاشتروا منهم دينهم بما أفاضوا عليهم من الدنيا وحينئذ يضعف
احترامهم وتقل مكانتهم وأما ذوو السلطان فانهم أحياناً يأخذونهم الجبروت
فلا يحبون أن يكون لأحد من رعيته كلمة فوق كلمتهم فيتجهمون لمن
يبدى لهم نصيحة أو يعرفهم واجبا فيحاربونهم لقصد أذلهم وحط درجتهم
ولكن الذى يريد الله ومصلحة المسلمين بنصيحة فانه لا يضره شيء من ذلك

والتاريخ شاهد صدق على ذلك

ومن حسنات الوليد استمهانته في عمله بعمر بن عبد العزيز الذي أعاد
سيرة سلف هذه الأمة الصالح فقد ولاه المدينة سنة ٨٧ فقدمها وسنه ٢٥
سنة فنزل دار مروان ولما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة عروة بن
الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا بكر بن سليمان
ابن أبي خيثمة وسليمان بن يسار والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله
ابن عمر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد وهم
اذ ذاك سادة فقهاء الدنيا فلما دخلوا عليهم أجلسهم ثم حمد الله وأثنى عليه
ثم قال اني انما دعوتكم لامر تؤجرون عليه وتكونون فيه أعوانا على الحق
ما أريد أن أقطع أمراً الا برأيكم أو برأي من حضر منكم فان رأيتم أحداً
يتعدى أو بلغكم عن عامل لي ظلامة فأخرج الله على من بلغه ذلك الا بلغني
فخرجوا يجزونه خيراً وافترقوا وبهذا العمل جدد فيهم سيرة عمر بن الخطاب
وهو جده من قبل أمه وقد عزله الوليد عن المدينة سنة ٩٣ بسبب شكوى
من الحجاج أن مراق أهل العراق وأهل الشقاق قد جلوا عن العراق ولجأوا
الى المدينة ومكة وان ذلك وهن واستشاره فيمن يوليه على المدينة فإشار بعثمان
ابن حيان المري فولاه المدينة

المحاضرة الثامنة والثمانون

الفتوح في عهد الوليد - ولاية العهد - وفاة الحجاج -

وفاة الوليد - سليمان

الفتوح في عهد الوليد

اشتهر في زمن الوليد أربعة قواد عظام كان لهم أجل الأثر في الفتح الإسلامي وهم :

(١) محمد بن القاسم بن محمد الثقفي

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي

(٣) موسى بن نصير

(٤) مسلمة بن عبد الملك بن مروان

فأما القاسم بن محمد فانه كان أميراً على ثغر السند من قبل الحجاج بن يوسف وكان الحجاج قد ضم اليه ستة آلاف من جنود أهل الشام وجبزه بكل ما احتاج اليه فسار القاسم الى بلاد السند حتى أتى الديبل (١) فنزل عليه وكان به بد عظيم والبدا منسارة عظيمة تتخذ في بناء لهم فيه صنم أو أصنام لهم وكان كل شيء أعظموه من طريق العبادة فهو عندهم

(١) مدينة على ساحل نهر الهند

وكانت كتب الحجاج ترد على محمد وكتب محمد ترد على الحجاج
بصفة ما قبله واستطلاع رأيه فيما يعمل به كل ثلاثة : ولم يزل القاسم
حاصرا للديبل حتى خرج العدو اليه مرة فهزمهم ثم أمر بالسلايم فوضعت
وصعد عليها الرجل ففتحت عنوة وقتل عامل داهر عليها ثم بنى بها مسجدا
وأنزله أربعة آلاف . ثم أتى البيرون فأقام أهله العلوقة للقاسم وأدخلوه
مدينتهم وكانوا قد بعثوا سمنيين منهم الى الحجاج فصالحوه فوفي لهم محمد
ابن القاسم بالصالح ثم جعل لايمر بمدينة الافتحها حتى عبر نهرا دون
مهران (١) فأتاه سمين سريبدس فصالحوه على من خلفهم ووظف عليهم
الخراج وسار الى سبهان ففتحها ثم الى مهران فبلغ ذلك داهر مالك السند
فاستعد لمحاربتة : ثم ان محمدا عبر مهران وهو نهر السند على جسر عقد
فالتقى بداهر في جنوده الكثيرة وهو على فيل وحوله الفيلة فاقتتلوا قتالا
شديدا لم يسمع وترجل داهر وقاتل فقتل عند المساء وانهمزم المشركون
فقال في ذلك قاتل داهر :

الخليل تشهد يوم داهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد
انى فرجت الجمع غير مغرد حتى علوت عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجدلا متعفر الخدين غير موسد
ولما قتل داهر غلب محمد على بلاد السند . ثم فتحوا راور عنوة ثم أتى
برهمنا باذ العتيقة فقاتله بها فل داهر ولكنهم انهزموا خلف بها عاملا ثم
سار فتلقياه أهل ساوندرى وسأله الامان فأعطاهم اياه واشترط عليهم

(١) نهر السند يصب في خليج فارس وهو نهر بقدر دجلة

ضيافة المسلمين ودوائهم: ثم تقدم الى يسند فصالح أهلها على مثل صالح ساو ندري :
ثم انتهى الى الرور (١) وهي من مدائن السند فحصر أهلها ثم فتحها صالحا على أن
لا يقتلهم ولا يعرض لبدنهم وقال ما البدالا ككنائس النصارى واليهود وبيوت
نيران المجوس ووضع عليهم الخراج وبنى بالرور مسجدا : ثم سار حتى قطع نهر
بياس الى الملتان فقاتله أهل الملتان فهزمهم حتى ادخلهم المدينة وحصرهم ثم نزلوا
على حكمه فقتل كثيرا منهم واصاب فيها مغنم كثيرة وافرة وكان بد الملتان
تهدى اليه الاموال وتنذر له النذور ويحج اليه السند فيطوفون به ويحلقون
رءوسهم ولحاهم عنده فحاز محمد ذلك كله : وفي ذلك الوقت بلغته وفاة الحجاج
فرجع عن الملتان الى الرور وبغرور وكان قد فتحها فأعطى الناس ووجه الى
البيلمان جيشا فلم يقاتلوا وأعطوا الطاعة وسأله أهل سرست ثم أتى الكرج
فخرج اليه دوهر فقاتله فانهزم العدو وهرب دوهر . بعد هذه الفتوح
العظيمة التي نشرت ظل الاسلام على جميع بلاد السند مات الوليد بن عبد
الملك فوقف امر محمد وسنتكم بعد على خاتمة حياته . واما قتيبة بن مسلم فكان
اميرا على خراسان للحجاج بن يوسف ولاد عليها بعد المفضل بن المهلب سنة ٨٦
فلما قدمها خطب الناس وقال لهم : ان الله قد احل لكم هذا المحل ليعز دينه
ويذب بكم عن الحرامات ويزيد بكم المال استفاضة والعدو وقما ووعد نبيه

(١) ناحية بالسند تقرب من الملتان في الكبر وعليها سوران وهي على شاطئ
نهر مهران على البحر وهي منجر وفرضة بهذه البلاد وبينها وبين الملتان اربع
مراحل وبالقرب من الرور مدينة بغرور

صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق وكتاب ناطق فقال (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) ووعده المجاهدين في سبيله احسن رب واعظم الذخر عنده فقال (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يقطعون موطنًا يعيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح . ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون) ثم اخبر عن قتل في سبيله انه حتى مرزوق فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) فتنجزوا موعود ربكم ووطنوا انفسكم على أقصى أثر وامضى الم واياي والهويني

ثم عرض الجند في السلاح والسكران وسار واستخلف على مرو فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين باع وعظماؤهم فساروا معه ولما قطع النهر تلقاه ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من ذهب فدعاه الى بلاده فأتاه واتى ملك كفتان بهدايا واموال ودعا الى بلاده ففضى مع ملك الصغانيان فسلم اليه بلاده وكان ملك آخرون وشومان قد اساءه جواره وضيق عليه فسار قتيبة الى آخرون وشومان وهما من طيخاستان فجاء الملك فصالحه على فدية اداها فقبها قتيبة ورضى ثم عاد الى مرو واستخلف على الجند ولما علم بذلك الحجاج كتب اليه ياورمه ويعجز رايه في تخليفه الجند وكتب اليه اذا غزوت فكن في مقدم الناس واذا فقلت فكن في اخرياتهم وساقطهم

وفي سنة ٨٧ قدم على قتيبة نيزك وصالحه وكان سبب ذلك انه كان
في يد نيزك أسرى من المسلمين فكتب اليه قتيبة يأمره باطلاقهم ويتهدده
فخافه نيزك فأطلق الأسرى فوجه اليه قتيبة يطلب منه القدوم عليه وحلف
بالله لئن لم يفعل ليفزونه وليطلبينه حيث كان لا يقلع عنه حتى يظفر به أو
يموت قبل ذلك فقدم عليه نيزك وصالحه على اهل بادغيس على أن
لا يدخلها

بعد ذلك غزا قتيبة بيكند وهي ادنى مدائن بخارى الى النهر فلما نزل
بهم استنصروا الصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم في جمع كثير وأخذوا
باطريق فلم ينفذ قتيبة رسول ولم يصل اليه رسول ولم يجر له خبر شهرين
وأبطأ خبره على الحجاج فأشفق على الجند والقتال دائر بين قتيبة وبين عدوه
وفي ذات يوم لقي المسلمون عدوهم بجند حتى انزل الله عليهم نصره فانهم
والعدو عنهم يريدون دخول المدينة فحال المسلمون بينهم وبينها فتفرقوا وركب
المسلمون اكتافهم واعتصم بالمدينة عدد قليل دخلها ولما رأوا قتيبة ابتدأ
بهدمها سألوه الصالح فصالحهم وولى عليهم أميرا وسار عنهم فلما كان على
خمس فراسخ بلغه أن أهل بيكند غدروا بالعامل فقتلوه واصحابه فرجع
اليهم وفتح المدينة عنوة فقتل مقاتلاتها وأصاب فيها مغنم كثيرة ثم عاد الى
سمرقند : ولما كان الربيع سار عن مرو في عدة حسنة من الدواب والسلاح وعبر
النهر حتى أتى نومشكت وهي من بخاري فصالحه أهلها ثم سار الى رامشينة
فصالحه أهلها فانصرف عنهم وزحف اليه الترك معهم الصغد وأهل فرغانة
فعاترضوا المسلمين في طريقهم فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا أبلى فيه نيزك

بلاء حسنا وهو مع قتيبة حتى انهزم الترك وفض جمعهم ثم رجع الى مرو
فقطع النهر من ترمذ يريد بلخ ثم أتى مرو

ثم أراد ان يفتح بخارى فعبّر النهر ومضى الى بخارى فنزل خرقانة
السفلى فاقبته جوع كثيرة فقعاتهم وهزمهم ولما وصل بخارى استعمله
ملكها فلم يظفر من البلد بشيء فرجع الى مرو وكتب الى الحجاج بذلك
فكتب اليه الحجاج أن صورها الى فيعث اليه بصورتها فكتب اليه الحجاج
ان ارجع الى مراغتك فتب الى الله مما كان منك وأنها من مكان كذا فخرج
قتيبة من مرو سنة ٩٠ فالتصر ملك بخارى بالصغد والترك من حولهم
ولكن قتيبة سبقهم الى بخارى فحصرها وفي أثناء الحصار جاء أهل بخارى
المدد فخرجوا لقتال المساميين فصبروا لهم ثم جان المسامون وركبهم المشركون
فطمعوا حتى دخلوا عسكر قتيبة في القلب وجازوه حتى ضرب النساء
وجود الخيل وبكين فكر الناس راجعين وانطوت مجنبتا المساميين على الترك
فقاتلوا حتى ردوهم الى مواقعهم فوقف الترك على نشر فقال قتيبة من
يزيائهم لنا من هذا الموضع فلم يجبه أحد فشى الى بني تميم وقال لهم يوم
كايامكم أبي لكم الفداء فأخذ وكيع وهو رأسهم اللواء بيده وقال يا بني
تميم أئساموني اليوم قالوا لا يا أبا مطرف وكان هزيم بن أبي طحمة
المجاشعي على خيل بني تميم فقال وكيع قدم ياهزيم ودفع اليه الراية وقال قدم
خيلك فتقدم هزيم ودب وكيع في الرجال فأنتهى هزيم الى نهر بينه وبين
العدو فوقف فقال له وكيع أقحم ياهزيم فنظر اليه هزيم نظر الجمل الصمؤول
وقال أنا أقحم خيلي هذا النهر فان انكشفت كان هلاكها والله انك لاحق

فَقَالَ وَكَيْعَ مَغْضِبًا أَخَالَفَنِي وَحَدَنَهُ بَعْمُودَ كَانَ مَعَهُ فَضْرِبَ هَزِيمَ فَرَسَهُ
فَأَقْحَمَهُ وَقَالَ مَا بَعْدَ أَشَدَّ مِنْهُ وَعَبَّرَ هَزِيمَ فِي الْخَيْلِ وَانْتَهَى وَكَيْعَ إِلَى النَّهْرِ
فَدَعَا بِخَشَبٍ فَقَنْطَرِ النَّهْرَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ مِنْ وَطَنٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ عَلَى الْمَوْتِ فَلْيَعْبُرُوا
وَمَنْ لَا فَلْيُثَبِّتْ مَكَانَهُ فَعَبَّرَ مَعَهُ ٨٠٠ رَاجِلٍ فَدَبَّ فِيهِمْ حَتَّى إِذَا أُعْيُوا أَقْعَدَهُمْ
فَأَرَا حَوَاثِمَ دَنَا مِنَ الْعَدُوِّ فَجَعَلَ الْخَيْلَ مَجْنُونَتِيهِ وَقَالَ لِهَزِيمَ إِنِّي مُطَاعِنُ الْقَوْمِ
فَأَشْغَلُهُمْ عَنَّا بِالْخَيْلِ وَقَالَ لِلنَّاسِ شَدُّوا خُمَلُوا فَمَا نَثْنُوا حَتَّى خَالَطُوهُمْ وَحَمَلَ
هَزِيمَ خَيْلَهُ عَلَيْهِمْ فَطَاعَنُوهُمْ بِالرَّمَا حَ فَا كَفُّوا عَنْهُمْ حَتَّى حَدَّرُوهُمْ عَنْ مَوْقِفِهِمْ
وَهَزَمُوهُمْ وَجَرَحَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَاقَانَ مَلِكَ التُّرْكِ وَابْنَهُ : وَلَمَّا تِمَّ الْفَتْحُ كَتَبَ
بِهِ قَتِيْبَةَ إِلَى الْحِجَاجِ وَلَمَّا تِمَّ قَتِيْبَةُ مَا ارَادَ مِنْ بَخَارَى هَابَهُ أَهْلُ الصَّغْدِ فَطَالِبُوا
صَالِحَهُ فَصَالَحَهُمْ عَلَى فِدْيَةٍ بِقُدُونِهَا

وَفِي سَنَةِ ٩٣ فَتَحَ قَتِيْبَةُ مَدَائِنَ خَوَارِزْمَ صَالِحًا وَكَانَتْ مَدِينَةُ الْفِيلِ
أَحْصَنَهُمْ ثُمَّ غَزَا سَمَرْقَنْدَ وَهِيَ مَدِينَةُ الصَّغْدِ فَفَتْحَهَا بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ وَبَنَى
بِهَا مَسْجِدًا وَصَلَّى فِيهِ وَكَانَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ أَهْلُ بَخَارَى وَخَوَارِزْمَ وَلَمَّا
فَتْحَهَا دَعَا نَهَارَ بْنَ تَوْسَعَةَ فَقَالَ يَا نَهَارُ أَيْنَ قَوْلُكَ

الْأَذْهَبَ الْغَزْوُ الْمُقَرَّبَ لِلْغَنَى وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمَهَابِ

أَقَامَ بِمَرُو الرُّوْذَ رَهْنًا ضَرْبِيحَهُ وَقَدْ غِيْبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ

أَفْغَزُو هَذَا يَا نَهَارُ قَالَ لَا هَذَا أَحْسَنُ وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ

وَمَا كَانَ مَذْكَنًا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فِيمَا بَعْدَنَا كَمَا بَنَى مُسْلِمٌ

أَعْمَ لَأَهْلَ التُّرْكِ قَتْلًا نَسِيفَهُ وَكَثْرَ فِينَا مَقْسَمًا بَعْدَ مَقْسَمٍ

ثُمَّ ارْتَحَلَ قَتِيْبَةُ رَاجِعًا إِلَى مَرُوٍ وَاسْتَخْلَفَ عَلَيَّ سَمَرْقَنْدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ

وخلف عنده جندا ذشيفا وآلة من آلات الحرب كثيرة . ثم انصرف الى مرو فاقام بها

وفي سنة ٩٤ غزا قتيبة شاش (١) وفرغانة (٢) حتى بلغ خجندة وكاشان مدينتي فرغانة وقاتله أهل خجندة قتالا شديدا فهزمهم ثم أتى كاشان فافتتحها وفي سنة ٩٦ افتتح مدينة كاشغر (٣) وهي ادنى مدائن الصين سار اليها من مرو وفر بفرغانة وجاءه وهو بها موت الوليد بن عبد الملك فلم يقعه ذلك عن الغزو وسار الى كاشغر فافتتحها وكان بينه وبين ملك الصين هناك مراسلات وأرسل اليه قتيبة وفدا عليهم هبيرة بن المشمرج الكلابي فلما كلمهم ملك الصين قال لهم قولوا لقتيبة ينصرف فاني قد عرفت حرصه وقلة اصحابه والابعث اليكم من يهلككم ويهلكه فقال له هبيرة كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون وكيف يكون حريصا من خلف الدنيا قادرا عليها وغزاك وأما تخويفك ايانا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فاكرمها القتل فلسنا نكرهه ولا تخافه قال فما الذي يرضي صاحبك قال انه قد حلف أن لا ينصرف حتى يطاء أرضكم ويختتم ملوككم ويعطى الجزية قال فانا نخرجه من يمينه نبعث اليه

(١) إقليم متاخم لبلاد الترك واقليمها اكبر اقليم بما وراء النهر وخراسان وقصبتها بيهكت وله مدن كثيرة خربت

(٢) مدينة وكورة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل بينها وبين سمرقند ٥٠ ف ومن ولايتها خجندة

(٣) مدينة يسافر اليها من سمرقند وهي في وسط بلاد الترك

بتراب من تراب أرضنا فيطوؤه ونبعث ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه
بجزية يرضاهما ثم دعا بصحاف من ذهب فيها تراب وبعث بحريير وذهب
وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ثم أجاز الوفد فصاروا حتى قدموا على قتيبة
فقبل الجزية وختم الغلابة وردتهم ووطئ التراب ثم عاد الى مرو

هكذا فتح هذا القائد العظيم تلك البلاد الواسعة وضمها الى المملكة
الاسلامية فانتشر فيها الاسلام حتى أخرجت العظماء من كتاب المسلمين
وفقهاءهم ومحدثيهم وعلمائهم : كانت لقتيبة همة لم تعرف عن الكثير من
قواد الجنود وكان له في سياسة جنده الغاية فأحبهم وأحبوه وسافهم الى الموت
فلم يبالوا وسنتكلم بعد على خاتمة حياته

وأما موسى بن نصير فانه ذلك القائد العظيم الذي فتح بلاد الاندلس
وأدخل الاسلام في قارة أوروبا ولما كنا عازمين أن نفرّد تاريخ الاندلس
بفصل خاص نعقده له فيما نستقبل من محاضراتنا ان شاء الله فانا نؤجل
الكلام عن فتحه الآن

وأما مسامة بن عبد الملك فان عزمته ظهرت في حروب الروم فكان
في كل سنة يسير اليهم الجنود فيفتتح ما أمامه من الحصون العظيمة التي
أقامها الروم لحفظ بلادهم وربما كان يغزو معه العباس بن الوليد بن عبد الملك
ومن الحصون التي افتتحوها حصن طوانة وحصن عمورية واذورية وهرقلة
وقمونية وسبسطة والمرزبانين وطرسوس وكثير غيرها حتى هابهم
الروم .

ولاية العهد

كان عبد الملك قد ولي عهداً بنيه الوليد ثم سليمان ولم يعتبر بما كان منه في حق أخيه عبد العزيز وقد أعاد الوليد عمل أبيه فأراد عزل سليمان وتولية عبد العزيز بن الوليد ودعا الناس إلى ذلك فلم يجبه إلا الحجاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم وخواص من الناس فأشار على الوليد بعض خاصته أن يستقدم سليمان ويريد على خلع نفسه ويبيعة عبد العزيز فكتب إليه فاعتل فأراد الوليد أن يسير إليه فأمر الناس بالتأهب ولكن منيته حالت دون ذلك : ومرة هذا كان الجفاء الشديد بين سليمان والحجاج ومن على رأيه

وفاة الحجاج

في شوال سنة ٩٥هـ توفي بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي أمير العراقين وما بينهما من المشرق كله وكانت سنة ٩٥هـ سنة واستخلف على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج وعلى حرب الكوفة والبصرة يزيد بن أبي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ونت ولايته على العراقين عمر بن سنة

كانت للحجاج نفس تحب العلو في الأرض ولا تقبل أن يقف في طريقها عظيم من العظماء أو سيد من السادات فإن فعل أحد شيئاً من ذلك هاجت تلك النفس ولم تبال بما فعلت في سبيل تأييد سلطانها ونفاذ كلمتها

وإذا كان لتلك النفس قوة فهناك العذاب الأكبر والعسف الشديد وإذا كانت تلك النفس ضعيفة استعملت ما يمكنها من فتنة الناس والسعي بينهم بالأنباء الكاذبة حتى تكبهم على وجوههم وكان الحجاج من القسم الأول فعمسف أهل العراق وأذل عظماءهم حتى لم يكن عندهم امتناع : اسرف في القتل والجور لتأييد سيطانه وساطان من ولده حتى انتهى أمره إلى السلطان القاهر والكاهنة التي لا ترد : قال له عبد الملك يوماً كل امرئ يعرف عيوب نفسه فعب نفسك ولا تخبأ عنى شيئاً . قال أنا لجوج حقوق حشود : ومتى كانت هذه الصفات في ذى سلطان أهلك الحرث والنسل إلا أن يدين له الناس ويذابوا وهكذا فعل الحجاج

لم يكن الحجاج خالياً من الفضائل بل كان يعجبه الصدق والسكامة : الحسنة تبدر من صاحبها وربما كفته شراً عظيماً : وكان فصيحاً لا يكاد يعاداه أحد في الفصاحة من أهل زمانه وكانوا يقرنون به الحسن البصري وكان من قراء القرآن وحفاظه المعدودين : وعلى الجملة فإن الرجل مهد بلاد العراق بعد أن سبى في سبيل ذلك أرواحاً كثيرة وكان الخراج العراقي في زمن الفتن والعسف قد قل جداً : وأنا كما علمتم لست ممن يعجبه الإصلاح بطريقة الحجاج ولا أعدها إصلاحاً حقيقياً وإنما هي طريقة اذلال واخضاع لا يدوم أثرها كثيراً لأن النفوس تنطوي على ما فيها من البغض والكراهة حتى إذا حانت لها الفرصة وثبت

وفاة الوليد بن عبد الملك

في منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٦ توفى بدير مران الوليد بن عبد الملك (٢٥ فبراير سنة ٧١٥) بعد أن مكث في الخلافة تسع سنين وثمانية أشهر (من منتصف شوال سنة ٨٦ الى منتصف جمادى الثانية سنة ٩٦) وكانت سنة اذ توفى ستا واربعين سنة وكان له من الاولاد تسعة عشر ابنا



سليمان

٧

هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٥٤ من الهجرة
بويح بالخلافة بعد موت أخيه وكان بالرملة من أرض فلسطين وكانت
لأول عهده أحداث خير وشر

كان سليمان يبغض الحجاج وأهله وولاته وكان الحجاج يخشى أن يموت
الوليد قبله فيقع في يد سليمان فعجل الله به وكان على العكس من ذلك يميل
إلى يزيد بن المهلب عدو الحجاج الألد : فلما ولي سليمان كان أول عمل
بده به أن ولي يزيد بن أبي كبشة السكسكي السند فأخذ محمد بن القاسم
وقيده وحمله إلى العراق فقال محمد متمثلاً

أضأوني وأى فتى أضأوا ليوم كريمة وسداد ثغر
فبكى أهل السند على محمد فلما وصل إلى العراق حبس بواسطة فقال :
فلئن ثويت بواسطة وبأرضها رهن الحديد مكبلاً مغلولاً
فلرب قينة فارس قد رعتها ولرب قرن قد تركت قتيلاً
ثم عذبه صالح بن عبيد الرحمن في رجال من آل أبي عقيل حتى قتلهم
وبذلك انتهت حياة هذا القائد ارضاء لاهواء الخليفة حتى تهر نفسه بالانتقام
وتنادى ما فعله ذلك القائد من عظيم الاعمال ولا ندرى كيف تنبغ القواد
وتخلص قلوبهم اذا رأوا ان نتيجة أعمالهم تكون على مثل ذلك

أما القائد الثاني قتيبة بن مسلم فانه كان ممن وافق الوليد على غرضه
في عزل سليمان وتولية ابنه عبد العزيز فاضطغنها عليه سليمان وهو بعد من
صنائع الحجاج فاما ولي سليمان أشفق منه قتيبة وخاف أن يولي خراسان
يزيد بن المهلب فكتب اليه كتابا يهتبه بالخلافة ويعزيه عن الوليد ويعلمه
بلاءه وطاعته لعبد الملك والوليد وأنه اه على مثل ما كان لهما عليه من
الطاعة والنصيحة ان لم يعزله عن خراسان وكتب كتابا ثانيا يعلمه فيه فتوحه
ونسكاته وعظم قدره عند ملوك العجم وهيئته في صدورهم وعظم صوته
فيهم ويذم المهلب وآل المهلب ويحاف بالله ثم استعمل يزيد على خراسان
ليخلصه وكتب كتابا ثالثا فيه خلاعه وأرسل الكتب الثلاثة مع رجل باهلي
وقال له ادفع اليه الكتاب الاول فان كان يزيد بن المهلب حاضرا فقرأ
الكتاب ورماه اليه فادفع اليه الثاني فان قرأه ورماه اليه فادفع اليه الثالث
فان قرأ الكتاب الاول ولم يرمه اليه فاحتبس الكتابين الآخرين فقدم
رسول قتيبة على سليمان وعنده يزيد بن المهلب فادفع اليه الكتاب الاول
فقرأه ورماه الى يزيد فادفع اليه الثاني فقرأه ورماه الى يزيد فأعطاه الثالث
فقرأه فتم من وجهه واحتبس الكتاب في يده وحول الرسول الى دار الضيافة
ولما أمسى أجاز الرسول وأعطاه عهد قتيبة على خراسان فخرج حتى اذا كان
بمحوان باغ ما كان من أمر قتيبة فان قتيبة غير مطمئن الى سليمان فاجمع
رأيه على خلاعه فدعا الناس الذين معه الى ذلك فأبى عليه الناس وولوا أسرهم
وكيعاسيد بن تميم فثار على قتيبة حتى قتلوه هو واخوته واكثر بنييه . قال
رجل من عجم خراسان يا معشر العرب قتلت قتيبة والله لو كان منا فوات

فينا جعلناه في تابوت فكنا نستفتح به اذا غزونا وما صنع أحد قط بخراسان
ما صنع قتيبة الا انه قد غدر وذلك ان الحجاج كتب اليه ان اختلهم واقتلهم
وكانوا يسمون قتيبة هناك ملك العرب فانظروا كيف كانت قوة قتيبة
وسيادته في الجماعة وكيف ضاع ذلك كله بسبب هذه الفتنة التي تعجها قتيبة
وما كان ضرره لو تأني قال عبد الرحمن بن جمانة الباهلي يرثيه :

كان أبا حفص قتيبة لم يسر بجيش الى جيش ولم يعمل منزرا
ولم تخفق الرايات والقوم حوله وقوف ولم يشهد له الناس عسكرا
دعته المنايا فاستجاب لربه وراح الى الجنات عفا مطهرا
فما رزى الاسلام بعد محمد بثل أبي حفص فبكيه غيرها
وكانت قيس تزعم ان قتيبة لم يخلع وانما تجنى عليه وكيع وعلى كل حال
فان الذي حصل كان موافقا لهوى سليمان بن عبد الملك

وأما القائد الثالث وهو موسى ابن نصير فان خاتمة حياته كانت أتعس
من صاحبيه فانه قبل أن يتوفى الوليد استقدمه الى دمشق فقدم وقد مات
الوليد وكان ساجدا منجرفا عنه فعزله عن جميع الاعمال وحبسه وأغرمه مالا
عظيما لم يقدر على وفاته فكان يسأل العرب في معونته وعلى الجملة فان
خاتمة عهد سليمان لم تكن مما يسر لما أصاب هؤلاء القواد العظام من التعس
بعد حسن بالائهم

أما العامة فانهم استبشروا به لانه ازاح عنهم عمال الجور والعسف
الذين كانوا عليهم في عهد أخيه وأطلق الاسارى وخلي أهل السجون
واحسن الى الناس

الفتوح في عهده

في عهد امارة يزيد بن المهلب خراسان فتح دهستان بعد أن حاصرها مدة طويلة ثم أتى جرجان فصالحه أهلها وخالف فيهم جندا وسار إلى طبرستان فقاتله بها الاصبهيد قتالا شديداً ثم صالحه أخيراً وبينما هو محاصر طبرستان بلغه أن أهل جرجان غدروا بعامله وقتلوه هو ومن معه فعاد إليهم وفتح جرجان الفتح الأخير وقتل من أهلها مقتلة عظيمة وكان فتحه لهذه البلاد فتحة عظيمة لأنها كانت ارتدت وقطعت الطريق على المسلمين وكتب يزيد إلى سليمان بن عبد الملك (اما بعد فان الله قد فتح لأمير المؤمنين فتحة عظيمة وصنع للمسلمين احسن الصنع فلربنا الحمد على نعمه واحسانه في خلافة أمير المؤمنين على جرجان وطبرستان وقد أعيا ذلك سابور ذا الاكتاف وكسرى ابن قباد وكسرى بن هرمز وأعيا الفاروق عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن بعدهما من خلفاء الله حتى فتح الله ذلك لأمير المؤمنين كرامة من الله له وزيادة في نعمه عليه وقد صار عندي من خمس ما أفاء الله على المسلمين بعد ان صار إلى كل ذي حق حقه من الفى والغنيمة ستة آلاف الف وانا حامل ذلك لأمير المؤمنين ان شاء الله)

في بلاد الروم

في عهد سليمان سنة ٩٨ هـ جهز أخاه مسامة بن عبد الملك بجند عظيم لفتح القسطنطينية وامره أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه بها امره فجاءها وحاصرها وشتى بها وصاف ومات سليمان وهو لها محاصر

ولاية العهد

كان سليمان بن عبد الملك قد عهد لابنه ايوب فمات وهو ولى عهده
فاما مرض سليمان استشار رجاء بن حيوة في تولية عمر بن عبد العزيز
فوافقه على ذلك وكتب (باسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله
سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز اني قد وليتك الخلافة من بعدى ومن
بعدك يزيد بن عبد الملك فاسمعوا له واطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطعم
فيكم عدوكم) وختم الكتاب وامر بجمع أهل بيته فلما اجتمعوا قال لرجاء اذهب
بكتابي هذا اليهم فان خبرهم ان هذا كتابي وأمرهم فليبايعوا من وليت
فبايعوا كلهم من غير أن يعلموا من سماه
وفاة سليمان

يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة ٩٩ توفي سليمان بن عبد الملك بدا بق
من أرض قنسرين بعد أن حكم سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام وكانت سنه
اذ توفي ٤٥ سنة



المحاضرة التاسعة والثلاثون

عمر — يزيد الثاني

عمر

٨

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان ولد سنة ٦٢ هجرية وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك باستخلافه إياه

لما مات سليمان خرج رجاء بعهد الذي لم يكن فتح وجمع بني أمية في مسجد دابق وطلب منهم المبايعة مرة ثانية لمن سماه سليمان في كتابه فلما تمت بيعتهم أخبرهم بوفاء أمير المؤمنين وقرأ عليهم الكتاب ولما انتهى أخذ بضبعي عمر فاجلسه على المنبر وهو يسترجع لما وقع فيه وهشام بن عبد الملك يسترجع لما أخطأه

ولما تمت البيعة أتى بمراكب الخلافة البراذين والخليل والبغال ولكل دابة سائس فقال ما هذا قالوا مراكب الخلافة قال دابتي أوفق لي وركب دابته فصرفت تلك الدواب ثم أقبل سائرا فقيل له منزل الخلافة فقال فيه

عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية حتى يتحولوا فأقام في منزله حتى
فرغوه بعد

كان عمر بن عبد العزيز بعيدا عن كبرياء الملوك وجبروتهم فأعاد إلى
الناس سيرة الخلفاء الراشدين الذين كانوا ينظرون إلى امتهم نظر الأب
البار ويعملون بينهم في الحقوق ويعفون عن أموال الرعية والدنيا عندهم
أهون من أن يهتم بجمعها. كذلك كان عمر بن عبد العزيز
في أول خلافته أرسل كتابا عاما إلى جميع العمال بالامصار هذه نسخته
(أما بعد فإن سليمان بن عبد الملك كان عبدا من عبيد الله أنعم الله عليه
ثم قبضه واستخلفني ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان وإن الذي
ولاني الله من ذلك وقدر لي إيس على بهين ولو كانت رغبتى في اتخاذ
أزواج واعتقال أموال كان في الذي أعطاني من ذلك ما قد بلغ بي أفضل ما بلغ
بأحد من خاتمه وأنا أخاف فيما ابتليت به حسا باشه يداوم مسألة غليظة الامعاء في
الله ورحم وقد بايع من قبلنا فبايع من قبلك) وهذا الكتاب ينبيء عن
حقيقة الرجل وتواضعه وبعده عن الزهو والكبرياء وشعوره بعظيم ما ألقى
عليه من أمر المسلمين

مما يدل على حبه للعدل والوفاء أن أهل سمرقند قالوا لعاملهم سليمان
ابن أبي السرح إن قتيبة غدر بنا وظلمنا وأخذ بلادنا وقد أظهر الله العدل
والانصاف فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين يشكون ظلامتنا فإن
كان لنا حق أعطيناه فإن بنا إلى ذلك حاجة فأذن لهم فوجهوا منهم قوما
إلى عمر فأما علم عمر ظلامتهم كتب إلى سليمان يقول له إن أهل سمرقند

قد شكوا ظلما أصابهم وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم
فاذا أتاك كتابي فاجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فان قضى لهم فأخرجهم
الى معسكرهم كما كانوا كنتم قبل ان ظهر عليهم قتيبة فاجلس لهم سليمان
جميع بن حاصر القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند الى معسكرهم
وينابذوهم على سواء فيكون صاحباً جديداً أو ظرفراً عنوة : فقال أهل الصفد
بل نرضى بما كان ولا نجد حرباً لان ذوى رأيهم قالوا قد خالطنا هؤلاء
القوم وأقمنا معهم وأمنونا وأمناهم فان عدنا الى الحرب لاندري لمن يكون
الظفر وان لم يكن لنا كننا قد اجتلبنا عداوة في المنازعة فتركوا الامر على
ما كان ورضوا ولم ينزعوا : وهذا عمل لم نعلم ان أحدا وصل في العدل اليه
ومما يبين رفته بالامة وميله الى جمع كلمتها أن خارجة خرجت عليه
بالعراق فكتب الى عامله يأمره أن لا يحررهم الا ان يسفكوا دماً او يفسدوا
في الارض فان فعلوا فخل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً صليبا حازماً فوجهه
اليهم ووجهه معه جنداً وأوصه بما امرتك فجهز لهم الفين عليهم محمد بن جرير
ابن عبد الله البجلي وكتب عمر الى رئيس الخارجة واسمه بسطام من بني
يشكر يدعو ويأمره عن سبب خروجه فيجاء كتاب عمر ومحمد بن جرير
وكان كتاب عمر « بلغني انك خرجت غضباً لله ولنبيه ولست باولى بذلك
مني فاهل انظرك فان كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس وان
كان في يدك نظرنا في امرنا » فكتب بسطام الى عمر قد انصفت وقد بعثت
اليك رجلين يدارسانك وينظرانك . ولما وصل هذان الرجلان الى
عمر ناظرهما فقال لهما عمر ما اخرجكما هذا المخرج وما الذي تقمتم . فقال

المتكلم ما قمنا سيرتك انك لتتحرى العدل والاحسان فأخبرنا عن قيامك بهذا الامر أعن رضا من الناس ومشورة أم ابتزتم أمرهم : فقال عمر ما سألهم الولاية عليهم ولا غلبتهم عليها وعهد الى رجل كان قبلى فقامت ولم ينكره على احد ولم يكرهه غيركم وانتم ترون الرضا بكل من عدل وانصف من كان من الناس فاتركونى ذلك الرجل وان خالفت الحق ورغبت عنه فلا طاعة لى عليكم . فقال بيننا وبينك أمر واحد رأيناك خالفت أعمال أهل بيتك وسميتها مظالم فان كنت على هدى وهم على ضلالة فالعنهم وابرامهم فقال عمر قد عامت انكم لم تخرجوا طلبا للدنيا ولكنكم اردتم الآخرة فأخطأتم طريقها ان الله عز وجل لم يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم لعانا وقال ابراهيم (فمن اتبعني فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) وقال الله عز وجل (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) وقد سميت أعمالهم ظلما وكفى بذلك ذما ونقصا وليس لعن اهل الذنوب فريضة لا بد منها فان قلم انها فريضة فأخبرنى متى لعنت فرعون قال ما أذكر متى لعنته قال افسعك ان لا تاعن فرعون وهو اخبث الخلق وشرهم ولا يسعنى الا أن ألعن أهل بيتى وهم مصلون صائمون — قال اما هم كفار بظلمهم قال لا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى الايمان فكان من اقربه وبشرائه قبل منه فان احدث حدثا اقيم عليه الحد فقال الخارجى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى توحيد الله والافرار بما نزل من عنده قال عمر فليس احد منهم يقول لا أعمل بسنة رسول الله ولكن القوم اسرفوا على انفسهم على علم منهم أنه محرم عليهم ولكن غالب عليهم

الشقاء — قال الخارجي فابراً مما خالف عملك ورد احكامهم قال عمر اخبرني
عن ابي بكر وعمر أيسا على حق قال بلي قال اتعلم أن ابا بكر حين قاتل
أهل الردة سفك دماءهم وسبي الذراري وأخذ الاموال قال بلي قال اتعلم
أن عمر رد السبايا بعده الى عشائهم بفدية قال نعم قال فهل برىء عمر
من ابي بكر قال لا قال افتبرؤن انتم من واحد منهما قال لا قال فأخبرني
عن اهل النهر وان وهم اسلافكم هل تعلم أن اهل الكوفة خرجوا فلم
يسفكوا دماً ولم يأخذوا مالا وان من خرج اليهم من اهل البصرة قتلوا
عبد الله بن خباب وجاريته وهي حامل قال نعم — قال فهل برىء من لم
يقتل ممن قتل واستعرض قال لا قال أفتبرؤن انتم من إحدى الطائفتين
قال لا قال افيسعكم أن تتولوا أبا بكر وعمر واهل البصرة وأهل الكوفة
وقد علمتم اختلاف اعمالهم ولا يسعني الا البراءة من اهل بيتي والدين واحد
فاتقوا الله فانكم جهال تقبلون من الناس مارد عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتردون عليهم ما قبل وياً من عندكم من خاف عنده ويخاف عندكم من امن
عنده فانكم يخاف عندكم من يشهد أن لا اله الا الله أن محمد عبده ورسوله وكان من
فعل ذلك عند رسول الله آمنا وحقن دمه وماله وانتم تقتلونه وياً من عندكم سائر
اهل الاديان فتحرمون دماءهم وأموالهم فقال الخارجي أرايت رجلاً ولي قوماً
وأموالهم فعدل فيها ثم صيرها بعده الى رجل غير ما مؤمن اتراه ادى الحق
الذي يلزمه الله عز وجل أو تراه قد سلم قال عمر لا قال افتسلم هذا الامر
الى يزيد من بعدك وانت تعرف أنه لا يقوم فيه بالحق قال انما ولاه غيري

والمسلمون أولى بما يكون منهم فيه بعدى قال افتري ذلك من صنع من
ولاه حقاً . وكان هذا السؤال الأخير محرراً لعمر فطلب النظرة في الإجابة عنه
وكانت هذه المناظرة سبباً لأن أحد الرسولين شهد أن عمر على حق
واقام عنده فامر له بالعطاء أما الثانى فقال ما أحسن ما وصفت ولكنى
لأفتات على المسلمين بأمر اعرض عليهم ما قلت واعلم ما حجتهم . فانظروا
كيف فعل عمر مع هؤلاء الناس لما علم أنهم إنما خرجوا طلباً للآخرة ولاكنهم
أخطأوا طريقها فإنه طلبهم وناظرهم ليعلمهم الحق ويكشف لهم عن أمره
وهذا من نهاية الرفق عن أمته

ومن أعماله العظيمة تركه لسب على بن أبي طالب على المنابر وكان
بنو أمية يفعلونه فتركه وكتب إلى الامصار بتركه وكان الذي وقر ذلك في قلبه
أنه لما ولى المدينة كان من خاصته عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
من فقهاء المدينة فبلغه عن عمر شيء عما يقوله بنو أمية فقال عبيد الله متى علمت
أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضى عنهم فقال لم اسمع
ذلك قال فما الذى بلغني عنك في على فقال عمر معذرة إلى الله وإليك وترك
ما كان عليه فلما استخلف وضع مكان ذلك (ان الله يأمر بالعدل والإحسان
وايتاء ذى القربى ويمنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)
فأى شر رفع وأى خير وضع وقال في ذلك كثير عزة :

وليت قلم تشتم عليا ولم تخف	بريأ ولم تتبع مقالة مجرم
تكلمت بالحق المبين وإنما	تبين آيات الهدى بالتكلم
وصدقت معروف الذى قلت بالذى	فعلت فاضحي راضيا كل مسلم

الا انما يكفى الفتى بعد زيغهِ من الاود البادى ثقاف المقوم
ومن اصلاحه أمره بعمل الخانات فى البلدان القاحية فقد كتب الى
سليمان بن ابى السرى أن اعمل خانات فن مربك المسلمين فاقروه يوما
وليلة وتعهّدوا دوابهم ومن كانت به علة فاقروه يومين وليلتين وان كان
منة طعما فأبلغه بلده

ومما يذكر به أنه ابطال مغارم كثيرة كانت قد استحدثت في عهد
الحجاج بن يوسف فقد كتب الى امير العراق (اما بعد فان اهل الكوفة
قد اصابهم بلاء وشدة وجور فى احكام الله وسنة خبيثة سنها عليهم عمال
السوء وان قوام الدين العدل والاحسان فلا يكون شىء اهم اليك من
نفسك فلا تحملها قليلا من الاثم ولا تحمل خرابا على عامر وخدمته ماطاق
واصلاحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج فى رفق
وتسكين لاهل الارض ولا تأخذ أجور الضرايين ولا هدية النوروز
والمهرجان ولا ثمن الصحف ولا اجور الفتوح ولا اجور البيوت ولا درهم
النكاح ولا خراج على من اسلم من اهل الذمة فاتبع فى ذلك أمرى فانى قد
وليتك من ذلك ما ولانى الله) : ومما فعله انه نهى عن تنفيذ حكم بقتل أو قطع
الا بعد ان يراجع فيه بعد ان كانت الدماء قبله تراق من غير حساب بل
على حسب هوى الامير وما ذكر الحجاج عنكم ببعيد ومن الحكمة أن لا يتساهل
فى مثل هذه الحدود وضم رأى الخليفة الى رأى القاضى الذى حكم ضمان
كبير لان يكون الحكم قد وقع موقعه

رده المظالم لاهلها — لما ولى الخلافة احضر قريشا ووجوه الناس فقال

لهم ان فذك كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يضعها حيث اراد الله ثم وليها أبو بكر وعمر كذلك ثم أقطعها مروان ثم انها قد صارت الى ولم تكن من مالى أعود منها على واني أشهدكم اني قد رددتها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال اولاه مزاحم ان اهلى اقطعوني ما لم يكن لى أن آخذ ولا لهم أن يعطوني به واني قد هممت برده علي أربابه قال فكيف تصنع بولدك فجرت دموعه وقال اتكلمهم الى الله فخرج مزاحم حتى دخل على عبد الملك بن عمر فقال له ان امير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا وهذا امر بضركم وقد نهيته عنه فقال عبد الملك بئس وزير الخليفة أنت ثم قام فدخل على ابيه وقال ان مزاحما اخبرني بكذا وكذا فما رأيك قال اتى اردت ان اقوم به العشية وقال عجلة فما يؤمنك ان يحدث لك حدث أو يحدث بقلبك حدث فرفع عمر يديه وقال الحمد لله الذى جعل من ذريتي من يعينني على ديني ثم قام من ساعته فى الناس فردها . وأخذ من اهله ما بأيديهم وسمى ذلك مظالم ففرع بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فأنته فقالت تكلم يا امير المؤمنين فقال ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة ولم يبعثه عذابا الى الناس كافة ثم اختار له ما عنده وترك للناس نهرا شربهم سواء ثم ولى ابو بكر فترك النهر على حاله ثم ولى عمر فعمل عماها ثم لم يزل النهر يستقى منه يزيد ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسابان حتى افضى الامر الى وقد يبس النهر الاعظم فلم يرد أصحابه حتى يعود الى ما كان عليه فقالت حسبك قد اردت كلامك فلما اذا كانت مقاتلك هذه فلا اذ كر شيئا ابدا فرجعت اليهم فاخبرتهم كلامه

وقالت اتم فعلتم هذا بانفسكم تزوجتم باولاد عمر بن الخطاب فجاء يشبهه
جده فسكتوا

لما ولي عمر قال للناس في خطبة «من صحبنا فليصحبنا بخمس والا فلا
يقربنا يرفع الينا حاجة من لا يستطيع رفعها ويعيننا على الخير بجده : ويدلنا
من الخير على ما نهتدى اليه : ولا يغتابن أحدا : ولا يعترض فيما لا يعنيه »
فانتشم الشعراء والخطباء وثبت عنده الفقهاء والزهاد وقالوا ما سمعنا أن
تفارق هذا الرجل حتى يخالف قوله فعله

كان عمر غير مترف فكان مصرفه كل يوم درهمين وكان يتنشف في
ملبسه كجده عمر بن الخطاب ولم يتزوج عمر غير فاطمة بنت عبد الملك
ابن مروان وكان اولاده يعينونه على الخير وكان اشدهم معونة له ابنه
عبد الملك فلما مرض مرضه الذي توفي فيه دخل عليه عمر فقال يا بنى كيف
تجدك قال اجديني في الحق قال يا بنى ان تكون في ميزاني احب الى من ان اكون في
ميزانك فيقال يا أباه لان يكون ما تحب احب الى من ان يكون ما أحب فأت في
مرضه وله سبع عشرة سنة قال مرة لا ييه يا امير المؤمنين ما تقول لربك اذا اتيت
وقد تركت حقا لم تحييه أو باطلا لم تمته فقال يا بنى ان اجدادك قد دعوا الناس
عن الحق فانتهمت الامور الى وقد اقبل شرها وادبر خيرها ولكن أليس
حسنا وجميلا الا تطلع الشمس على في يوم الا أحييت فيه حقا وامت
باطلا حتى ياتيني الموت وأنا على ذلك

وعلى الجملة فان عمر بن عبد العزيز من افراد الخفاء الذين لا يسمح

فيهم القدر كثيرا . ويرى المسلمون ان عمر هو الذي بعث على رأس المئة
الثنائية ليحدد للامة امر دينها كما جاء في حديث « ان الله يبعث على رأس
كل مئة سنة من يحدد لهذه الامة امر دينها »

وربما يسال عمن اكتسب عمر هذه الاخلاق وهو في بيئة المترفين
والاخلاق انما تكتسب من البيئة التي يعيش فيها الانسان فنقول ان عمر
ابن عبد العزيز أرسله أبوه الى المدينة وهو صغير فربى فيها بين فقهاء
وصالحائها فاكسب منهم حسن الخلق ومحبة الامة والعفة عن اموالها والرافة
بها . قال محمد بن علي الباقر ان لسكل قوم نجبية وان نجبية بنى امية عمر بن
عبد العزيز وانه يبعث يوم القيامة امة وحده وقال مجاهد اتينا عمر نعلمه
فلم نبرح حتى تعلمنا منه وقال ميمون كانت العامة عند عمر تلامذة وقال
عمر ما كذبت مذامات ان الكذب يضر اهله

لم يحدث في عهد عمر شيء من الحوادث الداخلية المهمة الا ما كان
من القبض على يزيد بن المهلب واحضاره الى عمر فسأله عن الاموال التي
كتب بها الى سليمان بن عبد الملك فقال كنت من سليمان بالمكان الذي
قيد رأيت وانما كتبت الى سليمان لاسمع الناس وقد علمت أن سليمان لم
يكن ليأخذني به فقال لا أجد في امرك الا حبسك فاتق الله واد ما قبلك
فانها حقوق المسلمين ولا يسعى تركها وحبس بحسن حلب فجاء عمر فخلد
يزيد بن المهلب فقال يا امير المؤمنين ان الله منح هذه الامة بولايتك وقد
اتلينا بك فلا نكن نحن اشقى الناس بولايتك علام تحبس هذا الشيخ
أنا حمل ما عليه فصالحني على ما تسأل فقال عمر لا الا أن تحمل الجميع فقال

يا امير المؤمنين ان كانت لك بينة فخذ بها والا فصدق مقالة يزيد واستعاضه فان لم يفعل فصالحه فقال عمر ما آخذه الا بجميع المال فخرج مخلد من عنده ولم يلبث ان مات فعلى عليه عمر بن عبد العزيز واستمر المهلب في سجنه حتى اذا احس بقرب موت عمر أعد للهرب عدته خوفا من يزيد ابن عبد الملك لانه كان قد حارب آل ابي عقيل وهم اصهار يزيد لانه كان متزوجا ببنت أخى الحجاج وهرب ابن المهلب قاصداً البصرة وكتب الى عمراني والله لو وثقت بحياتك لم اخرج من محبسك واسكني خفت أن يلى يزيد فيقتلني شر قتلة فورد الكتاب وبعمر ومق فقال اللهم ان كان يريد بالمسلمين سوء فالحقه بي وهضه فقد هاضني

ومن الحوادث الخارجية في عهده انه كتب الى ملوك السند يدعوم الى الاسلام وقد كانت سيرته باعتمهم فاسلم ملوك السند وتسموا باسماء العرب

واستقدم مسلمة بن عبد الملك من حصار القسطنطينية وامر اهل طرندة بالانقول عنها الى ملطية وطرندة داخله في البلاد الرومية من ملطية بهلات مراحل وكان عبد الله بن عبد الملك قد اسكنها المسلمين بعد ان غزاها سنة ٨٣ و ملطية يومئذ خراب وكان يأتيهم جند من الجزيرة يقيمون عندهم الى ان ينزل الشلج ويعودون الى بلادهم فلم يزالوا كذلك الى ان ولي عمر قاهرهم بالعود الي ملطية واخلي طرندة خوفا على المسلمين من العدو وأخرب طرندة

وفاة عمر بن عبدالعزيز

في ٢٥ رجب سنة ١٠١ توفي عمر بن عبدالعزيز بدير سمعان وكانت مدته سنتين وخمسة اشهر واربعة أيام وجاء خطأ في تقويم مختار باشا المصري أربعة عشر يوما بدل أربعة ايام لانه ذكر وفاة سليمان في ٢١ صفر سنة ٩٩ وبين هذا التاريخ ووفاة عمر ما ذكرناه الا انه ذكر في بعض الروايات ان سليمان توفي لعشر ماضين من صفر بدل بقين منه واذا كان ذلك صح أن تكون لا ايام أربعة عشر ولكن مختار باشا لم يتبع هذه الرواية في موت سليمان بل ذكر وفاته في ٢١ صفر



يزيد الثاني

٩

هو يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٦٥ وعهد اليه سليمان بن عبد الملك بالخلافة بعد عمر بن عبد العزيز فلما توفي عمر بويج بها فلما تولى عمه الى كل صالح فعلمه عمر فاعاده الى ما كان عليه وهو اول خليفة من بني أمية عرف بالشراب وقتل الوقت في معاشرة القيان

وفي اول عهده كانت فتنة يزيد بن المهلب فانه لما هرب من محبس عمر وبلغه موته وخلافة يزيد بن عبد الملك قصد البصرة وعليها عدى بن اربعة فاستولى عليها وعلى ما يليها من فارس والاهواز فبعث اليه يزيد بن عبد الملك جيشا عظيما يقوده اخوه مسامة بن عبد الملك . خطب ابن المهلب اهل البصرة واخبرهم انه يدعوهم الى كتاب الله وسنته وحشهم على الجهاد وزعم ان جهاد اهل الشام اعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم فسمعه الحسن البصري سيد فقهاء اهل البصرة فقال والله لقد رأيتك واليا وموليا عليك فما ينبغي لك ذلك فقام اليه أناس فاسكتوه خوفا من ان يسمعه بن المهلب :

وروى الطبري ان الحسن مر على الناس وقد اضطفوا صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون خروج ابن المهلب وهم يقولون يدعونا الى سنة العمرين فقال الحسن انما كان يزيد بالامس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها الى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء القوم رضاهم

فاما غضب غضبة نصب قصبا ثم وضع عليها خرقا ثم قال انى قد خالفتم
تخالفوهم قال هؤلاء القوم نعم وقال انى ادعوكم الى سنة العمرين وان من سنة
العمرين ان يوضع قيد في رجله ثم يرد الى محبس عمر الذى فيه حبسه

ثم ان يزيد خرج من البصرة حتى أتى واسطا فاقام بها اياما ثم سار
منها حتى التقى بجنود مسامة فكانت بين الفريقين موقعة هائلة قتل فيها
يزيد بن المهلب وأخوه حبيب وانكشف من كان معه من الجنود ولما تم
ذلك سار آل المهلب عن البصرة وحملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية
حتى اذا كانوا حيال كرمان خرجوا من سفنهم وحملوا عيالاتهم وأموالهم
على الدواب حتى اذا انتهوا الى قننداييل لحقهم الجند الذى امر باتباعهم
فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم الا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل بن
المهلب فانهما نجوا : وبهذا انتهت أسرة عظيمة كان فيها من قواد الجند
بالدولة الاموية من تتباهى الائم بهم ولما تم على يدى مسامة بن عبد الملك
اخذ هذه الفتنة ولأه اخوه العراقيين ثم عزله بعد بعمر بن هبيرة الفزارى
فقال فى ذلك الفرزدق الشاعر

راحات بمسامة الركاب مودعا	فارعى فزارة لا هنالك المرتع
عزل ابن بشر وابن عمرو قبله	واخو هراة لمثلها يتوقع
وقد علمت أن فزارة أمرت	أن سوف تطمع في الامارة اشجع
من خلق ربك ما هم ولمثلهم	في مثل مانالت فزارة تطمع

يعنى بأبن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان وبابن عمرو محمد بن عمر

ابن الوليد وبأخي هراة سعيد خدينة بن عبد العزيز وكان عاملا لمسامة
على خراسان

وولى ابن هبيرة سعيدا الحرثي على خراسان وكانت له مع الصفد
أهل سمرقند وقائع عظيمة من كثرة ما انقضوا كاد يستأصلهم فيها
وفي عهده دخل جيش المسلمين بلاد الخزر من أرمينية وعليهم ثبيت
النهراني فاجتمعت الخزر في جمع كثير واعانهم قفجاق وغيرهم من انواع
الترك فلقوا المسلمين بمكان يعرف بمرج الحجارة فاقتتلوا هناك قتالا شديدا
فقتل من المسلمين بشر كثير واحتوت الخزر على عسكرهم وغنموا جميع
ما فيه واقبل المنهزمون الى الشام فقدموا على يزيد بن عبد الملك وفيهم ثبيت
فوبخهم يزيد على الهزيمة فقال يا امير المؤمنين ما جئنت ولا نكبت عن لقاء
العدو ولقد اصقت الخيل بالخيول والرجل بالرجل ولقد طاعنت حتى انقصف
رحى وضاربت حتى انقطع سيفي غير ان الله تبارك وتعالى يفعل ما يريد
ولما غلب الخزر هذه المرة طمعوا في بلاد المسلمين فجمعوا وحشدوا واستعمل
يزيد الجراح بن عبد الله الحكمي حينئذ على أرمينية وامده بجيش كثيف
وامره بغزو الخزر وغيرهم من الاعداء فسار الجراح حتى وصل برذعه
وبعد ان استرح سار نحو الخزر فعبى نهر السكرو ولما وصل الى مدينة الباب
والابواب لم يجد فيها احدا من الخزر فدخلها بغير قتال ثم اقبل اليه الخزر
وعليهم ابن ماسكهم فقاتلهم الجراح وظفر بهم ظفرا عظيما ثم سار حتى نزل
على حصن يعرف بالحصين فنزل اهله بالامان على مال يحملونه فامنهم وتسلم
حصنهم ونقاهم عنه ثم سار الى بلنجر وهو حصن عظيم من حصونهم

فنازله وافتتجه عنوة بعد قتال زاعث فيه الالبصار ثم ان الجراح اخذ اولاد
صاحب بلنجر وأهله وأرسل اليه خضر ورد اليه امواله وأهله وحصنه وجهله
عينا لهم يخبره بما يفعل العدو ثم سار عن بلنجر فنزل على حصن او بندر وبه
نحو أربعين ألفاً من الترك فصالحوا الجراح على مال يؤدونه وعلى الجملة فقد
كان الجراح أعظم الولاة أثراً وفتحاً في تلك البلاد القاصية

ولاية العهد

كان يزيد يريد تولية ابنه الوليد من بعده فقبل له انه صغير فولى أخاه
هشاماً ومن بعده ابنه الوليد

وفاة يزيد

لخمس ليال بقين من شعبان سنة ١٠٥ توفي يزيد بن عبد الملك بالبلقاء
من ارض دمشق وسنه يومئذ ثمان وثلاثون سنة وقد أقام خليفة أربع سنين
وشهراً من ٢٥ رجب سنة ١٠١ الى ٢٥ شعبان سنة ١٥٠



المواضعة الاربعون

هشام — الاحوال الداخلية في عهده — صفته ووفاته — الوليد الثاني.

يزيد الثالث — مروان الثاني

١٠ ﴿ هشام ﴾

هو هشام بن عبد الملك بن مروان عاشر الامويين وسابع المروانيين. ولد سنة ٩٢ من الهجرة وكان ابوه عبد الملك اذ ذاك يحارب مصعب بن الزبير وامه عائشة بنت هشام بن اسماعيل الخزومية. وكان حين مات أخوه يزيد مقيماً بحمص وهناك جاءه البريد بالعصا والخاتم وسلم عليه بالخلافة فأقبل حتى أتى دمشق وتمت له البيعة فأقام خليفة الى سادس ربيع الاول سنة ١٢٥ أي تسع عشرة سنة وستة أشهر واحد عشر يوماً وكان هشام معدوداً من خير خلفاء بني أمية ولعمري ان من كان من خلقه الحلم والعفة لجدير بذلك الاحوال الداخلية في عهده

في العراق والشرق — كان أمير العراق حين ولي هشام عمر بن هبيرة وكان لهشام فكر حسن في أهل اليمن فعزل ابن هبيرة وولى بدله خالد بن عبد الله القسري وهو قحطاني. فاختار لولاية خراسان أخاه أسد ابن عبد الله واستعمل الجنيد بن عبد الرحمن على السند

فأما أسد بن عبدالله فقد كان هماماً مقدماً غزاً في أول ولايته النور وهو
جبال هراة فغنم : وفي سنة ١٠٧ نقل من كان بالبروقان من الجند إلى باغ واقطع
كل من كان له بالبروقان مسكناً بقدر مسكنه ومن لم يكن له مسكن اقطعه مسكناً
وتولى بناء مدينة باغ برمك أبو خالد بن برمك وبينها وبين البروقان فرسخان :
وكان من عيوب أسد أنه تعصب لقومه من قحطان على مضر فأفسد الناس ضرب
نصر بن سيار ونفرامعه بالسياط منهم عبد الرحمن بن نعيم وسورة بن الحر
والبختري بن أبي درهم وحلق رءوسهم وسيرهم إلى أخيه خالد وهو لاء ثم قروم
مضر فقال في ذلك الفرزدق الشاعر وهو تميمي من مضر

أخالد لولا الله لم تعط طاعة ولولا بنو مروان لم يوثقوا نصرا
إذا لاقيتهم عند شد وثاقه بنى الحرب لا كشف اللقاء ولا ضجراً
وخطب أسديوماً فقال قبح الله هذه الوجوه وجوه أهل الشقاق والنفاق

والشغب والفساد اللهم فرق بيني وبينهم وأخرجني إلى مهاجري ووطني
فبلغ فعله ذلك هشاماً فكتب إلى خالد أعزل أخاك فعزله ثم ولي هشام
خراسان أشرس بن عبد الله السامي وأمره أن يكتب خالداً وكان أشرس فاضلاً
خيلاً وكانوا يسمونه الكامل لفضله فلما قدم خراسان فرحوا به : ولأول
عهده أرسل إلى أهل سمرقند وما وراء النهر يدعوهم إلى الإسلام
على أن توضع عنهم الجزية فسارع الناس هناك إلى الإسلام فكتب
صاحب الخراج إلى أشرس أن الخراج قد انكسر فكتب أشرس إلى
أمير سمرقند أن في الخراج قوة للمسلمين وقد بلغني أن أهل الصغد
وأشباههم لم يسموا رغبة إنما اسموا تعوذاً من الجزية فانظر من اختن

وأقام الفرائض وقرأ متورة من القرآن فأرفع خراجها : كان رسول أشرس
الى الصغد بدعوة الاسلام أبا الصيداء صالح بن طريف فلما رأى الحال
يطالبون من أسلم بالجزية منهم من ذلك فاجوا وبلغ وكانت النتيجة ان
عصى أهل الصغد وأعانهم أبو الصيداء ومن كان معه فاحتال أمير جند
أشرس على أبي الصيداء وبقية الرؤساء الذين ساعدوه حتى جى بهم
خبيثهم واستخف بعد ذلك بعطاء العجم والدهاقين فكفر أهل الصغد
واستجابوا الترك فأعانوهم . لما علم بذلك أشرس خرج غازيا في جنوده
حتى عبر النهر من عند أمل فأقبل اليه الصغد والترك وكانت بين الفريقين
موقعة عظيمة كاد المسلمون يهزمون فيها لولا ان رجعوا فثبتوا حتى هزموا
عدوهم : ثم سار أشرس حتى نزل بيكنند فقطع العدو عنهم الماء وكادوا
يهلكون عطشا لولا أن انتدب شجعانهم الى الترك فأزالوهم عن الماء واستبقى
الناس ثم غلبوهم على مواقعهم فأزالوهم عنها وهزموهم

فذهب خاقان الى مدينة كرجة وهى من أعظم بلدان خراسان وبها
جمع من المسلمين ومع خاقان أهل فرغانة وأفشينة ونسف وطوائف من
أهل بخارى فأغلق المسلمون الباب وقطعوا القنطرة التى على الخندق
واستماتوا فى المدافعة عن حصنهم مع قلة عددهم وساعدتهم على الدفاع نساؤهم
وصبيانهم ولما رأى ذلك خاقان أرسل الى من بالمدينة يقول لهم انه ليس من
رأينا أن نرتحل عن مدينة محاصرها حتى نفتتحها فترحلوا أنتم عنها فقالوا له
ليس من ديننا أن نعطي ما بأيدينا حتى نقتل فاصنعوا ما بدا لكم
ثم اتفق معهم خاقان أخيرا على أن يرحل عنهم ثم يرحلوا هم عن

كرجة الى سمرقند أو الدبوسية فأخذ المسلمون من الترك رهائن أن لا يعرضوا لهم وأخذ الترك رهائن من المسلمين فخرج أهل كرجة الى الدبوسية ثم أطلقوا رهائن الترك وأطلق الترك رهائن المسلمين

وفي سنة ١١١ عزل هشام أشرس بن عبد الله عن خراسان واستعمل بدله الجنيد بن عبد الرحمن المردى فلما جاء خراسان فرق عماله ولم يستعمل الا مضريا

وفي سنة ١١٢ خرج غازيا يريد طخارستان فوجه جندا عدده ثمانية عشر ألفا الى طخارستان وجندا عدده عشرة آلاف الى وجه آخر فكتب اليه أمير سمرقند أن خاقان ملك الترك قد جاش فخرجت اليهم فلم أطق أن أمنع حائط سمرقند فالغوث الغوث فأمر الجنيد الجنيد بعبور النهر . فقال له ذوو الرأي ممن معه ان أمير خراسان لا يعبر النهر في اقل من خمسين ألفا وأنت قد فرقت جنديك : قال فكيف بسورة (أمير سمرقند) ومن معه من المسلمين لو لم اكن الا في بنى مرة او من طلع معي من الشام لعبرت ثم عبر فنزل كس وتأهب للمسير فبلغ الترك خبره فغوروا الآبار ففسار الجنيد بالناس حتى صار بينه وبين سمرقند أربعة فراسخ ودخل الشعب فصبحه خاقان في جمع عظيم وزحف اليه اهل الصغد وفرغانة والشاش وطائفة من الترك وهنا ظهرت العزائم الثابتة من قواد المسلمين فابلوا ببلاء حسنا مع قلة عددهم وكثرة عدوهم ولما اشتد القتال ورأى الجنيد شدة الامر استشار اصحابه فقال له عبد الله ابن حبيب اختر اما ان تهلك انت وسورة بن الحر : قال هلاك سورة هون على قال فاكتب اليه فليأتك في اهل سمرقند فانه اذا بلغ الترك اقباله توجهوا اليه

ثم آثلوه : فكتب الجنيد إلى سورة يأمره بالقدوم : فرحل سورة عن سمرقند في اثني عشر ألفاً فلما كان بينه وبين الجنود فرسخ واحد لقيه الترك فقاتلهم أشد قتال فانكشفت الترك وثار الغبار فلم يبصروا وكان من وراء الترك لهب فسقطوا فيه وسقط العدو والمسلمون وسقط سورة فاندقت نخذه رتفرق الناس فقتلهم الترك ولم ينبج منهم الا القليل

وكانت هذه الواقعة قد انفتت عن الجنيد ومن معه فعزم على السير إلى سمرقند فأعاد الترك عليه الكرة ولكن الواقعة الاولى قد أضعفت من قوتهم فهزمهم المسلمون ومضى الجنيد فنزل سمرقند وحمل عيال من كان مع سورة الى مرو وأقام بالصغد أربعة أشهر ثم بلغه ان خاقان قصد بخارى فسار بالجنود من سمرقند محتسماً على تعبئة فلقيته بالطريق جنود خاقان فهزمها : ولم يزل سائر حتى ورد بخارى : والمسلمون بخراسان يعدون يوم الشعب هذا من مفاخرهم لما كان من مقاومتهم لهذا العدو الكثير العدد مع ما ظهر من خطأ الجنيد في تديره

وفي سنة ١١٦ عزل الجنيد عن خراسان وولى بدله عاصم بن عبد الله الهلالي وكان هشام قد غضب على الجنيد لانه تزوج الفاصلة بنت يزيد بن المهلب فقال لعاصم ان أدركته وبهرمق فأرهب نفسه فجاء عاصم وقدمات الجنيد فأراحه الله من هذا الشر الذي صار عادة في هذه الدولة ولم يكتب عاصم بذلك بل أخذ عمال الجنيد وعذبهم وفي عهد خرج عليه الحارث بن سريج لا بسا السواد داعياً الى كتاب الله وسنة نبيه والبيعة لارضاء وتبعه خلق كثير فاستولى على بلخ والجوزجان ثم قصد مرو وبها عاصم فقايله عاصم على أبوابها فهزمه هزيمة منكرة وغرق من جنده بشر كثير في أنهار مرو وفي النهر الاعظم وهرب الحارث

لما رأى عاصم حال خراسان كتب الى هشام بن عبد الملك يقول له (أما بعد
فإن الرائد لا يكذب أهله وإن خراسان لا تصلح إلا أن تضم الى العراق وتكون
موادها ومعونتها في الاحداث والنوائب من قريب لتباعد أمير المؤمنين عنها
وتباطوء غياثه عنها) فعزل هشام عاصم عن خراسان وولاهها أسد بن عبد الله
القسري وجعلها من ضمن ولاية خالد : ولما بلغ عاصم اقبال أسد صالح الحارث
ابن سريج على أن ينزل الحارث أي كور خراسان شاء وإن يكتبها جميعاً الى هشام
يسألانه العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن أبي اجتمعوا عليه فقم
الكتاب بعض الرؤساء وأبي آخرون وقالوا هذا خلع لا مير المؤمنين فلم يتم أمر
الصالح وحصلت موقعة أخرى بين الحارث وعاصم انهزم فيها الحارث هو وأصحابه
ولما قدم أسد حبس عاصم وحاسبه وطلب منه مئة ألف درهم وأطلق عمال الجنيد
وعمل أسد في تأمين البلاد ومحاربة الخارجين جهده وله وقعة مع خاقان
ملك الترك بالقرب من مدينة الجوزجان انهزم فيها الترك وغنم المسلمون كل ما كان
في معسكرهم ثم رجع إلى بلخ وكانت قاعدة عمله : ثم إن خاقان قتل عقب هذه
الواقعة فاشتغلت الترك بأنفسها بعد هلاكه وأقبلوا يغير بعضهم على بعض :
وأرسل أسد مبشراً الى هشام بما فتح الله عليهم وبقتل خاقان فسجد هشام شكراً
وفي سنة ١١٩ غزا أسد الختل وغلب على قلعته العظمى وفرق العسكر
في أودية الختل فلبثوا أيديهم من الغنائم والسبي وهرب أهله الى الصين :
وفي سنة ١٢٠ توفي أسد ببلخ وكان من خيرة الولاة بخراسان وأبعدهم همة
وأشدهم شكيمة

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالداً القسري عن العراق لوشاية

أثرت في نفسه وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي وكان عاملاً على اليمن فسار حتى أتى الكوفة في جمادى الآخرة سنة ١٢٠ وكان من أول عمله أنه قبض على خالد وحبسها وقبض على عماله حسب تلك السنة القبيحة المشؤمة

وكان يوسف بن عمر هذا من ذوي الأخلاق المتناقضة كان طويل الصلاة ملازماً للمسجد ضابطاً لحشمه وأهله من الناس لين الكلام متواضعاً حسن الملكة كثير التضرع والدعاء فكان يصلي الصبح ولا يكلم أحداً حتى يصلي الضحى ومع هذا كان شديد العقوبة مسرفاً في ضرب الأشرار فكان يأخذ الثوب الجديد فيمر ظفراً عليه فان تعاقب به طاقة ضرب ما حبه وربما قطع يده وله في الحمق نواذر كثيرة

ولى خراسان نصر بن سيار ولده هشام وأمره أن يكاتب يوسف بن عمر وفي ولاية يوسف خرج بالكوفة زيد بن علي بن الحسين وسبب خروجه ظلم يوسف بن عمر وسوء تدبيره وكان زيد قد بايعه كثير من أهل الكوفة سرّاً قيل ١٥ ألفاً وقيل أربعون وقد نصحه بعض بني عمه بعدم الخروج لأن أهل الكوفة لا يعتمد عليهم فلم يصنع : وبلغت الأخبار يوسف بن عمر وهو بالحيرة فتهيباً له ولما علم بذلك أهل الكوفة جاؤا زيدا وقالوا له : ما قولك في أبي بكر وعمر قال رحمه الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يقول فيهما إلا خيراً وإن أشد ما أقول فيما ذكرتم أنا كنا أحق بساطن ما ذكرتم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الناس أجمعين فدفعوا ناعته ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً وقد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة قالوا فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك يظلموك فلم تدعوا إلى قتالهم : فقال إن هؤلاء ليسوا كأولئك هؤلاء ظالمون

لى ولكم ولا أنفسهم وإنما ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
والى السنن أن تحيا والى البدع أن تطفأ فان أجبتهمونا سعدتم وان أبيتهم
فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا سبق الامام يعنون محمداً
الباقر وكان قد مات فسماهم زيد الرافضة . وفي الليلة التى كان قد اتفق معهم
على الخروج فيها لم يأتها اكثر من مئتي نفس ولم يكن القتال الذى قاموا به
مما يورثهم دولة لقلة عددهم وانتهى الامر بقتل زيد ودفنه أصحابه فدل
يوسف على موضع قبره فأخرجه وأمر أن يصلب بالكناسة وسير رأسه
الى هشام فصلب على باب دمشق : والى زيدها تنسب الشيعة الزيدية وهم
كثيرون ببلاد اليمن

أما نصر بن سيار عامل خراسان فله غزوات إلى ما وراء النهر كان له
فيها النصر دائماً : ووضع الجزية عمن أسلم من العجم ، وانتهت مدة هشام
ويوسف بن عمر على العراق ونصر على خراسان

في أرمينية وأذربيجان — كان أمير أرمينية وأذربيجان الجراح بن
عبد الله الحكيم وكان له غزوات الى ما وراء بلنجر وفي سنة ١٠٧ عزل
هشام وولى بدله مسامة بن عبد الملك فارسل مسامة نائباً عنه وهو الحارث
بن عمر الطائي فافتتح من بلاد الترك رستاقا وقرى كثيرة وأثريها أثراً حسناً
وفي سنة ١١٠ سار مسامة الى الترك من باب اللان فلقى ملكهم فى جموعه
فاقتتلوا قريباً من شهر وكانت الهزيمة على الترك

وفي سنة ١١١ عزل هشام مسامة ورد الجراح فدخل بلاد الخزر من
ناحية تفليس ففتح مدينتهم البيضاء وانصرف سالماً فجمعت الخزر جموعها

واحتشدت وساعدتهم الترك من ناحية اللان فلقبهم الجراح فيمن معه من أهل الشام فاقتتلوا أشد قتال رآه الناس فصبر الفريقان وتكاثر الخزر والترك على المسلمين فقتل الجراح ومن معه بمرج أردبيل : وبذلك طمع الخزر في البلاد وأوغلوا فيها حتى قاربوا الموصل وعظم الخطب فلما علم ذلك هشام استعمل على تلك البلاد سعيداً الحرشي واتبعه بالجنود ولما وصل ارزن لقيته فلول الجراح فأخذهم معه حتى وصل الى خلاط فافتتحها عنوة ثم سار عنها وفتح القلاع والحصون شيئاً بعد شيء الى أن وصل برذعة فنزلها : كان ابن ملك الترك بأذربيجان يغير على بلادها وهو يحاصر مدينة ورثان ولما بلغه وصول الحرشي رحل عنها فوصلها الحرشي وليس بها أحد فارتحل حتى أتى أردبيل وهناك بلغه أن الخزر على قرب منه ومعهم خمسة آلاف من المسلمين أسارى وسبائاً فسار اليهم ليلاً فوافاهم آخر الليل وهم نيام ففرق أصحابه في أربع جهات فكبسهم مع الفجر فما بزغت الشمس حتى جاءوا على آخرهم وأطلق الحرشي من معهم من المسلمين وأخذهم الى باجر وان : ثم تجمعت الخزر مرة أخرى ولقيها الحرشي بجهة برزند واقتتلوا قتالاً شديداً انهزم فيه الخزر هزيمة منكرة وعلى الجملة فان الحرشي أذل الخزر اذلالاً شديداً واستنقذ منهم كل ما كانوا قد استولوا عليه

وأرسل الحرشي بأخبار انتصاه الى هشام فكتب اليه هشام يأمره بالقدوم عليه وولى أرمينية وأذربيجان أخاه مسامة ثانياً فسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم وفتح مدائن وحصوناً ودان له من وراء بلنجر فاجتمعت تلك الأمم جميعها الخزر وغيرهم عليه في جمع كثير فلما

علم مسامة ذلك أمر أصحابه فأوقدوا النيران ثم تركوا خيامهم وأثقالهم وعاد هو وعسكره جريدة وقدم الضعفاء وآخر الشجعان وطووا المراحل كل مرحلتين في مرحلة حتى وصل إلى الباب والابواب في آخر رمق

وفي سنة ١١٤ قدم على هشام مروان بن محمد فشكا إليه مسامة وأنه لم يفعل شيئاً مع هذا العدو الشديد وطلب إليه أن يوليه أرمينية وأن يمدّه بمئة وعشرين ألف مقاتل ليوقع بالخزر والتركة وقعة يؤدبهم بها فاجابه إلى ذلك هشام وعزل مسامة وولي مروان الجزيرة وأرمينية وأذربيجان وسير الجنود إليه فدخل مروان بلاد الخزر وسار فيها حتى انتهى إلى آخرها وملك الخزر ينفض بمجموعه أمامه ذليلاً فاقام مروان في تلك البلاد أياماً ودخل بلاد ملك السرير فأوقع بأهله وفتح اقلاعا ودان له الملك ولما رأى أهل تلك البلاد ما عليه مروان من القوة صاحوه فعاد عنهم وكان مروان يلح على أهل تلك البلاد باظهار القوة حتى لم يكونوا يحدثون أنفسهم بحربه وخافه الترك خوفاً شديداً ودانت له جميع البلاد التي على شاطئ بحر الخزر

في الشمال

كانت الحرب لا تنقطع بين المسلمين والروم من جهة الحد الشمالي للبلاد الاسلامية ولذلك كانت حماية الثغور مما يهتم به الخلفاء جد الاهتمام ويولون أمرها كبار القواد وكانت الشواتي والصوائف دائمة الحركة وممن اشتهر بقيادة الجيوش في تلك الاصقاع مروان بن محمد (قبل أن يولي أرمينية) ومسامة بن عبد الملك ومعاوية بن هشام وسعيد بن هشام وسليمان

ابن هشام وقد افنتجوا في غزواتهم بلادنا كثيرة رومية منها قونية وخرشنة
وقيسارية وكثيرا من الحصون والقلاع

وكانت مراكب البحر لا تزال تغير على الروم من البحر وكان أمير
البحر في عهد هشام عبد الرحمن بن معاوية بن حديج ومن أكبر القواد
عبد الله بن عقبة

ومم ينبغي ذكره في حروب الروم قتل عبد الوهاب بن بخت سنة ١١٣
وكان يغزو مع عبد الله البطل أرض الروم فانهزم الناس عن البطل فحمل
عبد الوهاب وصاح أنا عبد الوهاب بن بخت أمن الجنة تفرون ثم تقدم في
نحر العدو فمر برجل يقول واعطشاه فقال تقدم الرى أمامك نخاط القوم
فقتل : وفي سنة ١٢٢ قتل عبد الله البطل وكان كثير الغزو الى بلاد الروم
والاغارة على بلادهم وله عندهم ذكر عظيم وكانوا يخافونه خوفا شديدا وشيره
عبد الملك بن مروان مع ابنه مسلمة الى بلاد الروم وأمره على رءوس أهل
الجزيرة والشام وأمره أن يجعله على مقدمته وطلأته وقال انه ثقة شجاع
مقدام فجعله مسلمة على عشرة آلاف فارس فكان بينه وبين الروم

وانما اشرنا الى ذكر عبد الوهاب والبطل لانهما بطلا رواية كبيرة
الفت في عصر لا نعلمه بالتحقيق وعرفت بسيرة ذات الهمة والعامية يافظونها
(الدهمة) وهي أم عبد الوهاب وقد كنا في صغرنا نسميها من بعض
(المحدثين) ونتمكك بقراءتها واليوم لا نرى احدا يقرأ منها شيئا : وخيالها
يشبه خيال سيرة الظاهر بيبرس فيظهر انهما الفاء في عصر واحد

في الحجاز

كان والي الحجاز محمد بن هشام الخزومي خال عبد الملك بن مروان وفي سنة ١٠٦ حج هشام بن عبد الملك : ومما يروى عنه في حجه هذا أنه لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان فسار الى جنبه يقول يا أمير المؤمنين ان الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين وينصر خليفته المظلوم ولم يزالوا يلعنون في هذه المواطن أبا تراب فانها مواطن صالحة وأمير المؤمنين ينبغي له ان يلعنه فيها : فشق على هشام قوله وقال لا قدمنا لشم أحد ولا لعنه . قدمنا حجاجاً ثم قطع كلامه وأقبل على أبي الزناد راوى هذا الحديث يسأله عن الحج ومناسكه

ولما دخل مكة كله ابراهيم بن محمد بن طلحة وهو في الحجر فقال له أسألك بالله وبجرمة هذا البيت الذي خرجت معظما له الارددت على ظلامتى قال أى ظلامه قال دارى قال فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك قال ظلمنى : قال فالوليد وسليمان قال ظلمانى قال فعمر : قال رحمه الله ردها على قال فيزيد بن عبد الملك . قال ظلمنى وقبضها منى من بعد قبضى لها وهي فى يدك فقال هشام لو كان فيك ضرب لضربتك قال فى والله ضرب بالسيف والسوط فانصرف هشام وهو يقول لا يزال فى الناس بقايا ما رأيت مثل هذا واستمر أمير الحجاز محمد بن هشام وهو الذى يقيم للناس حجهم الا فى سنة ١١٦ فان الذى أقام الحج هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولى العهد وفى سنة ١٢٣ حج يزيد بن هشام بن عبد الملك

ولم يحصل في الحجاز حوادث ولا ثورات في عهد هشام
أما أمر مصر والمغرب فستحكم عليه ان شاء الله وحده في تاريخ مصر
هذا مجمل حال الامة العربية في عهد هشام الذي طال ومنه يعرف ما كانت
عليه من القوة وثبات العزيمة أمام من يجاورها من الاعداء الا أن الذي
يؤخذ عليها هو ظهور عصبية الجاهلية بين العرب المقيمين بخراسان فكانت
ثلاث فرق ينفس بعضهم على بعض كل خير وهم القحطانية والقيسية والرابعة
ومن عيوب الاعم الكبري ان تكون شعبا جنسية فان هذا مما يؤذن بانحلالها وغلبة
عدوها عليها وقد يكون الدين أو ما يقوم مقامه من الجامعات مزيلا لهذا العيب
مضى كان سلطانه على النفوس قويا فاذا ضعف اثره قليلا ونبض عرق التعصب
الذي من المؤكد انه لا بقاء للامة معه وهكذا كان حال الامة العربية بعد
هذا العهد بقليل

ولاية العهد

كان ولي العهد بحسب وصية يزيد بن عبد الملك هو الوليد بن يزيد فبدأ
هشام ان يعزله ويولي بدله ابنه مسامة واحتال لذلك فلم يفلح وان كان قد أجابه
بعض القواد الى ما أراد : وقد انتهى زمن هشام والوليد مباعده نازل بالازرق
على ماء له بالاردن

وفاة هشام

لمست خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٥ توفى هشام بن عبد الملك وكانت

خلافته تسع عشرة سنة وستة أشهر وأحد عشر يوماً (من ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ الى ٦ ربيع الاول سنة ١٢٥)

صفته

كان هشام مشهوراً بالحلم والعفة : شتم مرة رجلاً من الاشراف فقال له الرجل أما تستحي أن تشتمني وانت خليفة الله في الارض : فاستحيا منه هشام وقال اقتص مني قال اذاً اناسفيه مثلك قال نخذ مني عوضاً من المال قال ما كنت لا فعل : قال فبهها لله : قال هي لله ثم لك : فنكت هشام رأسه واستحيا وقال والله لا أعود لمثلها ابداً

قال عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس جمعت دواوين بني أسية فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام وصلاح الديوان وصحته من أعظم ما يمتاز به الخلفاء بعضهم على بعض : والمراد بالديوان ديوان الخراج أو هو عبارة جديدة الميزانية التي بها يعرف ما يرد على الدولة وما يصرف : ولعل هذا هو الذي جعل الناس يصممونه بوصمة البخل لأن ذا الديوان الصحيح لا يكون مسرفاً حتى يحبه الشعراء والكتاب ويشيدوا بذكراه . ومما يؤخذ عليه ما فعله مع الوليد بن يزيد فانه أساء اليه كثيراً حتى أساء خلقه : ودعا القواد إلى خلع الوليد فأجابه كثير منهم ثم لم ينفذ ما أراده فجعلهم عرضة لانتقام الوليد بعد موته



الوليد الثاني

١١

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي كان واليا للعهد بعد هشام وكان مغاضبا له في حياته حتى خرج وأقام في البرية كما ذكرناه

ولم يزل مقيما في تلك البرية حتى مات هشام فجاءه الكتاب بموته وبيعة الناس له فكان أول ما فعله أن كتب الى العباس بن عبد الملك بن مروان أن يأتي الرصافة فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده وعياله وحشمه الا مسامة بن هشام فانه كلم أباه في الرفق بالوليد فقدم العباس الرصافة ففعل ما كتب به الوليد . وقد أثر عن الوليد شعر كثير في الشماتة بهشام فمن ذلك قوله

هلك الاحول المش	ثوم وقد أرسل المطر
وما كنا من بعد ذا	ك فقد أورد الشجر
فاشكر الله انه	زائد كل من شكر

وقوله

ليت هشاما كان حيا فيرى	محبته الاوفر قد أترعا
ليت هشاما عاش حتى يرى	مكياله الأوفر قد طبعما
كلناه بالصاع الذي كاله	وما ظلمناه به اصبعما
وما الفنا ذاك عن بدعة	أحله الفرقان لي أجمعا

كان مما بهم الوليد أن ينتقم من كل من أعان هشاما عليه وهم كثير من
سادة الامة وأفراد البيت الاموى

كان ممن اجاب هشاما الى خلع الوليد محمد و ابراهيم بن هشام بن
اسماعيل الخزوميان فوجه الوليد الى المدينة يوسف بن محمد الثقفي واليا
عليها ودفع اليه محمدا و ابراهيم موثقين في عباءتين فقدم بهما المدينة فاقامهما
للناس ثم حملا الى الشام فأحضرا عند الوليد فأمر بجلدهما فقال محمد أسألك
بالقراية . قال اى قرابة بيننا قال فقد نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن
ضرب بسوط الا فى حد . قال ففى حد اضربك وقود أنت اول من فعل
بالعرجي وهو ابن عمى وابن امير المؤمنين عثمان (وكان محمد قد اخذه
وقيده واقامه للناس وجلده وسجنه الى ان مات بعد تسع سنين لهجاء
العرجي اياه) ثم أمر به الوليد بجلده هو واخوه ابراهيم ثم اوثقهما حديدا
وامر أن يبعث بهما الى يوسف بن عمر وهو على العراق فلما قدم بهما عليه
عذبهما حتى ماتا

وأخذ سليمان بن هشام بن عبد الملك فضربه مئة سوط وحلق رأسه
ولحيته وغربه الى عمان من أرض الشام وحبس يزيد بن هشام وفرق بين
روح بن الوليد وبين امرأته وحبس عدة من ولد الوليد وهؤلاء الثلاثة
من افراد البيت المالك

وكان خالد بن عبد القسرى سيدا من سادات اليمن فطلب اليه الوليد ان
يبايع لابنيه الحسك وعثمان بولاية العهد من بعده فابى فغضب عليه الوليد
وكان ذلك سببا في ان ارسله الى يوسف بن عمر الثقفي والى العراق فنزع

ثيابه وألبسه عباءة وحمله في حمل بغير وطاء وعذبه عذاباً شديداً وهو لا يكلمه
كلمة ثم حمّله الى السكوفة فعذبه عذاباً شديداً حتى مات فأفسد ذلك على
الوليد قلوب اليمانية وفسدت عليه قضاة وهم أكثر جند الشام

وصار بنو أمية يشيعون عن الوليد بين الناس القبايح ورموه بالكفر
وكان أكثرهم فيه يزيد بن عبد الملك وكان الناس الى قوله أميل لانه ان
يظهر النسك

بذلك كله نفرت من الوليد قلوب الخاصة والعامة وما سبب ذلك كله
الاشهوة الانتقام التي لا يستقيم بها ملك ولا يكون معها صلاح واذا كان
الانتقام يقبح بالناس فهو من الملوك أقبح وبذهاب ملكهم أسرع . أتت
اليمانية يزيد بن الوليد فأرادوه على البيعة فاستشار في ذلك أخاه العباس بن
الوليد فنهاه عن ذلك ولسكنه لم ينته وبايعه الناس سرا وبعث دعائه فدعوا اليه الناس
وبلغ الخبر مروان بن محمد بن مروان وهو بأرمينية فكتب الى سعيد بن
عبد الملك يأمره ان ينهي الناس ويكفهم ويحذرهم الفتنة ويخوفهم خروج
الامر عنهم فأعظم سعيد ذلك وبعث بكتاب مروان بن محمد الى العباس بن
الوليد فاستدعى العباس يزيد ومهدده فكتبه يزيد الخبر فصده . ولما اجتمع
ليزيد امره أقبل الى دمشق وقد بايع له أكثر أهلها سرا وكان واليها
عبد الملك بن محمد بن الحجاج فاستولى يزيد على دمشق وجهاز جيشا لمقاتلة
الوليد عليه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فذهب اليه وهو بالاعداف
من ارض عمان فقاتله ولما احس الوليد بالغلبة دخل قصره واغلق عليه بابه

وجلس وأخذ مصحفا فنشره يقرأ فيه وقال يوم كيوم عثمان فصعدوا على الحائط ودخلوا عليه فقتلوه وحزوا رأسه وذهبوا به الى يزيد فنصبه على رمح وطيف به في دمشق

وكان قتله ليلتين بقيتا من جمادى الآخر سنة ١٢٦ وكانت مدة خلافته سنة وثلاثة أشهر : وبقتله افتتح باب الشؤم على بني امية



زبد الثالث

١٢

هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وأمه أم ولد اسمها شاهة فريد بنت
فيروز بن يزدرج بن شهر يار بن كسرى وفي ذلك يقول

أنا ابن كسرى وأبى مروان وقيصر جدى وجدي خاقان

بويع بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك لليلتين بقيتا
من جمادى الآخرة سنة ١٣٦ وكان يسمى يزيد الناقص قيل لأنه نقص من أعطيات
الناس ما زاد الوليد بن يزيد وردها إلى ما كانت عليه زمن هشام : وكانت ولاية
يزيد فاتحة اضطراب في البيت الأموي ومبدأ الانحلاله وذهاب سعادتة

وأول ما كان من الاضطراب بالشام قيام أهل حمص ليأخذوا بشار الوليد ممن قتله
وأمروا أهلهم معاوية بن يزيد بن حصين وتابعهم على ما أرادوا من ذلك مروان بن
عبد الله بن عبد الملك وكان عاملا للوليد على حمص وهو من سادة بني مروان
نبلا وكرما وعقلا وجمالا : فلما بلغ يزيد خبرهم أرسل إليهم رسلا فيهم يعقوب بن
هانيء وكتب إليهم أنه ليس يدعو إلى نفسه وإنما يدعو إلى الشورى فلم يرض بذلك
أهل حمص وطردها أرسل يزيد وحينئذ جهز لهم جيشا عليه سليمان بن هشام
ففسار ذلك الجيش حتى نزل حواريين . كان أهل حمص يريدون الذهاب إلى

دمشق فإشار عليهم مروان بن عبد الله أن يبدءوا بقتال هذا الجيش فاتهموه فقتلوه هو وابنه وولوا أبا محمد السفيفاني وتركوا جيش سليمان ذات اليسار وساروا الى دمشق فسار سليمان مجدا في اثرهم فلحقهم بالسليمانية وكان يزيد قد ارسل جندا آخر يقدمه عبد العزيز بن الحجاج فاجتمع الجندان على اهل حمص فهزموهم وقتلوا منهم عددا عظيما ولما رأوا ذلك دانوا ليزيد وبايعوه وكما فعل اهل حمص فعل اهل فلسطين فانهم طردوا عاماهم وولوا أمرهم يزيد بن سليمان بن عبد الملك وكذلك فعل اهل الاردن وولوا أمرهم محمد بن عبد الملك واجتمعوا مع اهل فلسطين على قتال يزيد بن عبد الملك فسير اليهم يزيد سايمان بن هشام في اهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفيفاني وكانت عدتهم أربعة وثمانين ألفا ولم تم لأهل فلسطين والاردن لأنهم اختلفوا فتفرق أمرهم وانتهوا بالبيعة ليزيد

وكما كان هذا الخلاف والشقاق بالشام كان الامر على أشد من ذلك بالعراق والمشرق فان يزيد ولي العراق منصور بن جمهور وعزل عنه يوسف بن عمر فذهب منصور الى الكوفة وأخذ البيعة بها ليزيد ثم أرسل العمال الى خراسان فامتنع نصر بن سيار من تسليم عمله الى عمال منصور وضبط البلاد واعطى الناس بعض اعطياتهم فطالبوه ببقية العطاء فأبى ذلك عليهم : قام في وجهه رجل من كبار اليمن هو جديع بن علي الأزدي المعنى ويلقب بالكرماني لانه ولد بكرمان وقام معه اليمانية يريدون افساد الامر على نصر فقامت النزارية مع نصر عصبية له وبذلك نبض عرق العصبية

الجاهلية بين الحيين العظميين من العرب وهما اليمانية والنزرانية فاستحضر
نصر الكرماني وحبسه فاحتالت الازد حتى أخرجوه من محبسه وجمع
الناس لحرب نصر وكادت الحرب تقم بينهما لولا أن سمى الناس بالصلح
بينهما ولسكنه صلح على فساد لان كلامهما كان يخاف الآخر وبهذا صارت
بلاد خراسان مرعى هنيئاً لدعاة بني العباس : ولم يكن عند ولاية الامر من
بنى أمية بالشام ما يمكنهم من سد هذه الثامة التي أثاروها على أنفسهم بهذا
الانشقاق المؤذن بالانحلال

لم تطل مدة يزيد في الخلافة فانه توفي لعشر بقين من ذى الحجة
سنة ١٢٦ بعد خمسة اشهر واثنين وعشرين يوماً من استخلافه . وكان قد
عهد بالولاية من بعده لاختيه ابراهيم بن الوليد ثم لعبد العزيز بن الحجاج
بن عبد الملك : فلما توفي يزيد قام بالامر من بعده أخوه ابراهيم غير أنه لم يتم
له الامر فكان تارة يسلم عليه بالخلافة وتارة بالامارة وتارة لا يسلم عليه
بواحدة منهما

وسبب ذلك أن مروان بن محمد بن مروان والى الجزيرة وأرمينية
لم يرض ولاية ابراهيم فسار الى الشام في جنود الجزيرة فاستولى على
قنسرين وحمص ولما وصل عين الحر قابلته جنود ارسلت لحربه من قبل
ابراهيم بن الوليد فانتصر عليهم مروان وهزمهم هزيمة منكرة ثم أخذ عليهم
مروان البيعة له ثم سار حتى اتى دمشق فاستولى عليها وبايعه أهلها وهرب
ابراهيم بن الوليد فأمنه مروان ولعدم تمام الامر لابراهيم لم يعده المؤرخون
من الخلفاء

مروان الثاني

١٣

هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وامه أم ولد كردية كانت لابراهيم بن الاشر فاخذها محمد بن مروان يوم قتل ابراهيم فولدت له مروان سنة ٧٠ من الهجرة وكان واليا على الجزيرة وارمينيا كما كان أبوه قبل ذلك وكان الناس يلقبونه بالجمعدى لانه تعلم من الجمعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك . وبويع الخلافة في دمشق بعد انتصاره على اهلها سنة ١٢٧

كانت مدة مروان كلها مملوءة بالفتن والاضطرابات منذ بويع الى أن قتل

وأول ما كان من ذلك خروج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة داعيا الى نفسه وكان معه من الشيعة عدد عظيم جدا وكان والي العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز جند في حربه وكانت العامة تميل اليه لمحبتهم لابيهم فساعد ذلك على ان غلب عبد الله ابن معاوية ونفاه عن العراق

ثم كان بالشام ما هو افظع من ذلك وهو الخلاف المتوالي على مروان من اهل الأمصار الكبرى فانتقض عليه اهل حمص وكان له

معهم واقعة هائلة انتصر فيها عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة. ثم خالف عليه اهل الغوطة فحاربهم وانتصر عليهم. ثم خالف عليه اهل فلسطين فكانت له معهم وقائع انتصر فيها عليهم: ثم ثار عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك فانه قد حسن له بعض دعاة الشر والفتنة خلع مروان وقالوا له أنت اوضأ عند الناس من مروان وأولى بالخلافة. فأجابهم الى ذلك وسار بإخوته ومواليه معهم فعمسك بفسرين وكاتب اهل الشام فأتوه من كل وجه وبلغ الخبر مروان وكان بقرقيسيا فاقبل اليه بالجنود ولاقاه بقرية خساف من ارض قنسرين وكانت النتيجة ان انهزم سليمان وجنده وأسر مروان منهم عددا عظيما فقتلهم ويقال انه أخصيت القتلى من جند سليمان يومئذ فبلغت ثلاثين الفا ومضى سليمان في هزيمته حتى وصل حمص فاجتمعت عليه الفة اول فقصده مروان وفي الطريق قابلته جنود سليمان فانهزموا ولما علم سليمان بهزمهم ترك حمص وسار الى تدمر فاقام بها أما مروان فأتى حمص واستولى عليها. فانتم ترون أن القوة التي كان يرتكز عليها ملك بني أمية وهي جنود الشام قد انشقت انشقاقا محزنا تبعا لانشقاق البيت المالك وهذا اعظم ما يساعد العدو الذي يعرف كيف ينتهز الفرص

لم تقف الاضطرابات عند هذا الحد بل وجدت بقايا الخوارج الفرصة لظهور مافي انفسهم فخرج الضحاك بن قيس الشيباني وأتى الكوفة واستولى عليها من يد اميرها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز فهرب عبد الله الى واسط فتبعوه ولما اشتدت الحرب سلم عبد الله الامر الى الضحاك وبايعه وصار من عداد الخوارج وكذلك دخل في هذه البيعة سليمان

بن هشام بن عبد الملك ولما تم ذلك للضحاك عاد الى الموصل فافتتحها واستولى على كورها وكان مروان اذ ذاك محاصرا لحصن قلما بلغه الخبر كتب الى ابنه عبدالله وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير الى نصيبين فيمن معه لينع الضحاك عن توسط الجزيرة فصار اليها في سبعة آلاف فصار اليه الضحاك وحصره في نصيبين وكان مع الضحاك نحو من مئة ألف ولما انتهى مروان من أمر حصن سار لمقابلة الضحاك فالتقى به في نواحي كفر توثا فحصلت بين الفريقين موقعة عظيمة قتل فيها الضحاك فولى الخوارج عليهم سعيد بن بهدل الخبيري أحد قواد الضحاك واعادوا الكرة على جند مروان فانهزم القلب وفيه مروان ووصل الخبيري الى خيمته وثبتت الميمنة والميسرة ولما رأى أهل العسكر قلة من مع الخبيري ثار اليه العميد بعمد الخيم فقتلوه هو ومن معه وبلغ الخبر مروان وقد جاز العسكر بخمسة اميال منهزما فانصرف الى عسكره ورد خيوله الى مواقعها وبات ليلته في عسكره ولما علم الخوارج بقتل الخبيري ولوا بدله شيبان بن عبد العزيز اليشكري فأقام يقاتل مروان ولكنه لما رأى أن الناس يتفرقون عنه انصرف عن معه الى الموصل فتبعهم مروان وأقام يقاتلهم ستة اشهر

في اثناء ذلك سیر مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الى العراق بالجنود فأجلى الخوارج عن أمصاره وضبطها ولما تم له ذلك سیر جنداً لمساعدة مروان فلما علم شيبان بذلك كره أن يكون بين عدوين فرحل عن الموصل فسير مروان في أثره جنداً وأمر القائد أن يقيم حيث يقيم شيبان وأن

لأبيداه بقتال فان قاتله شيبان قاتله فلم يزل يتبعه حتى لاقاه بجيرفت وهزمه
هزيمة منكرة فمضى شيبان الى سجستان فهلك بها وذلك سنة ١٣٠
ومن الذين خرجوا على مروان وشغلوه المختار بن عوف الازدي الشهير
بأبي حمزة وكان يوافي الموسم كل سنة يدعو الناس الى خلاف مروان بن محمد
ولم يزل على ذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ١٢٨ فقال له
يا رجل اسمع كلاما حسنا أراك تدعوا الى حق فانطلق معي فاني رجل مطاع
في قومي فخرج حتى ورد حضر موت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا الي
خلاف مروان وآل مروان

وبينا الناس بعرفة سنة ١٢٩ اذا طاعت عليهم أعلام وعمائم سود على رءوس
الرماح وهم سبعمئة ففزع الناس حين رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم
بمخلافهم مروان واک مروان فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد
المملك وهو يومئذ على مكة والمدينة وطلب منهم الهدنة فقالوا نحن بحجنا أضن
وعليه أشح فصالحهم على أنهم جميعا آمنون بعضهم من بعض حتى ينفر
الناس النفر الاخير

فوقفوا بعرفة على حدة ولما كان النفر الأول نفر عبد الواحد فيه وخلي
مكة فدخلها أبو حمزة بغير قتال . ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة
فضرب على أهلها البعث وزادهم في العطاء عشرة واستعمل عليهم عبد العزيز
بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فمضوا حتى اذا كانوا بقديد لقيتهم جنود أبي
حمزة فاوقعت بهم وقتلت منهم مقتلة عظيمة وذلك لسبع بقين من صفر

سنة ١٣٠ ثم سار أبو حمزة حتى دخل المدينة من غير أن يلتقى فيها حرباً
وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا
وأموالنا أشراً ولا بطراً ولا عبثاً ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا
لثأر قديم نيل منا ولكنا لما رأينا مصاييح الحق قد عطلت وعنف القائل
بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعياً
يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله (ومن لا يجب داعي
الله فليس بمعجز في الأرض) أقبلنا من قبائل شتى النفر منا على بعير واحد
عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافاً واحداً قليلون مستضعفون في الأرض
فأوانا وأيدنا بنصره فاصحبنا والله جميعاً بنعمته اخواناً ثم لقينا رجالكم
بقتيد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان
وحكم آل مروان فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغى ثم اقبلوا ليهرعون
يزفون قد ضرب الشيطان فيهم بجرائه وغلت بدمائهم مراجله وصدق
عليهم ظنه وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكتائب بكل مهند ذى
رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطون
وانتم يا أهل المدينة ان تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله عز وجل
بعذاب من عنده أو بايدينا ويشف صدور قوم مؤمنين يا أهل المدينة
أولكم خير أول وآخركم شر آخر يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم
ألا مشركاً أو عابداً أو مشركاً أهل الكتاب أو أمماً جائراً يا أهل المدينة
من زعم أن الله عز وجل كلف نفسه فوق طاقتها أو سألها ما لم يؤتها فهو

لله عز وجل عدو ولنا حرب يا أهل المدينة أخبروني ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل في كتابه على القوى والضعيف نجاء تسمع ليس له منها ولاية ولا سهم واحد فاخذها لنفسه مكابرا محاربا لربه يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون اصحابي قلتهم شباب احداث واعراب جفاة وياكم أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شبابا أحداثا شباب والله مكتهلون في شبابهم غضية عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أقدامهم قد باعوا الله عز وجل أنفسا تموت بانفس لا تموت قد خالطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليالهم بصيام نهارهم منحنية اصلايهم على اجزاء القرآن كلما مروا بآية شوق شهقوا شوقا الى الجنة فلما نظروا الى السيوف قد انتضبت والرماح قد شرعت والى السهام قد فوقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت واستخفوا وعيد الكتيبة لو عيد الله عز وجل ولم يستخفوا لو عيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن ما أب فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمد بها صاحبها أتول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه ائيب)

ثم ان أبا حمزة ودع أهل المدينة وسار نحو الشام وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي وأمره ان يمد في السير ويقاتل الخوارج فاذا ظفر بهم سار حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى فسار بن عطية حتى

لقى أبا حمزة بوادي القرى فقاتله حتى قتله وهزم أصحابه ثم سار الى المدينة فاقام بها شهرا وبعد ذلك سار الى اليمن وبلغ عبد الله بن يحيى مسيره اليه وهو بصنعاء فأقبل اليه بمن معه ولما التقيا قتل عبد الله وحمل رأسه الى الشام

كل هذه المشاغل والفن التي كانت بالشام والحجاز شغلت مروان عن خراسان وما كان يجري فيها فكان ذلك اعظم مساعد لشيعه بني العباس ورئيسهم المقدم أبي مسلم الخراساني على أخذ خراسان ومبايعه أهلها على الرضا من بني العباس ثم مدوا سلطانهم الى العراق فاستولوا عليه من عمال بني أمية (وسنفصل حديثهم وما كان منهم حينما نشغل بتاريخ الدولة العباسية)

وفي شهر ربيع الأول سنة ١٣٢ بويغ بالكوفة لابي العباس السفاح أول الدولة العباسية وبعد أن تم له الامر بالعراق فكر في ارسال الجند لمروان حتى يقضى عليه القضاء الاخير فاختر عمه عبد الله بن علي قائدا لذلك الجند فسار حتي التقى بمروان وجنده على نهر الزاب لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ وهناك كانت الموقعة العظمى بين الجندين وانتهت بهزيمة مروان بن محمد بعد ان قتل ممن معه مقتلة عظيمة وكانت الهزيمة لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة وصار مروان ينتقل من بلد الى آخر وعبد الله بن علي يتبعه ولما جاز مروان أرض الشام قاصدا مصر أرسل عبد الله في اثره اخاه صالح بن علي فلم يزل وراءه حتى عثر به

تأزلا في كنيسة بقرية بوضير وبعد قتال خفيف قتل مروان لليلتين بقيتا
من ذي الحجة سنة ١٣٢ وبقتله انتهت أيام الدولة الأموية وابتدأ عصر الخلافة
العباسية (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز
من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير)



الخاتمة

في مدنية الاسلام في عهد الدولة الاموية وأسباب سقوطها

الخلافة الاسلامية

لبست الخلافة في عهد الدولة الاموية مظهر الملك وأبهته واستشعرت سطوة الحكم وعظمته فبعد ان كان الخلفاء الراشدون للناس كافة لا يمنعهم دون الخليفة حجاب ولا يصدهم عنه باب وجد في العهد الاموي الحجاب والمقاصير في المساجد الجامعة . وبعد ان كان يقول عمر بن الخطاب على منبر رسول صلى الله عليه وسلم من رأى منكم في اعوجاجا فليقومه قال عبد الملك بن مروان في خطبته بعد قتل ابن الزبير ولا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه وبعد ان كان الخليفة يختلط بالناس كأحدهم في الاسواق والمجامع يأمر وينهي ويربى ويؤدب رأينا الوليد بن عبد الملك تصرف له الناس من المسجد النبوي حينما أورد مشاهدته وأثر الصنعة فيه وكادوا يصرفون سعيد بن المسيب شيخ الفقهاء بالمدينة لولا جلال سنه واحترام الامير عمر بن العزيز له وبعد أن لم يكن للخليفة شارة يمتاز بها صرنا نروى الروايات عن قضيب الخلافة وخاتمها ونشهد للوليد بن يزيد بن عبد الملك حينما جاءه نعي عمه هشام بن عبد الملك

طاب يومى ولذة شرب السلافة وأتانا نعي من بالرصافة
واتانا البريد ينعي هشاما وأتانا بخاتم للخلافة

وبعد ان كن الخلفاء بعيدين عن مظاهر الترف يجتزىء أحدهم بأقل ما يجتزىء به الضعفاء من رعييتهم ويتعنى بعد ذلك أن يخرج من الدنيا كفافا لاغليه ولاله صرنا نرى بنى مروان قد انغمسوا في الترف فاختيرت لهم الالوان وتبسطوا بما لذ وطاب فسمعوا الاغانى من القيان كما يروى عن يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد : وبعد ان كانت الخلفاء تختار من بيوت متعددة راينا الخلافة في هذه الدولة قد انحصرت في بيت واحد يختار كل خليفة منهم ولي يهدى من اهل بيته اما ابنه أو اخاه أو بن عمه شأن الملك العقيم وبعد ان كانت الامة تساس بوازع الدين وأثره في النفس رأيناها تساس بقوة البغاشى وحد السيف حتى كان عبد الملك يقول للناس تطالبون منا أن نسير فيكم بسيرة الشيخين أبى بكر وعمر ولا تسيرون أنتم بسيرة الناس فيهدى أبى بكر وعمر فكانه يعتذر لهم عن قسوته في معاملتهم بأنهم هم الذين حملوه على ذلك بما ظهر فيهم من بدع الاخلاق وكما تمثل يزيد بن معاوية حينما جاءه الخبر بخلع اهل المدينة له

هم بدلوا الحكم الذى فى سيجتى فبدلت قومى غاظة بليان
واذا كنا على رأى من يقول ان الامة هى التى تخلق ملوكها (وهو قول حق) ظهر لنا صدق عبد الملك ويزيد فيما قالاه

وعلى الجملة فان مظاهر الملك قد ظهرت على هذه الدولة من أول وجوده

كما ان الترف قد لحقها في آخر امرها وهو نتيجة طبيعية لانحصار الخلافة في بيت واحد.

الانتخاب والبيعة

جرى خلفاء بني امية على اختيار أولياء العهد في حياتهم فكلهم كان مختارا من سلفه ماعدا رأس هذه الدولة معاوية بن ابى سفيان ومروان بن الحكم ويزيد بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمد فان اربعتهم قد أخذوها بالقوة معاوية اختاره أهل الشام فغالب بهم حتى استقر له الامر واجتمعت عليه الكلمة : ومروان اختاره بعض أهل الشام عقب موت معاوية الثاني فغالب بهم حتى فاز بعض الفوز وتم الامر لبني امية على يد ابنه عبد الملك : ويزيد الثالث خرج على ابن عمه الوليد بن يزيد الثاني حتى قتله وحل محله . ومروان بن محمد دعا الى نفسه عقب موت يزيد الثالث فبايعه قوم وكرهه آخرون ولم يزل في أخذ ورد حتى دالت دولتهم على يده

اما من عدا هؤلاء الاربعة وهم تسعة الخلفاء فقد كانوا مختارين من قبل أسلافهم فيزيد الاول اختاره أبوه معاوية . ومعاوية الثاني اختاره يزيد : وعبد الملك اختاره أبوه مروان : والوليد وسليمان اختارهما أبوهما عبد الملك وعمر ويزيد اختارهما سليمان الاول ابن عمه والثاني أخوه وهشام والوليد الثاني اختارهما يزيد الاول أخوه والثاني ابنه

ولم يحصل في عهد بني امية ان يختار أحدهم واحدا لولاية عهده بل كانوا

دائماً يختارون من يلي عهدهم ومن بعده وهذه من اغلاطهم التي جربوا
سوء نتائجها ولم يرعوا عنها فكانت سبباً مهماً من اسباب القضاء على
دولتهم كما سيأتى توضيحه

وكانوا يأخذون البيعة في حياتهم لولادة عهدهم فإذا مات الخليفة
جددت البيعة مرة ثانية تأكيذا للعهد والميثاق : وأول من كان يبايع أمراء
البيت الاموى ثم يليهم القوادثم أمراء الامصار وهؤلاء يأخذون البيعة على
من تحت امرتهم وكانت البيعة على السمع والطاعة والعمل بكتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وقد شذوا أحياناً عن نص هذه البيعة اذا كانت
عقب ثورة فقد اخذ مسلم بن عقبة المرى البيعة على اهل المدينة بعد وقعة
الحرة على أنهم خول يزيد يحكم في انفسهم واموالهم وابنائهم وكان الحجاج
بعد هزيمة بن الاشعث لا يبايع الا من اقر على نفسه بالكفر بخروجه

ادارة البلاد

كانت البلاد اسلامية تدار بمعرفة أمراء يختارهم الخلفاء وهم
نواب عنهم

وكانت مقسمة الى امارات كبرى وهى

- (١) الحجاز وينتظم المدينة ومكة والطائف ويقوم الامير بالمدينة وكان
يضاف الى ذلك أحياناً بلاد اليمن وأحياناً تكون مستقلة بأمر
- (٢) العراق وينتظم الكوفة والبصرة وخراسان والامير يقيم في
الكوفة بعض السنة وفي البصرة بعضها وكانت خراسان تستقل أحياناً

بأمر يخطب الخليفة رأساً : وقد يضاف أحيانا الى أمانة عراق
بلاد الحماة

(٣) الجزيرة وأرمينية وتنتظم بلاد الموصل وأذربيجان وولايات
أرمينية

(٤) أجناد الشام وكانت خمسة وهي فلسطين - والاردن - ودمشق
وحمص وقنسرين وكانت قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان يزيد
ابن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج أجناداً برأسه وانما سمي كل منها جنداً
لانه يجمع كورا والتجند التجمع وقيل سميت كل ناحية بجند كما نوا
يقبضون اعطيتهم فيه والا قرب أن هذا هو اصل التسمية

(٥) مصر وافريقية وتنتظم بلاد مصر وشمال افريقيا وكانت افريقية
في بعض الاحيان تستقل بوال عن مصر

(٦) بلاد الاندلس بعد فتحها تارة كانت تضم الى افريقية
وكل امير كان يشار من رجاله أمراء على الكور التي هي في
حدود امارته

كانت الاعمال التي ترجع الى الخلفاء وهي

(١) اقامة الصلاة

(٢) قيادة الجيش

(٣) جباية الخراج والصدقات ووضع ذلك مواضعه

(٤) القضاء بين الناس في منازعاتهم : وقد كان الامير يقوم مقام

الخليفة أحيانا في جميع ذلك ويقيم للمسلمين صلاتهم بنفسه ويقود الجند أو يختار من رجاله قائداً للجيش ويعين جابيا للخراج فيصرف منه حاجات الامارة واعطيات الجنود ويرسل بما يبقى الى الخليفة ويعين من شاء للقضاء بين الناس وتارة كانوا يقصرون الولاية على الصلاة والحرب والقضاء ويعين الخليفة عاملا للخراج يرجع اليه رأساً

والامراء الذين كانت اليهم النياية العامة كانوا متمتعين بما يسمى في العرف الحاضر بالاستقلال الاداري فكانوا يتصرفون في كل شيء ويعلمون الخليفة بما عندهم من الامور العظيمة وأظهر ما كان هذا الاستقلال في بلاد العراق في عهد زياد بن ابي سفيان وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف وعمر بن هبيرة وخالد بن عبد الله القسري الا ان الحجاج كان أكثرهم استقلالاً للثقة التي حازها عند عبد الملك وابنه الوليد

كانت المشاكل تحمل والمنازعات تقضى في حواضر الامارات الا انه لا مانع يمنع ذا ظلامة من أن يرفع أمره الى الخليفة وقد ترفع عنه ظلامته وقد ضيق على الامراء عمر بن عبد العزيز بعض التضيق لان ثقته كانت بهم قليلة وقد حتم عليهم أن لا ينفذوا حدا من الحدود من قتل أو قطع الا اذا عرض عليه وأمر بتنفيذه : اما في عهد غيره فكان الامراء يفعلون ما فوق ذلك من غير ان يعلم الخليفة بما يفعلون فكان أحدهم يأمر بقتل الرجل علي ايسر الذنوب ويضربه بالضرب البرح من غير ان يكون هناك اعتراض عليه لا من الخليفة ولا من الناس

والذي دعى الى تمتع الامراء بهذا الاستقلال هو صعوبة المواصلات

بين حاضرة الخلافة دمشق وبين حواضر الولايات فلو أُلزم الأمير أن
يستشير في كل مايقع في دائرة ولايته لطل عليهم الزمن وبقيت المشا كل
من غير حل زمنا طويلا وهذا مسبب للاضطراب الكثير

ومن أعظم ما يؤخذ على بني أمية في النصف الثاني من أيام خلافتهم
اذلال الامراء ومصادرتهم في أموالهم وأحياننا الاتيان على انفسهم بعد ان
يعزلوا وقد ابتداء هذا في عهد سليمان بن عبد الملك فانه اذل عمال الحجاج ومن
كانوا يلوذون به بعد ان مهدوا لهم السبل ووطئوا لهم المنابر واستعمر الامر
على ذلك من بعد عمر بن عبد العزيز الى ان انتهى امرهم وقد كانت هذا
سببا من اسباب فناء البيت الاموي ومن اغرب ما حصل لهم ان يوسف
بن عمر الثقفي الذي ولي العراق بعد خالد بن عبد الله القسري اشترى من
الوليد بن يزيد خالدا وعماله بخمسين ألف ألف فدفعه اليه فنزع ثيابه والبسه
عباءه وحمله في محمل بغير وطاء وعذبه عذابا شديدا وهو لا يكلمه كلمة ثم حمله
الى الكوفة فعذبه ووضع المضرسه على صدره فقتله في الليل ودفنه من
وقته بالحيرة في عباءته التي كان فيها وذلك بعد ان ولي خالد العراق خمس
عشرة سنة وهو بعد هذا سيد من سادات اليمن وعظيم عظمائهم

قيادة الجنود

تمتاز هذه الدولة بان عصرها كله كان زمن فتح ففيه اتسعت حدود
المملكة الاسلامية من الجهة الشرقية في السند والصغد وبلاد الترك ومن

الجهة الشمالية في اذربيجان وأرمينية وبلاد الروم ومن الجهة الغربية في افريقية والاندلس

وكان عصرها مع هذا زمن حروب داخلية عظام . حينما مع الخوارج وحينما مع طلاب الخلافة من بني علي ولم يخل عصر خليفة أموى من حروب داخلية الا عصر الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز . فهى اذا دولة حربية . ولا جرم ان امتاز فيها أفراد كثيرون بقيادة الجنود الى حومة الوغى واشتهروا بالثبات ومضاء العزيمة وحسن التدبير في الحرب وها نحن نورد على اسماءكم جملة من أولئك الافراد العظام الذين مر ذكرهم

من اشتهر بالشرق

(١) المهلب بن أبي صفرة الازدى وكان علمه تاما بمكيدة الحرب والاحتراس من غوائلها واشتهر في حروبه مع الخوارج ببلاد فارس ولا حروب قليلة بما وراء النهر وامتاز المهلب بحبته للجماعة وبغضه للفتن والثورات

(٢) قتيبة بن مسلم الباهلي وكان شجاعا مقداما لا يردده شئ عن قصده واشتهر بحروبه بما وراء النهر فانه دوح تلك البلاد وأذل اهلها وقد أخذ عليه خلعه سليمان بن عبد الملك عقب خلافته وكان ذلك سبب هلاك قتيبة وأهل بيته وفقد الدولة صالح خدمتهم

(٣) يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة الازدى وكان شجاعا لا يخطر له الفرار على بال واشتهر بحروبه في جرجان وطبرستان فانه رد أهلها الى

الطاعة بعد غدرهم وقطعهم الطريق طريق خراسان وله حروب بعد ذلك بما وراء النهر وأخذ عليه خلعه ليزيد بن عبد الملك عقب خلافته وكان ذلك سببا لهلاكه وهلاك أهل بيته الذين كانوا غرة في جبين الدولة الاموية

(٤) أسد بن عبد الله القسرى اشتهر بحروبه العظيمة بما وراء النهر وكان الناس هناك يسمونه ملك العرب وهابوه هيبة لم يهابوها قائداً قبله وأخذ عليه عصيته لقومه من اليمن على غيرهم من نزار حتى كان ذلك سببا في فساد أهل خراسان واختلافهم

(٥) محمد بن القاسم بن محمد الثقفي اشتهر بحروبه في بلاد السند على عهد الحجاج بن يوسف وافتتح من السند أعظم بلدانهم وأحكم الامر بها حتى دانت له وقد قتل في اول خلافة سليمان بن عبد الملك واشتهر في ارمينية واذريجان

(٦) محمد بن مران بن الحسك المامون كان شجاعا أيدا وعزيمة ثابتة حتى كان أخوه عبد الملك يحسده على ذلك وله غزوات وفتوح في شمال ارمينية واذريجان

(٧) مروان بن محمد بن مروان كان كأبيه بطلا مقداما سد ثغور ارمينية واذريجان وأبلى فيها البلاء الحسن

(٨) الجراح بن عبد الله الحنفي وقد قتل في بعض حروبه مع الخزر واشتهر في بلاد الروم

(٩) مسامة بن عبد الملك كان أشجع أولاد عبد الملك بن مروان

غزا القسنطينية المرة الثانية وافتتح كثيراً من الحصون الرومية وقد قصر به عن الخلافة أن أمه كانت أمة ولم يكن بنوا أمية في أول أمرهم يولون إلا أولاد الحرائر

(١٠) أبو محمد عبد الله البطل كان رئيساً على عرب الجزيرة الذين يغزون ثغور الروم وكانت الروم تهابه هيبة شديدة

(١١) العباس بن الوليد بن عبد الملك كان يسامي مسلمة في نباهة الشأن وقوة العزيمة وكان كثيراً ما يقود الشواني والصوائف الى البلاد الرومية واشتهر في الغرب وأفريقية

(١٢) عقبة بن نافع وهو مؤسس القيروان وله مع البربر وقائع كثيرة انتصر في معظمها وكانت نهاية أمره أنه قتل في إحدى تلك الوقائع (١٣ و ١٤) موسى بن نصير وطارق بن زياد وهما اللذان فتحا بلاد الاندلس وادخلا الاسلام في قارة أوربا

وهناك غيرهم من القواد لكن لم يكن لهم من رفعة القدر ما لهؤلاء ولم تكن همّة الدولة الاسلامية قاصرة على تقوية الجيوش البرية بل كان لهم اسطول قوى في البحر الأبيض المتوسط يحمي البلاد الاسلامية من غارات الروم المتواصلة ويغير على بلادهم : وكان لهم من غابات لبنان مورد عظيم الصنع مرا كبهم فضلاً عما كانوا يغنمونهم من مراكب الروم ولم تكن أمراء البحر في الدولة الاموية تقل مهارة واقداماً عن اصراء البحر الروميين نوعي الجملة فان الدولة الاموية ظهرت بمظهر القوة القاهرة أمام الامم التي

تجاورها من الشرق والشمال والغرب في جميع أديارها : وكانت السيادة
في الجيوش للعنصر العربي لان الدولة كانت عربية محضة لم ينازعها دخيل
ولذلك لم تر من بين قوادها أعجميا

القضاء والاحكام

لم يزل القضاء في عهد هذه الدولة على بساطته التي كان عليها في عهد
الخلفاء الراشدين الا ان تناكر الخوصوم أرشدهم الى تسجيل الاحكام
قال محمد بن يوسف الكندي في كتاب الذين ولوا مصر ص ١٠ اختصم
الى سليم بن عنز (قاضي مصر من قبل معاوية بن أبي سفيان) في ميراث
فقضى بين الورثة ثم تناكروا فعادوا اليه فقضى بينهم وكتب كتابا بقضائه
وأشهد فيه شيوخ الجند قال فكان اول القضاء بمصر سجل سجلا بقضائه
ولم يكن القضاة يتقيدون برأى في أحكامهم اذ لم تدون اذذاك أحكام
فقهيّة يقر عليها الخلفاء ويحتمون العمل على مقتضاها فكان الامر راجعا الى
القضاة انفسهم اولى ما يشير به المفتون من كبار المجتهدين في امصارهم
كان توبة بن نمر لا يملك شيئا الا وهبه ووصل به اخوانه وافضل به
عليهم فلما ولي القضاء بمصر في عهد هشام بن عبد الملك كان يرى أن يحجر على
السفيه والمبذر فرفع اليه غلام من حمير لا تحوى يده شيئا الا وهبه وبذره
فقال توبة أرى ان أحجر عليك يا بني : قال فمن يحجر عليك أيها القاضي
والله ما نبلغ في أموالنا عشر معشار من تبذيرك فسكت توبة ولم يحجر على
سفيه بعد . فهذا الخبر يدل على مقدار ما كان للقضاء من الحرية في اختيار

الآراء التي يقضون بها . واحيانا يطلبون من الخلفاء بيان آرائهم في الحوادث المختلفة اذا اشتبه عليهم الامر فيها كما كتب عياض بن عبيد الله الأزدي قاضي مصر من قبل عمر بن عبد العزيز اليه يسأله في امر الشفعة وان سالفه كانوا يقضون فيها للاول فالاول من الجيران فكتب اليه أن يجعلها للشريك وحده وقال فاذا وقعت الحدود بين اهل الشرك في الميراث أو غيره وضربت بمدخل الناس التي يدخلون منها دورهم واراضيهم فقد انقضت الشفعة

وبذلك كانت الاحكام يخالف بعضها بعضا في الامصار المختلفة لان المجتهدين لم يكونوا على رأى واحد ولم تلتفت الدولة الى التفكير فيما يجمع كلمة المجتهدين على شيء يقضى به قضائهم أو يحمل مجتهدى كل مصر على عمل ما يصالح لذلك المصر مستعدين من اصول الدين : لم يفعلوا هذا ولا ذاك بل تركوا لكل قاض تمام حريته في الحكم بما يراه

وكان يضاف الى القضاة مراقبة أموال اليتامي وأول قاض نظر فيها عبد الرحمن بن معاوية بن حديج قاضي مصر من قبل عبد العزيز بن مروان فخانه ضمن عريف كل قوم أموال يتامي تلك القبيلة وكتب بذلك كتابا وكان عنده . قال الكندي فجرى الامر على ذلك

وكانوا يتولون الاحباس وأول قاض بمصر وضع يده على الاحباس بقوبة بن نمر في زمن بن هشام بن عبد الملك وانما كانت الاحباس في أيدي اهلها وفي أيدي أوصيائهم فلما كانت توبة قال ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا الى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدي عليها حفظا

لها من التواء والتوارث فلم يمت توبة حتى صار الاحباس ديوانا عظيما
وكان ذلك سنة ١١٨ فذلك اول انشاء ديوان الاوقاف بمصر

كان اختيار القضاة يرجع غالبا الى امراء الامصار فهم الذين يعينون
من يقوم بالقضاء بين الناس وأحيانا كانوا يولون من قبل الخلفاء أنفسهم وقاضي
حاضرة الخلافة يختاره الخليفة وليس له ادنى امتياز عن سائر القضاة ولا
رأى في اختيارهم ويظهر أن مراتب القضاة لم تكن مما يحوجهم الى مد
الأيدي الى السحت رأيت أن عبد الرحمن بن مجيرة كان يتولى القضاء
يتصرف معه القصص وبيت المال فكان رزقه في السنة من القضاء مئتي دينار ومن
القصص مئتي دينار ورزقه في بيت المال مئتي دينار وكان عطاؤه مئتي دينار
وكانت جائزته مئتي دينار فكان يأخذ ألف دينار في السنة . ورأيت في الكندي
أمر ابصر مرتب قاض في عهد مروان الثاني هذا نصه (بسم الله الرحمن
الرحيم من عيسى بن أبي عطاء الى خزان بيت المال أعطوا عبد الرحمن
بن سالم القاضي رزقه اشهر ربيع الاول وربيع الآخر سنة ١٣١ عشرين
دينارا واكتبوا بذلك البراءة وكتب يوم الاربعاء ليلة خلت من ربيع
الاول سنة ١٣١) وبذلك يظهر أن الازراق كانت تصرف مقدما

الدواوين

كانت الدواوين لعهد بني امية ثلاثة

(١) ديوان الجند

(٢) ديوان الخراج

(٣) ديوان الرسائل : فأما ديوان الجند فانه مذووع كان بالعربية لان عمر انما كلف بوضعه نابغين من العرب وهم عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش : وكان هذا الديوان يحصر جند كل اماراة واعطياتهم وكل مايختص بهم فهو ديوان (الحربية) واما ديوان الخراج فانه كان بالعراق باللغة الفارسية وبلاد الشام باللغة الرومية وبمصر باللغة القبطية لان العمال الذين يشتغلون فيه هم من أمم تلك اللغات الثلاث لم يكن المسلمون قد مهرروا بعد فيه : فلما ولي الحجاج العراق كان رئيس الديوان في عهده زاذان فروخ واتفق أن انضم الى الديوان صالح بن عبد الرحمن وكان أبوه من سبي سجستان فرآه الحجاج يكتب بالفارسية والعربية فخف على قلبه شعر صالح بذلك فخاف من زاذان وقال له أنت الذي رقيتني حتى وصلت الى الامير وأراه قد استخفني ولا آمن أن يقدمني عليك فتسقط منزلتك فقال زاذان لا تظن ذلك هو أجوج الى منى اليه لانه لا يجد من يكفيه حسابه غيري فقال صالح والله لو شئت أن أحول الحساب الى العربية لحولته قال فحول منه أسطراً حتى أرى ففعل فقال له زاذان تمارض فتمارض فبعث اليه الحجاج بطيبيه فشق ذلك على زاذان وأمره أن لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك أن قتل زاذان في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فاستكتب الحجاج بعده صالحاً فاعلم الحجاج بما جرى له مع زاذان في ثقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في امضائه فنقله من الفارسية

الى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مئة ألف درهم على أن لا يظهر
النقل فأبى عليهم وكان عبد الحميد بن يحيى الكاتب يقول لله در صالح ما أعظم
منته على الكتاب : وأما ديوان الشام فان الذى نقله من الرومية الى العربية
أبو ثابت سليمان بن سعد كاتب الرسائل فى خلافة الوليد بن عبد الملك وكان
الذى يليه فى عهد معاوية سرجون بن منصور الرومى ثم كتب بعده ابنه منصور
ابن سرجون

وأما ديوان مصر فقد نقل فى عهد عبد الله بن عبد الملك أمير مصر من
قبل الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧ ووليه ابن يربوع الفزارى من حمص هكذا
نقلت هذه الدواوين الثلاثة الى اللغة العربية وتخلصت الدولة من هذه الحاجة
الى الكتاب من الامم الاخرى

وكان ديوان الخراج ينتظم جميع حساب الدولة من دخل ومصرف أو
هو ديوان (المالية)

وأما ديوان الرسائل فهو الديوان الذى كانت تصدر منه الرسائل
الى الامراء والعمال فى الامارات المختلفة وكان هذا بالعربية طبعاً

وكان عندهم ما يسمى بديوان الخاتم وهو الديوان الذى تختم فيه الكتب
بعد أن تكتب وكاد الخلفاء يختارون من ثقاتهم والامناء من مواليهم من
يكون بيده الخاتم خاتم الخلافة وقد ذكر الطبرى فى حوادث سنة ٧٢ أسماء
من ولوا كتابة الدواوين للخلفاء ومن اشتهر منهم عبد الحميد بن يحيى قال
الطبرى وكان من البلاغة فى مكان مكين ومما اختير له من الشعر

ترحل ما ليس بالنافل واعتب ما ليس بالزائل
فلهنى على الخاف النازل وهنى على السلف الراحل
أبكى على ذا وأبكى لذا بكاء موهبة ثاكل
تبكى من ابن لها قاطع وتبكى على ابن لها واصل
فليست تفر عن عبدة لها في الضمير ومن هامل
تقضت غوايات سكر الصبي ورد التقى عنى الباطل

السكة الإسلامية

قد بينا أن عمر بن الخطاب ضرب الدراهم على نقش الكسروية وشكلها
بإيمانها غير أنه زاد في بعضها الحمد لله وفي بعضها محمد رسول الله وفي بعضها
لا إله إلا الله إلى آخر مدة عمرو وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل وأن
عثمان ضرب في خلافته دراهم نقشها الله أكبر

قال المقريزي فلما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وجمع لزياد ابن
أبيه الكوفة والبصرة قال يا أمير المؤمنين إن العبد الصالح أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب صغر الدرهم وكبر القفيز وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق
الجنود وترزق عليه الذرية طلبا للإحسان إلى الرعية فلو جعلت أنت عيارا
دون ذلك العيار ازدادت به الرعية مرفقا ومضت لك به السنة الصالحة
فحضر معاوية تلك الدراهم السود الناقصة من ستة دوانيق فتكون
خمس عشرة قيراطا تنقص حبة أو حبتين وضرب منها زياد وجعل وزن كل

عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكتب عليها فكانت تجرى مجرى الدراهم
و ضرب معاوية أيضا دنانير عليها تمثال متقلد سيفاً

فلما قام عبد الله بن الزبير بمكة ضرب دراهم مدورة وكان أول من ضرب
الدراهم المستديرة وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحاً غليظاً قصيراً أفدورها
عبد الله ونقش على أحد وجهي الدرهم محمد وسول الله وعلى الآخر أمر الله
بالوفاء والعدل و ضرب أخوه مصعب بن الزبير دراهم بالعراق وجعل كل
عشرة منها سبعة مثاقيل وأعطاهما الناس في العطاء

فلما استوسق الأمر لعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله ومصعب
ابني الزبير فحصى عن النقود والأوزان والمكاييل و ضرب الدنانير والدراهم
في سنة ٧٦ فجعل وزن الدينار اثنين وعشرين قيراطاً الا حبة بالشامي
وجعل وزن الدرهم خمسة عشر قيراطاً سوى والقيراط أربع حبات وكل
دانق قيراطان ونصف وكتب الى الحجاج وهو بالعراق أن اضربها
قبلك فضربها وقدمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها بقية الصحابة
رضي الله عنهم أجمعين فلم ينكروا منها سوى نقشها فان فيه صورة وكان
مسعود بن المسيب يبيع بها ويشترى ولا يعيب من أمرها شيئاً : وجعل
عبد الملك الذهب الذي ضربه دنانير على المثل الشامي وهي الميالة الوازنة
كل مئة دينارين أي ان النسبة بين المثقالين كالنسبة بين ١٠٠ و ١٠٢

ثم قال وكان الذي ضرب الدراهم رجلاً يهودياً من تيماء يقال له سمير
نسبت الدراهم اذ ذاك اليه وقيل لها الدراهم السميرية. وبعث عبد الملك
بالسكة الى الحجاج فسيرها الحجاج الى الآفاق لتضرب الدراهم بها وتقدم

الى الامصار كلها أن يكتب اليه منها في كل شهر بما يجتمع قبليهم من المال كي يحصيه عندهم وأن تضرب الدراهم في الآفاق على السكة الإسلامية وتحمل اليه أولا فاولا وقدر في كل مئة درهم درهما عن ثمن الحطب وأجر الضراب ونقش على أحد وجهي الدرهم قل هو الله أحد وعلى الآخر لاله الا الله وطوق الدرهم على وجهيه بطوق وكتب في الطوق الواحد ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا وفي الطرق الآخر محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ثم قال وكان الذي دعا عبد الملك الى ذلك أنه نظر الأمة وقال هذه الدراهم السوداء والوافية والطبرية والعتيق تبقى مع الدهر وقد جاء في الزكاة أن في كل مئتين أو في كل خمسة أواق خمسة دراهم وأشفق أن جعلتها كلها على مكان السود العظام مئتين عدداً أن يكون قد نقص من الزكاة وإن عملتها كلها على مثال الطبرية ويحمل المعنى على أنها إذا بلغت مئتين عدداً وجبت الزكاة فيها فإن فيه حيفاً وشططاً على أرباب الاموال فاتخذ منزلة بين منزلتين يجمع فيها كمال الزكاة من غير بخس ولا اضرار بالناس مع موافقة ما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده من ذلك وكان الناس قبل عبد الملك يؤدون زكاة أموالهم شطرين من الكبار والصغار فلما اجتمعوا مع عبد الملك على ما عزم عليه عهد الى درهم واف فوزنه فاذا هو ثمانية دوانيق والي درهم من الصغار فاذا هو أربعة دوانيق فجمعها وكل زيادة الاكبر على نقص الاصغر وجعلها درهمين متساويين زنة كل منهما ستة دوانيق سوى واعتبر المثقال أيضاً فاذا هو لم يبرح في آباء الدهر موفى محدوداً كل عشرة دراهم

منها ستة دوانيق فانها سبعة مثاقيل سوى فأقر ذلك وأمضاه من غير أن يعرض لتغييره

ثم قال ومات عبد الملك والامر على ما تقدم فلم يزل من بعده في خلافة الوليد ثم سليمان ثم عمر الى أن استخلف يزيد بن عبد الملك ف ضرب الهيبيرية بالعراق عمر بن هبيرة على عيار ستة دوانيق فلما قام هشام بن عبد الملك وكان جموعاً للمال أمر خالد بن عبد الله القسري في سنة ١٠٦ أن يعيد العيار الى وزن سبعة وأن يبطل السكك من كل بلد الا واسطاً ف ضرب الدراهم بواسطة فقط وكبر السكة ف ضربت الدراهم على السكة الخالدية حتى عزل خالد سنة ١٢٠ وتولى من بعده يوسف بن عمر الثقفي فصغر السكة وأجراها على وزن ستة و ضربها بواسطة وحدها فلما استخلف مروان بن محمد ضرب الدراهم بالجزيرة على السكة بجران الى ان قتل

وقد نقل المرحوم علي مبارك باشا في الجزء الاخير من الخطط وضيحات نافعة في أمر الدرهم والدينار في الدول الاسلامية وأتبعها بجدول يعرف منه وزن الدراهم والدنانير في الازمنة المختلفة : وحقق أن المئقال والدينار ليسا مترادفين وأن المئقال سدس الاوقية والاوقية المصرية الرومانية التي يغلب على الظن أن العرب اعتبرتها قدرها ٣٢ ، ٢٨ جراماً فسدسها الذي هو المئقال ٤ ، ٧٣ جرام وهناك مئقال آخر يقل عن هذا شيئاً يسيراً اذ أن وزنه ٤ ، ٦٩ وأن الدينار كان وزنه ٤ ، ٢٥٠

ومن الجدول الذي ذكره يتبين أن وزن الدرهم يساوي وزن القطعة ذات القرشين تقريباً لان وزنها ٣ ، ٥٠ جرامات وكان الدرهم في عهد

عبد الملك يتراوح وزنه بين ٢.٩٤ ج وبين ٢.٧٠ ج وأن وزن الدينار كان
يساوى في الوزن نصف الجنيه الانكليزى لان وزنه ٤.٢٥ : وقد كان وزن
الدينار في عهد عبد الملك يتراوح بين ٤.٦٤ ج وبين ٤.٢٥٢ ج

ومما بين يظهر فضل عبد الملك بن مروان في ضربه نقوداً اسلامية
لان هذا أول علامة من علامات استقلال الدولة المالى وما كان يصح
لمثل الدولة الاموية مع اتساع سلطاتها أن تبقى عالة على الروم والفرس في
الدرهم والدينار

أسباب السقوط

استولى البيت الاموى على خلافة المسلمين بالقهر والغلبة لا عن رضا
ومشورة فان معاوية بن أبى سفيان استعان بأهل الشام الذين كانوا شيعة
على من خالفه من أهل العراق والحجاز حتى تم الامر ورضى الناس عنه
والقلوب منطوية على مافيه من كراهة ولايته . كان فى الامة العربية طريقان
عظيمان لا يرضون عنه وهم الخوارج وشيعة بنى هاشم والاولون ذوو اقدم
وبسالة الأداء لا يتف فى أوجههم عما أرادوا شىء الا أن يكون الفناء
والآخرون عددهم عظيم ومن السهل تحريك القلوب نحو نصرتهم لما لهم من
شرف النسبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبت هذا شأنه لا يصفونه
الملك الا اذا اتكأ على حسن السياسة والتأمت حوله القلوب التى تشايعه
والتي سلت سيوفها لنصرتة فاذا حل الخرق محل الرفق والقسوة محل اللين
فيسرعان ما تهب تلك القلوب من مكانها فان صادفت قوة عادت بالفشل

وانتظرت فرصة أخرى وان صادفت شمل خصمها متفرقا قهرته ووقضت عليه .
عرف ذلك معاوية فاستعمل من ضروب السياسة مع رؤساء العشائر
وكبار الشيعة ما ألان شكيمتهم وأسكن ثورتهم فكان يغضى عن الزلات
ويعفوا عن السيئات يسمع كلمة السوء توجه اليه فيحملها على أحسن محاميلها
ويجعل من الجدد مزحاً ومن العداة تقرباً ويخلط ذلك بالكرم الفياض الذي يذلل
النفوس الجامحة ويقرب القلوب النافرة الا انه نرى فيما زل زلة كبرى قلت
من قيمة عمله وهى اهتمامه بالغض من على بن أبي طالب على منابر الامصار
فمكان هو وأمرؤه يفعلون ذلك حتى جعل النيران تتأجج في صدور شيعته
وكان كثير منهم يظهر من ذلك امتعاضاً وربما رد الجريء منهم على الأمير
وجهاً لوجه فيكون من وراء ذلك اسراف في العقوبة يزيد الامر شراً كما
حصل من زيادة في أمر حجر الكندي

ظهر من ذلك أن خلفاء البيت الاموى كانوا في حاجة لتأييد سلطانهم
الى ما لا يحتاج اليه غيرهم ولكنهم لم يهتموا بذلك كثيراً فظهرت لهم
جملة عيوب كانت سبباً في القضاء عليهم وهى
(أولاً) ولاية العهد

كانت ولاية العهد سبباً كبيراً في انشقاق البيت الاموى وذلك أن بنى
مروان اعتادوا أن يولوا عهدهم اثنين يلى أحدهما الآخر : وأول من فعل
ذلك مروان فانه ولى عهده عبد الملك ثم عبد العزيز فكاد عبد الملك يبدأ
بشق هذا البيت حيث أراد تحويل ولاية عهده الى ابنه الوليد وعزل أخيه
ثولاً أن ساعد القضاء المحتوم بوفاة عبد العزيز فلم تبدأ اللازمة : ولكنه هو

الذى رأى ذلك وعلمه لم يستفد من تلك التجربة بل ولى الوليد وسليمان .
خطر ببال الوليد أن يعزل سليمان ويولى ابنه فعاجله القضاء وأخرا الأمر الى
حين لم يستفد سليمان مما حصل له فولى عهده عمر بن عبد العزيز ثم يزيد
بن عبد الملك . ولم يكن عمر يعيل الى يزيد فخيّف منه فعوجل حتى قيل
أنه سم : أعاد يزيد هذه الغلطة فولى عهده هشاماً أخاه ثم الوليد ابنه فأراد
هشام أن يخلع الوليد واج في ذلك حتى تباعد ما بين هشام والوليد : وكان
كثير من كبار القواد وذوي الكلمة المسموعة في الدولة الاموية صرحوا
بمخالعة هشام على رأيه ولكنه مات قبل أن ينفذ ما رأى فجاء الوليد مشمراً
عن ساعد الجد في الانتقام من أوائك الخصوم الذين عليهم المعول في اشادة
بيتهم ومنهم بنو عمه وكبار أهل بيته فكان ذلك نذير الخراب فان البيت انشق
وتجزأت القوى التي كان يستند عليها فكان من وراء ذلك مجال واسع
لخصومهم الذين هبت أعاصيرهم من المشرق فأخذت منهم الأنفاس
وجعلتهم أتراباً بعد عين .

(ثانياً) احياء العصبية الجاهلة التي جاء الاسلام معفياً لأثرها ومشهددا
في النعي عليها لانه رأى ان حياة الامة العربية لا تستقيم مع هذه العصبيات
التي أضعفت قواهم في جاهلتهم .

وقد نبض عرقها في أول الدولة المروانية فان وقعت مرج راهط التي تلاها
قيام مروان بالأمر كانت بين شعبين متناظرين وهما قيس التي كانت تشايع
الضحاك وكتب التي كانت تشايع مروان يقدمها حسان بن مجدل الكلبي وقال
في ذلك مروان

لما رأيت الأمر أمراً نهياً يسرت غسان لهم وكلباً
والسكسين رجالاً غلباً وطيثاً تأباه إلا ضرباً
والقين تمشي في الحديد نكباً ومن تنوخ مشمخراً صعباً
لا يأخذون الملك إلا غصباً وإن دنت قيس فقل لأقرباً

وكان من نتيجة ذلك أن الجند الذي أرسل بقيادة عبيد الله بن زياد لحرب المختار بن أبي عبيد الثقفي كاد يستأصل فإن عمر بن الخطاب السلمي كان على ميسرة ذلك الجيش وهو من قيس عيلان فلما قامت رحا الحرب على نهر الخازر كان أول من نكس لواء ونادى بالثارات قتلى المريج وبذلك تمت الهزيمة على جند الشام وقتل عبيد الله وكثير من جند الشام : في الوقت الذي نبض فيه عرق العصبية الجاهلية بين قيس واليمن في الشام كان ما هو أشد منه في خراسان فإن مسلم بن زياد أميرها لما علم بموت يزيد سار عنها واستخاف المهلب بن أبي صفرة وهو ازدى والازد من اليمن فلما كان بسرخص لقيه سليمان بن مرثد وهو من ربيعة فقال له ضاقت عليك نزار حتى خلفت على خراسان رجلاً من أهل اليمن فولاه مرو والروذ والفارياب والطالقان والجوزجان وولى أوس بن ثعلبة هراة فلما وصل نيسابور لقيه عبيد الله بن خازم فقال من وليت خراسان فأخبره فقال أما وجدت في المص من تستعمله حتى فرقت خراسان بين ربيعة

واليمن أكتب لي عهداً على خراسان فكتب له فزار ابن خازم إلى مرو وملسكها وأخرج من بها من ربيعة فتوجهوا إلى أوس بن ثعلبة بهراة وقالوا له نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم وتخرج مضر من خراسان

فبايعهم على ذلك وسار اليهم ابن خازم واقتتل الفريقان بهراة وكانت الهزيمة على ربيعة بعد أن قتلوا قتلا ذريعا ثم عاد ابن خازم الى مرو وكان بنو تميم قد أعانوا ابن خازم لانهم من مضر فلما صفت له خراسان جفاهم فتنكروا له وكانت بينهم مواقع

بذلك كانت العرب بخراسان منقسمة أقساما أربعة : اليمن وربيعة وقيس عيلان وقيم وهؤلاء الثلاثة يجمعهم نزار ويجمع الاخيران مضر كانت الامراء تساعد على انماء هذه الروح الخبيثة فاذا ولى يمان رفع رموس أهل اليمن واستعملهم عمالا على الامصار فاذا تلاه مضرى عكس الامر وانتقم من سلفه ومن عماله

ولم يكن ذلك العرق يسكن الا اذا كانت حروب خارجية مع الصغد أو الترك فهناك تجتمع كلمتهم ويلتئم صدعهم للدفاع عن انفسهم فاذا عادوا عاد الفساد وكان من هذا الاختلاف مجال واسع لخصوم البيت الاموى الذين يطالبونه بما في يده مما ليس له فان أبا مسلم الخراساني أتكا على ذلك فضرب كل شعب بالآخر حتى تم له الظفر بجميعهم ولا ننسى أن لشعراء العرب الذين نبغوا في هذه الدولة يدا كبرى في انماء هذه العصبية فمن قرأ أشعار الاحطل والفرزدق وجرير وغيرهم من شعراء القبائل المختلفة ويتجلى له ذلك.. لا شىء أضر على الامم من أن تنقسم طوائف فتندمى الى عناصر مختلفة وكل طائفة تتعصب لعنصرها فاذا كان مع ذلك الانقسام جهالة فان الكلمة تحقق دلى الامة ويقرب منها الفناء فان الجهل يجعل روح العصبية موجهة الى معاكسة المخالفين فتكون الامة قوى متنافرة لا قبل لها بمن ينازعها

بقاءهما . لم ينتج من انماء العصبية الجاهلية في قلب الامة العربية ذهاب البيت الاموى وحده بل كان من ذلك ضعف الامة العربية نفسها وتغلب الاعاجم على امرها حتى كان منهم ما كان في عهد الدولة العباسية مماسياتي تفصيله ان شاء الله

(ثالثا) تحكيم بعض الخلفاء من بني أمية اهواءهم في أمر قوادهم وذوى الاثر الصالح من شجعان دولتهم وهذا السبب متفرع عن السبب الاول والثاني فان سليمان بن عبد الملك لما ولي بعد أن كان الوليد يريد اخراجه من ولاية العهد عمد الى كل من كان هواه مع الوليد فاذهبه وحرّم نفسه وأمته من الانتفاع بتجارهم فقد أهلك محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم وهما قائدان عظيمان من قيس بن عيلان ولا ذنب لهما الا أنهما من صنائع الحجاج الذى كان هواه مع الوليد ولا يعيل الى سايمان . ولما جاء يزيد بن عبد الملك كان هواه مع آل الحجاج لانه صهرهم وكان يزيد بن المهلب قد دّب آل الحجاج خفاف وهلمع وكانت نتيجة ذلك أن فقدت الدولة بيت المهلب بن أبي صفرة وهو بيت طاعة من قديم وطالما كان له اعظم الآثار في خدمة بني أمية والامة الاسلامية وكان بعد هذا شيء كثير ففسدت قلوب الناس حتى كانوا ينتظرون من يجمع كلمتهم على الانتقام من بني أمية ومن يؤازرهم الامة التى ينتقم خلفها من عمال الساف لانهم كانوا على وفاق معه تفقد صالح الاعوان وتحرم الاستفادة من تجارب العقلاء فلا يختمر لها رأى ولا ينضج فيها عمل تمرعايتها الامم سائرة الى الامام وهى في موقفها ولها حركة لا تتبين فيها مواقع اقدامها فلا تكاد تخرج من منزلة الاصادفها

اخرى حتى يهديها التاريخ بعبره فتعتبر اذ تساق الى الفناء فتكون عبرة
سن العبر

تنبيه — لما كان اكثر الذين دونوا في عهد بني امية قد عاشوا في الدولة
العباسية استحسننا ان نجعل الكلام عن العلم والتدوين بعد انتهاء الدولة العباسية



فهرست

الجزء الثاني من محاضرات تاريخ الامم الاسلامية

صفحة	صفحة
٣١ مقتل عمر	٣ المحاضرة الرابعة والعشرون
٣٤ عثمان بن عفان	٣ الفتوح في بلاد الروم
٣٤ كيف انتخب	٥ الوقعة بمرج الروم
٣٧ ترجمة عثمان	٥ فتح حصن
٣٨ أول قضية نظر فيها	٧ فتح بيت المقدس
٣٩ كتب عثمان الى الامراء والامصار	١٣ المحاضرة الخامسة والعشرون
٤٠ اول خطبة له	٢٣ القضاء في عهد عمر
٤٢ الفتوح في عهد عثمان	١٦ سيرة عمر في عماله
٤٧ المحاضرة السابعة والعشرون	٢٠ معاملته للرعية
٤٧ الاحوال الداخلية	٢٣ عفته عن مال المسلمين
٦٦ المحاضرة الثامنة والعشرون	٢٦ ميله للاستشارة وقبوله للنصح
٦٦ أسباب مقتل عثمان	٢٧ رأى عمر في الاجتماعات
٧٧ بيت عثمان	٢٨ الوصف على الجملة
٧٤ علي بن أبي طالب	٢٩ بيت عمر
٧٤ كيف انتخب	٣١ المحاضرة السادسة والعشرون

صفحة		صفحة
١٣٨	الخراح وجبايته	٧٥ ترجمة على
١٤٢	الصدقات	٧٧ أول خطبة له
١٤٢	العشور	٧٩ أول أعمال على
١٤٤	النقود	٨٠ اضطراب الحبل
١٤٥	الحج	٨٦ المحاضرة التاسعة والعشرون
١٤٥	الصلاة	٨٦ وقعة الجمل
١٤٥	العلم والتعليم	٩٢ أمر صفين
١٤٧	المحاضرة الثانية والثلاثون	١٠١ المحاضرة الثلاثون
١٤٧	الدولة الاموية	١٠١ عقد التحكيم
١٥٢	معاوية بن أبي سفيان	١٠٥ نتائج التحكيم
١٥٢	ترجمته	١٠٨ اجتماع الحكمين
١٥٣	طريق انتخابه	١٢١ المحاضرة الحادية والثلاثون
١٥٣	حال الامة عند استلام معاوية	١٢١ مقتل على
	الامر	١٢٣ بيت على
١٥٦	زياد بن أبي سفيان	١٢٤ صفة على واخلاقه
١٦٦	المحاضرة الثالثة والثلاثون	١٢٩ الحسن بن على
١٧٣	الفتوح في عهد معاوية	١٣٠ الخلافة
١٧٧	البيعة ليزيد بولاية العهد	١٣٢ القضاء
١٨٣	مقارنة الحكم في عهد معاوية	١٣٥ قيادة الجيوش

صفحة	صفحة
٢٢٩ الخوارج	١٨٦ بالحكم مدة خلفاء الراشدين
٢٣٨ المحاضرة السابعة والثلاثون	١٨٦ بيت معاوية
٢٣٨ بناء الكعبة	١٨٦ وفاة معاوية
٢٣٩ الاحوال الخارجية	١٨٩ المحاضرة الرابعة والثلاثون
٢٣٩ الفتوح في الشرق	١٨٩ يزيد الاول
٢٤٢ الفتوح في الشمال	١٨٩ كيفية انتخابه
٢٤٢ الحج	١٩٠ حادثة الحسين
٢٤٣ السكة الاسلامية	١٩٩ وقعة الحرة
٢٤٤ ولاية العهد	٢٠٢ حصار مكة
٢٤٥ وفاة عبد الملك	٢٠٣ الفتوح في عهد يزيد
٢٤٥ بيت عبد الملك	٢٠٥ وفاة يزيد
٢٤٦ صفة عبد الملك	٢٠٥ بيت يزيد
٢٤٨ الوليد الاول	٢٠٦ المحاضرة الخامسة والثلاثون
٢٤٩ الحال في عهد الوليد	٢٠٦ معاوية الثاني - عبد الله بن الزبير
٢٤٩ الاصلاح الداخلي	٢٠٨ حال الشام
٢٥٣ المحاضرة الثامنة والثلاثون	٢١١ ترجمة مروان
٢٥٣ الفتح في عهد الوليد	٢١٢ عبد الملك
٢٦٢ ولاية العهد	٢١٨ الحجاج بالعراق
٢٦٢ وفاة الحجاج	٢٢٩ المحاضرة السادسة والثلاثون

صفحة	مصحفة
٢٦٤	وفاة الوليد بن عبد الله
٢٦٥	سليمان
٢٦٨	الفتوح في عهده
٢٦٩	ولاية العهد
٢٦٩	وفاة سليمان
٢٧٠	المحاضرة التاسعة والثلاثون
٢٧٠	عمر بن عبد العزيز
٢٨١	وفاة عمر
٢٨٢	يزيد الثاني
٢٨٥	ولاية العهد
٢٨٥	وفاة يزيد
٢٨٦	المحاضرة الأربعون
٢٨٦	هشام
٢٨٦	الاحوال الداخلية في عهده
٢٨٦	في العراق والشرق
٢٩٣	في أرمينية وأذربيجان
٢٥٩	في الشمال
٢٩٧	في الحجاز
٢٩٨	ولاية العهد
٢٩٨	وفاة هشام
٢٩٩	صفته
٣٠٠	الوليد الثاني
٣٠٤	يزيد الثالث
٣٠٧	مروان الثاني
٣١٥	الخاتمة
٣١٥	مدنيه الاسلام في عهد الدولة
	الاموية
٣١٥	الخلافه الاسلاميه
٣١٧	الانتخاب والبيعة
٣١٨	ادارة البلاد
٣٢١	قيادة الجنود
٣٢٥	القضاء والاحكام
٣٢٧	الدواوين
٣٣٠	السكة الاسلاميه
٣٣٤	اسباب السقوط